معالم المدرستين

تأليف

العلامة السيد مرتضى العسكري

المجلد الأول

COLUMBIA UNIVERSITY
THE
LIBRARIES
IN THE CITY OF NEW YORK

معالم المدرستين

المجلّد الاوّل

بحوث المدرستين

فى

الصحابة و الأمامة

تأليف

العلاّمة السيّد مرتضى العسكري

قسم الدراسات الاسلامية

BUTLSTAX
BP
161.2
.A76
1985g
v.1

الكتاب: معالم المدرستين ــ المجلد الاوّل
المولف: العلاّمة السيّد مرتضى العسكري
الناشر: قسم الدراسات الاسلاميّة ــ مؤسّسة البعثة
الطبعة الاولى: ١٤٠٥ هـ. ق
التوزيع: مؤسسة البعثة؛ طهران، شارع سميّة. الهاتف: ٨٢١١٥٩

الاهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك يا امام العصر ورحمة الله وبركاته

سيدي يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اليك اهدي هذا المجهود الضئيل.

«يا ايها العزيز مسّنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا انّ الله يجزي المتصدقين».

ايها الجواد الكريم اشفع لنا عندالله ليغفر لنا ذنوبنا ويكشف عنّا وعن قومنا الضر انّه ارحم الراحمين.

صغير خدامكم

مرتضى العسكري

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُوْلَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَاهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰئِكَ هُمْ أُوْلُوا
ٱلْأَلْبَابِ.

الزمر ١٧ ــ ١٨

« المقدّمة »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء محمّد وآله الطاهرين، والسلام على عباد الله الصالحين، الى يوم الدين. وبعد؛ سبق ان نشر أكثر بحوث هذا الكتاب ليكون مقدمة لكتاب «مرآة العقول» الذي شرح فيه مؤلفه المجلسي الكبير كتاب الكافي لثقة الاسلام الكليني رضوان الله تعالى عليها وسميّته «مقدمة مرآة العقول» ثم أعدت النظر في تلكم البحوث وبسطت القول في بعضها وأضفت اليها بحوثاً أخرى، وبعد ذلك كان من المناسب ان يسمى بـ «معالم المدرستين» لان أقوال المدرستين قد وردت فيها بكل أمانة، وكلّي امل ورجاء من اخواني المؤمنين ان يسبروا الكتاب بتجرد وينبهوني الى ما يجدونه خطأً فيه ويتحلوا بقوله تعالى: «يستمعون القول فيتبعون احسنه» اخذ الله بأيدينا جميعا إلى ما فيه الصلاح والفلاح. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

مرتضى العسكري

الجمعة ١٢ / جمادى الثانية / ١٤٠٤

مخطط بحوث الكتاب

تنقسم بحوث معالم المدرستين الى القسمين الآتيين:

القسم الاول: في العقيدة الاسلامية واحكامها ويحتوي على البحوث الخمسة الآتية:

البحث الاول: بحوث المدرستين في الصحبة والصحابة.

البحث الثاني: بحوث المدرستين في الامامة.

البحث الثالث: مصادر الشريعة الاسلامية لدى المدرستين.

البحث الرابع: قيام الامام الحسين(ع) ضد الانحراف عن الاسلام.

البحث الخامس: اعادة ائمة اهل البيت(ع) الاسلام الى المجتمع بعد قيام الامام الحسين(ع).

القسم الثاني: في بيان انواع من نشاط المدرستين الفكري والسياسي والاجتماعي في المجتمع الاسلامي، وتحتوي على البحوث الاربعة الآتية:

البحث الاول: انتشار مدرسة الخلافة من ايران وقيام دول اتباعها فيها.

البحث الثاني: حملة المغول على البلاد الاسلامية وتقويضهم الخلافة العباسية.

البحث الثالث: انتشار مدرسة اهل البيت(ع) من ايران وقيام دول اتباعهم فيها.

البحث الرابع: افتراءات على مدرسة اهل البيت.

القسم الاوّل
في العقيدة الاسلاميّة وأحكامها

في تاريخ ا لفكر الاسلامى نجد انقساماً بيّناً بعد وفاة النبى صلّى الله عليه وآله بين مدرستين متعارضتين،مدرسة السلطة الحاكمة بعد الرسول حتى آخر الخلفاء العثمانيين[1] ومدرسة أئمة اهل البيت حتى الامام الثاني عشر، ولم يزل الخلاف قائماً بين خريجي المدرستين وأتباعهما من المسلمين ولا يزال كذلك حتى عصرنا الحاضر و الى ماشاء الله.

و في مايلي من هذا البحث نسمّي المدرسة الاولى بمدرسة الخلفاء، والاخرىٰ بمدرسة اهل البيت ونبدأ بذكر منشأ الخلاف بينهما ثمّ نورد أمثلة من وجوه الخلاف إن شاء الله تعالى.

منشأ الخلاف:

تتفق المدرستان في القرآن الكريم، وتلتزمان بما أحلّه وحرمه وفرضه وندب اليه، وتختلفان في تأويله وخاصة متشابه آياته أشدَّ الاختلاف، ثم تختلفان في الامور الثلا ثة التالية:

أ) في الصحابة.

١) انما حددنا مدرسة السلطة الحاكمة بآخر الخلفاء العثمانيين ومدرسة اهل البيت بالامام الثاني عشر من أئمة أهل البيت، لان مدرسة الخلفاء تلتزم بشرعية حكومة الخلفاء بعد النبي وتسميهم بخلفاء النبي، وتلتزم مدرسة اهل البيت بأحقية الائمة الاثني عشر في الحكم وتسميهم اوصياء النبي، ولهذا سمينا الاولى بمدرسة الخلفاء والثانية بمدرسة اهل البيت.

ب) في الامامة والخلافة

ج) في مصادر الشريعة الاسلامية بعد القرآن.

وسندرس رأي المدرستين في كل منها بعد دراسة المصطلحات الواردة في بابه في اوّل الباب ونبدأ هنا بدراسة المصطلحات المشتركة بجميع أبواب الكتاب أولا، ثمّ بدراسة تدوين معاجم اللغة العربيّة ثانياً.

اللّغة العربيّة والمصطلحات الاسلاميّة

أولا: تعريف المصطلحات وهي:

أ) لغة العرب.

ب) المصطلح الشرعي أو المصطلح الاسلامي.

ج) مصطلح المتشرعة أو مصطلح المسلمين.

ونسمي الاول أحياناً بـ «تسمية العرب»، والثاني بـ «تسمية الشارع» والثالث بـ «تسمية المسلمين» ونقول:

أ) لغة العرب

انّ جلّ الالفاظ العربية التي نستعملها اليوم، كانت شائعة في معانيها قبل الاسلام وبعد الاسلام حتى اليوم، مثل: الاكل والنوم والليل والنهار.

ومن تلكم الالفاظ ماورد في لغة العرب في معان متعددة، مثل لفظ: غنم، الذي كان في البدء بمعنى كسب الغنم، ثم استعمل أيضا في لغة العرب بمعنى الفوز بالشيء بلا مشقة ثم استعمل في الاسلام في الفوز بالشيء مطلقا، سواء أكان الفوز بمشقة أو دون مشقة.

وقد يرد لفظ عند قبيلة بمعنى وعند أخرى بمعنى آخر مثل: «الاثلب» فانه في لغة أهل الحجاز: الحجر، وفي لغة تميم: التراب[1].

وفي عصرنا يستعمل لفظ: «المبسوط» ويراد به عند العراقيين المضروب، ولدى الشاميين واللبنانيين: المسرور، وفي مثل هذه الحالة يجب ان نقول مثلا:

١) تهذيب اللغة للازهري، ط / القاهرة، سنة: ١٣٨٤ هـ، ج ٩١/١٥.

«الاثلب» في لغة تميم بمعنى كذا، وفي لغة الحجازيين بمعنى كذا، وكذلك الامر في «المبسوط».

ب) المصطلح الشرعي أو المصطلح الاسلامي

عند ما بعث الله خاتم أنبيائه صلّى الله عليه وآله، استعمل بعض الالفاظ العربية في غير معانيها الشائعة لدى العرب، مثل: «الصلاة» التي كانت تستعمل في مطلق «الدعاء»، واستعملها رسول الله صلّى الله عليه وآله، في عبادة خاصة لها قراءات خاصة مقارنة بأفعال خاصة من قيام وركوع وسجود، مما لم تكن معروفة لدى العرب، وهذا ما نسمّيه بـ«المصطلح الشرعي أو الاسلامي» سواء في ذلك أغيّر المعنى اللغوي للفظ مثل «الصلاة»، أو جاء الشارع الاسلامي بلفظ جديد في معنى جديد، مثل: «الرحمن» صفة لله تعالى.

ويعرف «المصطلح الشرعي» بورود اللفظ في معناه في القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف، وبدون ذلك لا يوجد المصطلح الشرعي.

اذاً فالمصطلح الشرعي: ما استعمله الشارع في معنى خاص وبلّغ الرسول صلّى الله عليه وآله ذلك.

ج) مصطلح المتشرعة أو «تسمية المسلمين»

من الالفاظ ماهي شائعة في معان خاصة بها لدى المسلمين عامة مثل: «الاجتهاد» و «المجتهد» الشائعَين لدى عامة المسلمين في الفقه والفقيه، وكان اللفظان في لغة العرب بمعنى بذل الجهد في طلب الامر[1]، وباذل الجهد، واستعملا بنفس المعنى اللغوي في حديث الرسول صلّى الله عليه وآله كما روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنه قال:

«فضل العالم على المجتهد مائة درجة»، أي على المجتهد في العبادة[2].

وفي ما روي عن سيرته صلّى الله عليه وآله،وقيل:

«كان رسول الله يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيره.»[3]

١) مادة: جهد، من نهاية اللغة، لابن الاثير.

٢) مقدمة سنن الدارمي، باب فضل العلم والعالم، ح ــ ٣٢، ج ١/١٠٠.

٣) صحيح مسلم، كتاب الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الاواخر من شهر رمضان، ح ــ ١١٧٥.

ولم يرد «الاجتهاد» و «المجتهد» بمعنى: الفقه والفقيه،في القرآن الكريم ولا الحديث النبوي الشريف، ونسمي هذا النوع من التسمية بـ «عرف المتشرعة» و «تسمية المسلمين».

ومن هذا النوع من التسمية ما لا يكون شائعاً لدى عامة المسلمين بل يكون شائعا لدى بعضهم، مثل كلمة: «صوم زكريا» المستعمل لدى بعض المسلمين في الصوم مع الالتزام بالصمت والامتناع عن التكلم، وهذا النوع من المصطلح ينبغي أن نسميه باسم البلد الشائع فيه، فنقول: هذا اصطلاح المسلمين من اهل بغداد، أو اصطلاح المسلمين في القاهرة مثلا، ولا يصح أن نسميه بـ «اصطلاح المسلمين» او «عرف المتشرعة» او «تسمية المسلمين» مطلقا وبدون تقييد.

وكذلك الامر بالنسبة الى التسمية الشائعة لدى أهل مذهب من المذاهب الاسلامية أو لدى فرقة تنتمي الى الاسلام.

مثل: «الشاري» و «المشرك» لدى الخوارج،ف «الشاري» عندهم بمثابة المجاهد عند كافة المسلمين، و «المشرك» عندهم: جميع المسلمين وكل من لاينتمي الى الخوارج.

ومثل: «الرافضي» الذي ينبز به بعض أتباع مدرسة الخلفاء بعض أتباع مدرسة اهل البيت عليهم السلام.

و «الناصبي» عند أتباع مدرسة اهل البيت عليهم السلام، الذي يسمون به: كل من يبغض الائمة من اهل البيت عليهم السلام.

وفي مثل هذه الحالة، نسمي الاول: بـ «اصطلاح الخوارج» والثاني: بـ «اصطلاح مدرسة الخلفاء» والثالث: بـ «اصطلاح مدرسة اهل البيت عليهم السلام».

وبناءً على ما ذكرنا، فاذا ورد لفظ «الناصبي» لدى أتباع مدرسة الخلفاء لاينبغي أن نفهم منه أعداء اهل البيت عليهم السلام، وكذلك اذا ورد لفظ «الشاري» عند غير الخوارج لانفهم منه ما اصطلح عليه الخوارج.

د: الحقيقة والمجاز

اذا شاع استعمال اللفظ في معناه بحيث لم يتبادر الى ذهن السامع عند استماع

الكلمة غير ذلك المعنى، مثل لفظ: «الاسد» الذي يفهم منه: الحيوان المفترس، لا غيره.

و مثل لفظ: «الصلاة» التي لا يفهم منها لدى المسلمين غير: القيام بالاعمال الخاصة المقرونة بأذكار خاصة.

في مثل هذه الحالة، يوصف «الاسد» بانه حقيقة في الحيوان المفترس، و«الصلاة» بانها حقيقة في الاعمال المخصوصة ويسمى الاول: بـ«الحقيقة اللغوية» والثاني بـ«الحقيقة الشرعية».

وقد يستعمل لفظ «الاسد» ويقصد به: الرجل الشجاع، ويقال: رأيت أسداً يتكلم في المسجد. وهذا الاستعمال يسمى استعمالا مجازيا ويقال: استعمل «الاسد» مجازاً في الرجل الشجاع، ولابدَّ عند ذلك من وجود قرينة في الكلام أو في المقام يدل على انه لم يقصد من «الاسد» المعنى الحقيقي، مثل قولك هنا: «يتكلم في المسجد» فان الاسد لا يتكلم، وهذه قرينة على أن القائل لم يقصد الحيوان المفترس وانما قصد رجلا شجاعا.

ثانياً: كيفية تأليف مجاميع اللغة العربية

عندما قام علماء اللغة العربية بتدوين اللغة العربية في القرنين الثاني والثالث الهجريين، سجّلوا أمام كل لفظ ما وجدوا له من معنى، منذ العصر الجاهلي الى زمانهم سواء أكان ذلك المعنى شائعا عند أهل اللغة أو في الشرع الاسلامي، أو لدى المسلمين غير انَّ فقهاء المسلمين، بذلوا جهداً مشكوراً مدى القرون في تحديد المصطلحات الاسلامية الفقهية وتعريفها، مثل مصطلح الصلاة والصوم والحج وغيرها، فأصبحت المصطلحات الاسلامية الفقهية معروفةً لدى جميع المسلمين، ولمّا لم يبذل نظير ذلك الجهد في تعريف المصطلحات الاسلامية غير الفقهية، أصبح بعض المصطلحات غير معروف لدى المسلمين، أهي من نوع الاصطلاح الشرعي أم من نوع تسمية المسلمين واصطلاح المتشرعة؟ وأدّى ذلك الى اللَّبس والغموض في درك المفاهيم الاسلامية، وأحياناً في معرفة بعض الاحكام الشرعية نظير ماوقع في لفظ الصحابي، والصحابة، كما سندرسهما في مايلي.

البحث الاول
بحوث المدرستين في الصحبة والصحابة-

الفصل الاوّل: تعريف الصحابي لدى المدرستين
الفصل الثاني: عدالة الصحابة لدى المدرستين
الفصل الثالث: خلاصة بحث الصحابة لدى المدرستين

الفصل الاول

تعريف الصحابي لدى المدرستين

تعريف الصّحابي لدى المدرستين

تعريف الصحابي في مدرسة الخلفاء:

قال ابن حجر في مقدمة الاصابة، الفصل الاول في تعريف الصحابي:

«الصحابيّ من لقي النبي صلّى الله عليه وآله مؤمناً به ومات على الاسلام، فيدخل في من لقيه من طالت مجالسته له اوقصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أولم يغز ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ومن لم يره لعارض كالعمى[1]».

و ذكر في «ضابط يستفاد من معرفته صحبة جمع كثير» قال: «انهم كانوا في الفتوح لا يؤمرون إلاّ الصحابة».

«وانه لم يبق بمكة ولا الطائف أحد في سنة عشر إلاّ أسلم وشهد مع النبي حجة الوداع» و«انه لم يبق في الاوس والخزرج أحد في آخر عهد النبي صلّى الله عليه وآله إلاّ دخل في الاسلام» و«ما مات النبي صلّى الله عليه وآله وأحد منهم يظهر الكفر»[2].

و إذا راجع باحث أجزاء كتابنا «خمسون ومائة صحابي مختلق» يرى مدى تسامحهم في ذلك ومبلغ ضرره على الحديث.

١) الاصابة ١/١٠.

٢) المصدر السابق ص ١٦ وقبله ص ١٣.

تعريف الصحابي بمدرسة أهل البيت

الصاحب وجمعه: صحب، وأصحاب، وصحاب، وصحابة[١] و«الصاحب: المعاشر[٢] والملازم[٣]» «ولا يقال الا لمن كثرت ملازمته»[٤]، وان المصاحبة تقتضي طول لبثه»[٥].

وبما أن الصحبة تكون بين اثنين، يتّضح لنا أنه لابد أن يضاف لفظ «الصاحب» وجمعه «الصحب و...» الى اسم ما في الكلام، وكذلك ورد في القرآن في قوله تعالى «يا صاحبي السجن» و «أصحاب موسى»، وكان يقال في عصر الرسول صلّى الله عليه وآله «صاحب رسول الله» و «أصحاب رسول الله» مضافاً الى رسول الله صلّى الله عليه وآله كما كان يقال: «أصحاب بيعة الشجرة» و «أصحاب الصفّة» مضافا الى غيره، ولم يكن لفظ الصاحب والاصحاب يوم ذلك أسماءاً لأصحاب الرسول(ص)، ولكن المسلمين من أصحاب مدرسة الخلافة تدرجوا بعد ذلك على تسمية أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله بالصحابي والاصحاب، وعلى هذا فانّ هذه التسمية من نوع تسمية المسلمين ومصطلح المتشرعة.

كان هذا رأي المدرستين في تعريف الصحابي.

ضابطتهم لمعرفة الصحابي ومناقشتها

بالاضافة الى ما ذكرنا عرّف مترجمو الصحابة بمدرسة الخلفاء ضابطة لمعرفة الصحابي كما نقلها ابن حجر في الاصابة وقال:

«ومما جاء عن الائمة من الاقوال المجملة في الصفة التي يعرف بها كون الرجل صحابيا وان لم يرد التنصيص على ذلك، ما أورده ابن أبي شيبة في مصنفه من طريق لا بأس به: أنهم كانوا في الفتوح لا يؤمرون الا الصحابة»[٦].

والرواية التي جاءت من طريق لا بأس به بهذا الصدد هي التي رواها الطبري وابن عساكر بسندهما عن سيف عن أبي عثمان عن خالد وعبادة قال فيها: «وكانت الرؤساء تكون من الصحابة حتى لا يجدوا من يحتمل ذلك»[٧].

١ و ٢) راجع لسان العرب، مادة «صحب».
٣ و ٤ و ٥) مفردات الراغب، مادة «صحب».
٦) الاصابة ١٣/١.
٧) الطبري ط. اوربا ٢١٥١/١.

وفي رواية اخرى عند الطبري عن سيف قال:

«ان الخليفة عمر كان لا يعدل أن يؤمر الصحابة اذا وجد من يجزي عنه في حربه فان لم يجد ففي التابعين باحسان، ولا يطمع مَنْ إنْبَعَثَ في الرواة في الرئاسة...»[١].

مناقشة ضابطة معرفة الصحابي

ان مصدر الروايتين هو سيف المتهم بالوضع والزندقة[٢].

وسيف يروي الضابطة عن أبي عثمان، وأبوعثمان الذي يروي عن خالد وعبادة في روايات سيف، تخيله سيف يزيد بن أسيد الغساني وهذا الاسم من مختلقات سيف من الرواة[٣].

ومهماتكن حال الرواة الذين رووا هذه الروايات وكائنا من كان، فان الواقع التاريخي يناقض ما ذكروا.

فقد روى صاحب الاغاني وقال:

«أسلم امرؤ القيس على يد عمر وولاه قبل أن يصلي لله ركعة واحدة»[٤].

وتفصيل الخبر في رواية بعدها عن عوف بن خارجة المرّي قال:

والله اني لعند عمر بن الخطاب (رض) في خلافته إذ أقبل رجل أفجح[٥] أجلح أمعر يتخطى رقاب الناس حتى قام بين يدي عمر فحيّاه بتحية الخلافة.

فقال له عمر: فمن أنت؟

قال أنا امرؤ نصراني، أنا امرؤ القيس بن عدي الكلبي، فعرفه عمر، فقال له: فما تريد؟

قال: الإسلام.

فعرضه عليه عمر، فقبله ثم دعا له برمح فعقد له على من أسلم بالشام من

١) الطبري ط. اوربا ١/٢٤٥٧ ــ ٢٤٥٨.

٢) راجع ترجمة سيف في أول الجزء الاول من كتاب عبدالله بن سبأ.

٣) راجع مخطوطة «رواة مختلقون» و كتاب عبدالله بن سبأ ط. بيروت سنة ١٤٠٣هـ ج ١/١١٧.

٤) الاغاني ط. ساسي ١٤/١٥٨.

٥) الافجح: من تدانت صدور قدميه وتباعد عقباه، والأجلح: الذي انحسر شعره عن جانبي رأسه. والامعر: القليل الشعر.

قضاعة[١] فأدبر الشيخ واللواء يهتز على رأسه...» الحديث[٢].

ويخالفه ــ أيضاً ــ ما في قصة تأمير علقمة بن علاثة الكلبي بعد ارتداده، وقصته كما في الأغاني والإصابة[٣] بترجمته مايلي:

أسلم علقمة على عهد رسول الله وأدرك صحبته ثم ارتد على عهد أبي بكر فبعث أبوبكر إليه خالد ففرَّ منه.

قالوا ثم رجع فأسلم.

وفي الإصابة:

شرب الخمر على عهد عمر فحدّه فارتدّ ولحق بالروم فأكرمه ملك الروم، قال له: أنت ابن عمّ عامر بن الطفيل، فغضب وقال: لا أراني أعرف إلا بعامر[٤] فرجع وأسلم.

وفي الأغاني والإصابة واللفظ للأول:

لما قدم علقمة بن علاثة المدينة وكان قد ارتد عن الإسلام، وكان لخالد ابن الوليد صديقاً فلقيه عمر بن الخطاب (رض) في المسجد في جوف الليل وكان عمر (رض) يشبه بخالد فسلم عليه وظن أنه خالد.

فقال له: عزلك؟

قال: كان ذلك.

١) قضاعة قبائل كبيرة، منهم قبائل حيدان وبهراء وبلى وجهينة، ترجمتهم في جمهرة أنساب ابن حزم ٤٤٠ ــ ٤٦٠ وكانت ديارهم في الشحر ثم في نجران ثم في الشام فكان لهم ملك ما بين الشام والحجاز إلى العراق، راجع مادة قضاعة، معجم قبائل العرب ٩٥٧/٣.

٢) الاغاني ط. ساسي ١٥٧/١٤، وأوجزه ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ص ٢٨٤.

٣) ترجمته في الاصابة ٤٩٦/٢ ــ ٤٩٨ والاغاني ط. ساسي ٥٦/١٥ وقصة تنافر علقمة وعامر في الاغاني ٥٠/١٥ ــ ٥٥، وفي جمهرة ابن حزم ص ٢٨٤.

٤) وقعت منافرة بين علقمة وعامر ذكرها الاخباريون، قال في الاغاني ط / ساسي ٥٠/١٥: ان علقمة كان قاعداً ذات يوم يبول، فبصر به عامر فقال لم أركاليوم عورة رجل أقبح...

فقال علقمة: أما والله ما وثبت على جاراتها ولا تنازل كناتها، يعرض بعامر...

فقال عامر: والله لأنا أكرم منك حسباً وأثبت منك نسباً...

فقال علقمة: لأنا خير منك ليلاً ونهاراً.

فقال عامر: لأنا أحب إلى نسائك... إلى آخر القصة في الأغاني.

وترجمة علقمة في الإصابة ولذلك أنف علقمة من ان يكرم لأنه ابن عم عامر ويشتهر ذلك عنه.

قال: والله ما هو إلا نفاسة عليك وحسداً لك.

فقال له عمر: فما عندك معونة على ذلك؟

قال:معاذ الله، ان لعمر علينا سمعاً وطاعة وما نخرج إلى خلافه.

فلما أصبح عمر (رض) أذن للناس فدخل خالد وعلقمة.

فجلس علقمة إلى جنب خالد، فالتفت عمر إلى علقمة فقال له:

ايه يا علقمة أنت القائل لخالد ما قلت؟

فالتفت علقمة إلى خالد، فقال:

يا أبا سليمان أفعلتها؟

قال: ويحك! والله ما لقيتك قبل ما ترى، واني أراك لقيت الرجل.

قال: أراه والله.

ثم التفت إلى عمر (رض) فقال:

يا أميرالمؤمنين! ما سمعت إلا خيراً.

قال: أجل، فهل لك أن أولّيك حوران[1].

قال: نعم.

فولاّه إياها فمات بها، فقال الحطيئة يرثيه... الحديث.

وزاد في الإصابة:

فقال عمر: لأن يكون من ورائي على مثل رأيك أحب إلي من كذا وكذا.

* * *

كان ما نقلناه هو الواقع التاريخي غير أن علماء مدرسة الخلفاء استندوا الى ما رووا واكتشفوا مما رووا ضابطة لمعرفة صحابة رسول الله صلّى الله عليه وآله وأدخلوا في عداد الصحابة مختلقات سيف بن عمر المتهم بالزندقة مما درسناه في كتابنا «خمسون ومائة صحابي مختلق».

بعد دراسة رأي المدرستين في تعريف الصحابي، ندرس في ما يلي أمر عدالة الصحابة لدى المدرستين.

١) حوران: كورة واسعة من أعمال دمشق ذات قرى كثيرة ومزارع ــ معجم البلدان ٣٥٨/٢.

الفصل الثاني

عدالة الصحابة لدى المدرستين

عدالة الصحابة لدى المدرستين

رأي مدرسة الخلفاء في عدالة الصحابة

ترىٰ مدرسة الخلفاء أنّ الصحابة كلّهم عدول وترجع إلى جميعهم في أخذ معالم دينها.

قال إمام اهل الجرح والتعديل الحافظ ابوحاتم الرازي[1] في تقدمة كتابه:

«فأمّا أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله فهم الذين شهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا التفسير والتأويل، وهم الذين اختارهم الله عزّوجلّ لصحبة نبيّه صلّى الله عليه وآله ونصرته، وإقامة دينه، وإظهار حقّه، فرضيهم له صحابة، وجعلهم لنا أعلاماً وقدوة، فحفظوا عنه صلّى الله عليه وآله ما بلّغهم عن الله عزّوجلّ، وما سنّ وشرع، وحكم وقضى وندب وأمر ونهى وحظر وأدّب، ووعوه وأتقنوه ففقهوا في الدين وعلموا أمر الله ونهيه ومراده بمعاينة رسول الله صلّى الله عليه وآله ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله، وتلقّفهم منه واستنباطهم عنه، فشرّفهم الله عزّوجلّ بما منّ عليهم وأكرمهم به من وضعه إيّاهم موضع القدوة، فنفى عنهم الشك والكذب والغلط والريبة والفخر واللمز وسمّاهم عدول الأمّة فقال عزّ ذكره في محكم كتابه: «وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس»، ففسّر النبي صلّى الله عليه وآله عن الله عزّ ذكره قوله «وسطاً» قال: «عدلا». فكانوا عدول الأمّة، وأئمة الهدى،

١) هو أبومحمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة ٣٢٧ هـ وكتابه هذا «تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل» ط / حيدرآباد سنة ١٣٧١ هـ نقلنا ما اوردناه من ص ٧ ــ ٩ منه.

وحجج الدين، ونقلة الكتاب والسنة.

وندب الله عزّوجلّ إلى التمسك بهديهم والجري على منهاجهم والسلوك لسبيلهم والاقتداء بهم فقال: «ومن يتّبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى» الاية[١].

ووجدنا النبي صلّى الله عليه وآله قد حضّ على التبليغ عنه في أخبار كثيرة ووجدناه يخاطب أصحابه فيها، منها أن دعالهم فقال: «نضّر الله إمرءاً سمع مقالتي فحفظها ووعاها حتى يبلغها غيره». وقال صلّى الله عليه وآله في خطبته: «فليبلغ الشاهد منكم الغائب»، وقال: «بلّغوا عنّي ولو آية وحدّثوا عني ولا حرج».

ثمّ تفرّقت الصحابة رضي الله عنهم في النواحي والأمصار والثغور، وفي فتوح البلدان والمغازي والإمارة والقضاء والأحكام، فبثّ كل واحد منهم في ناحيته والبلد الذي هو به ما وعاه وحفظه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله[٢] وأفتوا في ما سئلوا عنه ممّا حضرهم من جواب رسول الله صلّى الله عليه وآله عن نظائرها من المسائل، وجرّدوا أنفسهم مع تقدمة حسن النيّة والقربة إلى الله تقدّس اسمه لتعليم الناس الفرائض والاحكام والسنن الحلال والحرام، حتى قبضهم الله عزّوجلّ رضوان الله ومغفرته ورحمته عليهم أجمعين».

وقال ابن عبدالبرّ في مقدمة كتابه الاستيعاب[٣]:

«ثبتت عدالة جميعهم» ثمّ أخذ بايراد آيات واحاديث وردت في حقّ المؤمنين منهم نظير ما أوردناه من الرازي.

وقال ابن الاثير في مقدّمة اسد الغابة:[٤]

«... إنّ السنن التي عليها مدار تفصيل الأحكام ومعرفة الحلال والحرام إلى غير ذلك من امور الدين إنّما ثبتت بعد معرفة رجال أسانيدها ورواتها، وأوّلهم والمقدّم

١) ترى مدرسة اهل البيت ان المقصود من كل ذلك المؤمنون منهم كما نصت الاية عليه وسيأتي مزيد بيانه ان شاء الله تعالى.

٢) سترى في ما يأتي ان شاء الله ان مدرسة الخلافة منعت نشر حديث الرسول وخاصة كتابته الى رأس المائة من الهجرة!

٣) الاستيعاب في اسماء الاصحاب للحافظ المحدث ابي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي المالكي ٣٦٣ ــ ٤٦٣ هـ وقد نقلنا من نسخة هامش الاصابة ص ٢.

٤) اسد الغابة في معرفة الصحابة لابي الحسن عزالدين علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري المعروف بابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ) ج ١/٣.

عليهم اصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله فاذا جهلهم الانسان كان بغيرهم أشدّ جهلا وأعظم إنكاراً، فينبغى أن يعرفوا بأنسابهم وأحوالهم...

والصحابة يشاركون سائر الرواة في جميع ذلك إلاّ في الجرح والتعديل فانهم كلّهم عدول لايتطرّق إليهم الجرح...».

وقال الحافظ ابن حجر في الفصل الثالث: في بيان حال الصحابة من العدالة من مقدمة الاصابة[1]:

«اتّفق أهل السنة على أنّ الجميع عدول ولم يخالف في ذلك إلاّ شذوذ من المبتدعة...»

وروى عن ابي زرعة انه قال:

«إذا رأيت الرجل ينتقص احداً من اصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله فاعلم أنّه زنديق وذلك أنّ الرسول حقّ، والقرآن حق، وما جاء به حقّ، وإنّما أدّى ذلك إلينا كلّه الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم اولى وهم زنادقة»[2].

كان هذا رأي مدرسة الخلفاء في عدالة الصحابة، وفي مايلي رأي مدرسة أهل البيت في ذلك:

رأي مدرسة أهل البيت في عدالة الصحابة

ترى مدرسة أهل البيت تبعا للقرآن الكريم: أن في الصحابة مؤمنين أثنى عليهم الله في القرآن الكريم وقال في بيعة الشجرة مثلا:«لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا» الفتح / ١٨. فقد خص الله الثناء بالمؤمنين ممن حضروا بيعة الشجرة ولم يشمل المنافقين الذين

١) الاصابة في تمييز الصحابة للحافظ شهاب الدين احمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني الشافعي المعروف بابن حجر (٧٧٣ ــ ٨٥٢ هـ) وقد رجعنا الى ط المكتبة التجارية سنة ١٣٥٨ هـ بمصر ج ١/١٧ ــ ٢٢.

٢) الاصابة ج ١/١٨ و ابوزرعة هو عبيدالله بن عبدالكريم بن يزيد قال ابن حجر في تقريب التهذيب ج ٢/٥٣٦ الترجمة ١٤٧٩: امام حافظ ثقة مشهور من الطبقة الحادية عشرة من الرواة مات سنة اربع وستين ومأتين وروى عنه من اصحاب الصحاح مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة.

اقول: لست أدري ماذا يقول الامام ابوزرعة في حق المنافقين من اصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله.

حضروها مثل عبدالله بن أبي وأوس بن خولى[١].

وكذلك تبعاً للقرآن ترى فيهم منافقين ذمّهم الله في آيات كثيرة مثل قوله تعالى «وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم» التوبة / ١٠١.

وفيهم من أخبر الله عنهم بالافك، أي من رموافراش رسول الله صلّى الله عليه وآله بالافك[٢] ــ نعوذ بالله من هذا القول ــ وفيهم من أخبر الله عنهم بقوله «واذارأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما» ــ الجمعة / ١١ ــ وكان ذلك عندما كان رسول الله قائما في مسجده يخطب خطبة الجمعة.

وفيهم من قصد اغتيال رسول الله في عقبة هرشي لدى مرجعه من غزوة تبوك[٣] أو من حجة الوداع[٤].

وان التشرف بصحبة النبي صلّى الله عليه وآله ليس أكثر امتيازاً من التشرف بالزواج بالنبي صلّى الله عليه وآله، فان مصاحبتهن له كانت من أعلى درجات الصحبة، وقد قال الله تعالى في شأنهن:«يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا، ومن يقنت منكنّ لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين واعتدنا لهارزقا كريما يانساء النبي لستن كأحد من النساء...» الاحزاب/٣٠ ــ ٣٢.

وقال في اثنتين منها:«ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير» الى قوله تعالى «ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلن يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين، وضرب

١) راجع خبر بيعة الشجرة = بيعة الرضوان في مغازي الواقدي وخطط المقريزي.

٢) اشارة الى قصة الافك التي نزلت في شأنها الايات (١١ ــ ١٧) من سورة النور في براءة ام المؤمنين عائشة عما رميت به كما روتها هي، او في براءة مارية عما رميت به على قول غيرها كما في ج ٢ من احاديث ام المؤمنين عائشة.

٣) مسند أحمد ٣٩٠/٥ و٤٥٣ وراجع صحيح مسلم ١٢٢/٨ ــ ١٢٣ باب صفات المنافقين ومجمع الزوائد ج ١١٠/١ و ج ١٩٥/٦ ومغازي الواقدي ج ١٠٤٢/٣ وامتاع الاسماع للمقريزي ص ٤٧٧ وفي تفسير «هموا بما لم ينالوا به» الاية ٧٤ من سورة التوبة بتفسير الدر المنثور للسيوطي ج ٢٥٨/٣ ــ ٢٥٩.

٤) ورد في احاديث الشيعة ان ذلك كان عند مرجعه من حجة الوداع وبمناسبة واقعة غدير خم بأرض الجحفة، راجع البحار، ط المكتبة الاسلامية بطهران سنة ١٣٩٢ ج ٩٧/٢٨.

الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة... ومريم ابنة عمران...» التحريم من أول السورة الى آخرها.

ومنهم من أخبر عنهم الرسول صلّى الله عليه وآله في قوله عن يوم القيامة:

«وانه يُجاء برجال من امتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول يا رب أصيحابي، فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: «وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم» فيقال ان هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم[1].»

وفي رواية: «ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتى عرفتهم اختلجوا دوني فأقول: أصحابي فيقول لا تدري ما أحدثوا بعدك»[2].

وفي صحيح مسلم: «ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رأيتهم رفعوا الي اختلجوا دوني فلاّقولن أي رب أصيحابي، فليقالن لي انك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[3].

ضابطة لمعرفة المؤمن والمنافق

لمّا كان في الصحابة منافقون لا يعلمهم إلاّ الله، وقد أخبر نبيّه بأنّ عليّاً لا يحبّه إلاّ مؤمن ولا يبغضه إلاّ منافق كما رواه الامام علي (ع)[4] وأمّ المؤمنين

١) البخاري تفسير سورة المائدة (باب) أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك، وتفسير سورة الانبياء، والترمذي أبواب صفة القيامة، باب ماجاء في شأن الحشر وتفسير سورة طه.

٢) البخاري، كتاب الدعوات، باب في الحوض وابن ماجة، كتاب المناسك، باب الخطبة يوم النحر، الحديث ٥٨٣٠ وراجع مسند أحمد ج ٤٥٣/١ وج ٢٨/٣ وج ٤٨/٥.

٣) صحيح مسلم كتاب الفضائل، باب اثبات حوض نبينا الحديث ٤٠.

٤) الامام علي ابن عم الرسول أبي طالب بن عبدالمطلب ولد في جوف الكعبة كما رواه الحاكم في المستدرك ج ٤٨٣/٣ والمالكي في الفصول المهمة والمغازلي الشافعي في المناقب والشبلنجي في نور الابصار ص ٦٩ وكانت ولادته في ١٣ رجب سنة ثلاثين من عام الفيل وبايعه المهاجرون والانصار سنة ٣٥ وضربه ابن ملجم المرادي ليلة التاسعة عشرة من شهر رمضان سنة ٤٠ للهجرة في محراب مسجد الكوفة وتوفي في يوم ٢١ منه، روى عنه اصحاب الصحاح ٥٣٦ حديثاً، راجع ترجمته في الاستيعاب واسد الغابة والاصابة وص ٢٧٦ من جوامع السيرة، وروايته في المنافقين في صحيح مسلم ج ٦١/١ «باب الدليل على ان حب الانصار وعلي من الايمان وبغضهم من علامات النفاق» وصحيح الترمذي ج ١٧٧/١٣، باب مناقب علي، وسنن ابن ماجه الباب الحادي عشر من مقدمته، وسنن النسائي ج ٢٧١/٢، باب علامة المؤمن وباب علامة المنافق من كتاب ←

ام سلمة[١]، وعبدالله بن عباس[٢]، وأبوذر الغفاري[٣] وانس بن مالك[٤] وعمران بن حصين[٥]، وكان ذلك شائعاً ومشهوراً في عصر رسول الله صلّى الله عليه وآله، قال أبوذر: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ بتكذيبهم الله ورسوله والتخلّف عن الصلوات والبغض لعليّ بن ابي طالب[٦].

وقال ابوسعيد الخدري: انّا كنا لنعرف المنافقين ــ نحن معاشر الانصار ــ ببغضهم عليّ بن ابي طالب[٧].

الايمان وشرائعه وخصائص النسائي ص ٣٨، ومسند احمد ج ٨٤/١ و ٩٥ و ١٢٨ وتاريخ بغداد ج ٢٥٥/٢ و ج ٤١٧/٨ و ج ٤٢٦/١٦، وحلية الاولياء لابي نعيم ج ١٨٥/٤ وقال حديث صحيح متفق عليه، وتاريخ الاسلام للذهبي ج ١٩٨/٢، وتاريخ ابن كثير ج ٣٥٤/٧، وبترجمته في كل من الاستيعاب ج ٤٦١/٢ واسد الغابة ج ٢٩٢/٤ وكنز العمال ج ١٠٥/١٥ والرياض النضرة ج ٢٨٤/٢.

١) ام سلمة هند ابنة ابي أمية بن المغيرة القرشي المخزومي كانت قبل رسول الله عند ابي سلمة بن عبدالاسد المخزومي اسلما قديماً وهاجرا الى الحبشة ثم الى المدينة ولما جرح ابوسلمة بأحد وتوفي سنة ثلاث من الهجرة تزوجها رسول الله وكانت مصيبة، وتوفيت بعد قتل الحسين سنة ستين.

روى عنها اصحاب الصحاح ٣٧٨ حديثاً. راجع ترجمتها وترجمة زوجها بأسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٧٦ وتقريب التهذيب ٦١٧/٢.

وحديثها في شأن المنافقين في صحيح الترمذي ج ١٦٨/١٣، ومسند احمد ج ٢٩٢/٦، والاستيعاب ج ٤٦٠/٢، بطرق متعددة وتاريخ ابن كثير ج ٣٥٤/٧، وكنز العمال ط الاولى ١٥٨/٦.

٢) عبدالله ابن عم النبي عباس بن عبدالمطلب: ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي سنة ثمان وستين بالطائف وروى عنه اصحاب الصحاح ١٦٦٠ حديثاً، ترجمته باسد الغابة والاصابة وجوامع السيرة ص ٢٧٦.

٣) ابوذر جندب أو بريد بن جنادة او عبدالله او السكن او غير ذلك: تقدم اسلامه وتأخرت هجرته فشهد ما بعد بدر من غزوات رسول الله توفي منفياً بالربذة سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة روى عنه اصحاب الصحاح ٢٨١ حديثاً ترجمته في التقريب ج ٤٢٠/٢ وجوامع السيرة ص ٢٧٧ والجزء الثاني من عبدالله بن سبا.

٤) انس بن مالك بن النضر الانصاري الخزرجي: روى هو أنه خدم النبي عشر سنين، كان يخلق ذراعيه بخلوق للمعة بياض كانت به، وكان ذلك من دعاء الامام علي عليه لكتمانه الشهادة بحديث الغدير ان يضربه الله ببيضاء لا تواريها العمامة، اشار اليه في الاعلاق النفيسة ص ١٢٢ وتفصيله بشرح نهج البلاغة ٣٨٨/٤ وتوفي في البصرة بعد التسعين، روى عنه اصحاب الصحاح ٢٢٨٦ حديثا، ترجمته باسد الغابة والتقريب وجوامع السيرة ص ٢٧٦، وروايته في شأن المنافقين بكنز العمال ط الاولى ج ١٤٠/٧.

٥) ابونجيد عمران بن حصين الخزاعي الكعبي: اسلم عام خيبر وصحب الرسول وقضى بالكوفة، وتوفي بالبصرة سنة ٥٢؛ روى عنه اصحاب الصحاح ١٨٠ حديثا، وروايته بشأن المنافقين بكنز العمال ط الاولى ج ١٤٠/٧، ترجمته في التقريب ج ٧٢/٢ وجوامع السيرة ص ٢٧٧.

٦) مستدرك الصحيحين ج ١٢٩/٣ وكنز العمال ج ٩١/١٥.

٧) ابوسعيد سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الخدري: شهد الخندق وما بعدها مات بالمدينة سنة

وقال عبدالله بن عباس: إنّا كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ببغضهم علي بن أبي طالب[١].

وقال جابر بن عبدالله الانصاري: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغض عليّ بن أبي طالب[٢].

لهذا كلّه ولقول رسول الله صلّى الله عليه وآله في حقّ الامام عليّ:

«اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»[٣].

فهم يحتاطون في أخذ معالم دينهم من صحابي عادىٰ علياً ولم يواله، حذراً من أن يكون الصحابي من المنافقين الذين لا يعلمهم إلاّ الله.

ثلاث او اربع او خمس وستين وقيل سنة اربع وسبعين وروى عنه اصحاب الصحاح ١١٧٠ حديثا ترجمته باسد الغابة ج ٢٨٩/٢ والتقريب ٢٨٩/١ وجوامع السيرة ص ٢٧٦ وحديثه في شأن المنافقين في صحيح الترمذي ج ١٦٧/١٣ وحلية ابي نعيم ج ٢٨٤/٦.

١) في تاريخ بغداد ج ١٥٣/٣ قال كانوا عند ابن مسعود فتلى ابن عباس «يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار» قال علي بن ابي طالب ثم قال انا كنا نعرف... الحديث.

٢) جابر بن عبدالله بن عمرو الانصاري السلمي: صحابي ابن صحابي شهد بيعة العقبة مع ابيه وشهد ١٧ غزوة مع النبي وصفين مع الامام على ومات بالمدينة بعد السبعين وروى عنه اصحاب الصحاح ١٥٤٠ حديثا ترجمته باسد الغابة ج ٢٥٦/١ ــ ٢٥٧ والتقريب ج ١٢٢/١ وجوامع السيرة ص ٢٧٦ وروايته في شأن المنافقين في الاستيعاب ج ٤٦٤/٢ والرياض النضرة ج ٢٨٤/٢ وفي تاريخ الذهبي ج ١٩٨/٢ ولفظه «ما كنا نعرف منافقي هذه الامة» وفي مجمع الزوائد ج ١٣٣/٩ ولفظه «ما كنا نعرف منافقينا معشر الانصار...».

٣) صحيح الترمذي ج ١٦٥/١٣ باب مناقب علي، وسنن ابن ماجة باب فضل علي الحديث المرقم ١١٦.

وخصائص النسائي ص ٤ و ٣٠ ومسند أحمد ج ٨٤/١ و ٨٨ و ١١٨ و ١١٩ و ١٥٢ و ٣٣٠ و ج ٢٨١/٤ و ٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢ ج ٣٠٧/٥ و ٣٤٧ و ٣٥٠ و ٣٥٨ و ٣٦١ و ٣٦٦ و ٤١٩ و ٥٦٨ ومستدرك الصحيحين ج ١٢٩/٢ و ٩/٣ والرياض النضرة ٢٢٢/٢ ــ ٢٢٥ وتاريخ بغداد ج ٣٧٧/٧ وج ٢٩٠/٨ و ج ٣٤٣/١٢ ومصادر اخرى كثيرة.

الفصل الثالث

خلاصة بحث الصحابة لدى المدرستين

خلاصة بحث الصحابة لدى المدرستين

الصحابي وعدالته في مدرسة الخلافة

ترى مدرسة الخلفاء أن الصحابي من لقي النبي صلّى الله عليه وآله مؤمنا به ولو ساعة من نهار ومات على الاسلام.

وأنه لم يبق بمكة والطائف أحد سنة عشر الا من أسلم وشهد مع النبي صلّى الله عليه وآله حجة الوداع.

وأنه لم يبق في الاوس والخزرج أحد في آخر عهد النبي صلّى الله عليه وآله الا دخل في الاسلام.

وأنهم «كانوا في الفتوح لا يؤمرون الا الصحابة» وبهذه القاعدة عدّوا جمعاً في عداد الصحابة ممن برهنّا في كتابنا «خمسون ومائة صحابي مختلق» أنهم مختلقون لم يكن لهم وجود في التاريخ.

وترى أن جميع الصحابة عدول لا يتطرق اليهم الجرح ومن انتقص احدا منهم فهو من الزنادقة، ثم يلتزمون بصحة كل ما رواه من سمي في اصطلاحهم بالصحابي، ويأخذون من جميعهم معالم دينهم.

الصحابي في مدرسة أهل البيت

ترى مدرسة أهل البيت أن لفظ الصحابي ليس مصطلحا شرعيا، وانما شأنه شأن سائر مفردات اللغة العربية، و«الصاحب» في لغة العرب بمعنى الملازم والمعاشر

ولا يقال الا لمن كثرت ملازمته، والصحبة نسبة بين اثنين ولذلك لا يستعمل الصاحب وجمعه الاصحاب والصحابة في الكلام الا مضافا كما ورد في القرآن الكريم «يا صاحبي السجن» و «أصحاب موسى» وكذلك كان يستعمل في عصر الرسول صلّى الله عليه وآله ويقال: صاحب رسول الله، وأصحاب رسول الله مضافا الى رسول الله صلّى الله عليه وآله، أو مضافا الى غيره مثل قولهم «أصحاب الصفة»، لمن كانوا يسكنون صفة مسجد الرسول صلّى الله عليه وآله، ثم استعمل الصحابي بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله بلا مضاف اليه وقصد به اصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وصار اسماً لهم، وعلى هذا فان «الصحابي» و «الصحابة» من اصطلاح المتشرعة وتسمية المسلمين وليس اصطلاحا شرعيا.

امّا عدالتهم: فان مدرسة اهل البيت ترى تبعا للقرآن الكريم ان في الصحابة منافقين مردوا على النفاق، ورموا فراش رسول الله صلّى الله عليه وآله بالافك، وحاولوا اغتيال رسول الله صلّى الله عليه وآله، واخبر عنهم الرسول انهم يوم القيامة يختلجون دون رسول الله صلّى الله عليه وآله، فينادي اصحابي اصحابي، فيقال له انّك لا تدري ما احدثوا بعدك، لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم.

وانّ منهم مؤمنين اثنى الله عليهم والرسول صلّى الله عليه وآله في احاديثه، وانهم المقصودون في ما ورد من الثناء في القرآن والحديث، وقد عيّن النبي صلّى الله عليه وآله العلامة الفارقة بين المؤمن والمنافق حب الامام علي وبغضه، ومن ثم فانهم ينظرون في حال الراوي فان كان ممن قاتل الامام علي او الائمة من اهل البيت وعاداهم فانهم لا يلتزمون باخذ ما يروي امثال هؤلاء صحابيا كان او غير صحابي.

كان هذا رأي المدرستين في تعريف الصحابي وعدالته، وفي ما يلي رأيهما في الامامة والخلافة.

البحث الثاني
بحوث المدرستين في الامامة

الفصل الاوّل: الواقع التاريخي للخلافة في صدرالاسلام
الفصل الثاني: بحوث مدرسة الخلفاء في الامامة
الفصل الثالث: بحوث مدرسة أهل البيت(ع) في الامامة
الفصل الرابع: خلاصة بحث الامامة لدى المدرستين

الفصل الاول

الواقع التاريخي للخلافة في صدر الاسلام

ينبغي لنا قبل الشروع في دراسة رأي المدرستين في الامامة والخلافة أن ندرس الواقع التاريخي لاقامة الخلافة في صدر الاسلام، فنقول:

الواقع التاريخي للخلافة في صدر الاسلام

بُدىء الخلاف في أمر الحكم في الاسلام يوم وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله عقد لواءا بيده لمولاه وابن مولاه أسامة بن زيد لحرب الروم، وأمّره على جيش لم يبق أحد من وجوه المهاجرين الاولين والانصار إلا انتدب فيه، فيهم أبوبكر، وعمر بن الخطاب، وأبوعبيدة، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد... فعسكر بالجرف ــ موضع على ثلاثة أميال من المدينة ــ، فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين، فغضب رسول الله صلّى الله عليه وآله غضباً شديدا، وخرج معصبا، عليه قطيفة، فصعد المنبر وقال: «ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولقد طعنتم في امارة أبيه قبله. وأيم الله ان كان للامارة خليقا، وانَّ ابنه من بعده لخليق للامارة» ثم نزل، وجاءه الذين يخرجون مع أسامة يودعونه ويمضون الى المعسكر. وثقل رسول الله صلّى الله عليه وآله وجعل يقول: «انفذوا بعث أسامة» فلما كان يوم الاحد اشتد برسول الله صلّى الله عليه وآله وجعه.

وفي يوم الاثنين أمر أسامة الجيش بالرحيل، فجاءهم الخبر أن رسول الله صلّى

الله عليه وآله يموت، فأقبل أسامة وعمر وأبوعبيدة الى المدينة[١].

أمر كتابة وصية رسول الله صلّى الله عليه وآله

روى ابن عباس وقال:

لما حضر النبي صلّى الله عليه وسلّم وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال: «هلمّ أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده»، قال عمر: ان النبي غلبه الوجع وعندكم كتاب الله، فحسبنا كتاب الله، واختلف أهل البيت فمنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف قال: «قوموا عني، لا ينبغي عندي التنازع»[٢].

وفي رواية: بكى ابن عباس حتى خضب دمعه الحصباء فقال: اشتد برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجعه، فقال: «آتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا»، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ التنازع فقالوا هجر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم..[٣].

وفي رواية فكان ابن عباس يقول، أن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم[٤].

موقف الخليفة عمر في وفاة الرسول صلّى الله عليه وآله

توفي رسول الله صلّى الله عليه وآله نصف النهار يوم الاثنين وأبوبكر غائب بالسنح، وعمر حاضر، فاستأذن عمر ودخل عليه مع المغيرة بن شعبة، وكشف الثوب عن وجهه، وقال عمر: واغشياه ما أشد غشي رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقال

١) أوردتها ملخصة من طبقات ابن سعد ط. بيروت ج ٢/١٩٠ ــ ١٩٢ وراجع بقية مصادره في باب بعث أسامة من عبدالله بن سبأ ج ٢.

٢) البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم.

٣) البخاري، باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد، وباب اخراج اليهود من جزيرة العرب، وفي صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ترك الوصية، وراجع سائر مصادر الخبر ونصوصه في أول خبر السقيفة في حديث غير سيف من كتاب عبدالله بن سبأ ط. ٥ بيروت، سنة ١٤٠٣ هـ، ج ١/٩٨ ــ ١٠٢.

٤) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب كراهية الخلاف، وباب قول المريض قوموا عني من كتاب المرضى، وفي باب مرض النبي من كتاب المغازي، وبآخر باب ترك الوصية من كتاب الوصية من صحيح مسلم وسائر مصادره في كتاب عبدالله بن سبأ ١/١٠١.

المغيرة: مات والله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال عمر: كذبت ما مات رسول الله صلّى الله عليه وآله، ولكنك رجل تحوسك فتنة، ولن يموت رسول الله حتى يُفني المنافقين[١].

أخذ عمر يقول: ان رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفي، ان رسول الله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى عن قومه وغاب أربعين ليلة، والله ليرجعنّ رسول الله فليقطعنّ أيدي رجال وأرجل من يزعمون أنه مات[٢]، من قال انه مات علوت رأسه بسيفي، وانما ارتفع الى السماء[٣].

فتلي عليه في المسجد «وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم»[٤].

وقال العباس بن عبد المطلب: ان رسول الله قد مات واني رأيت في وجهه ما لم أزل أعرفه في وجوه بني عبد المطلب عند الموت،وقال: هل عند أحدكم عهد من رسول الله صلّى الله عليه وآله في وفاته فليحدثنا،قالوا: لا، فقال:اشهدوا أيها الناس انّ أحداً لا يشهد على رسول الله بعهد عهد اليه في وفاته...[٥].

فما زال عمر يتكلّم حتى ازبد شدقاه[٦]، حتى جاء الخليفة أبوبكر من السنح وتلا: «وما محمّد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ــ الاية» فقال عمر:هذا في كتاب الله؟ قال: نعم،فسكت عمر[٧].

١) مسند أحمد ٢١٩/٦ وسائر مصادره في عبدالله بن سبأ ج ١٠٢/١ ــ ١٠٣.

٢) تاريخ الطبري ط. اوربا ١٨١٨/١.

٣) تاريخ أبي الفداء ١٦٤/١.

٤) رواه ابن سعد في طبقاته ج ٢ ق ٥٧/٢، وفي كنز العمال ج ٥٣/٤ رقم الحديث ١٠٩٢، وابن كثير في ج ٢٤٣/٥ من تاريخه. ورواه الاميني في غديره عن شرح المواهب للزرقاني ج ٢٨١/٨. وراجع ابن ماجة الحديث: ٦٢٧،والاية: ١٤٤ من سورة آل عمران.

٥) رواه ابن سعد في طبقاته ج ٢ / ق ٥٧/٢. وابن كثير في تاريخه ج ٢٤٣/٥، وفي السيرة الحلبية ج ٣٩٠/٣ ــ ٣٩١، وكنز العمال ج ٥٣/٤، الحديث: ١٠٩٢، والتمهيد للباقلاني ص ١٩٢ ــ ١٩٣.

٦) أنساب الاشراف ج ٥٦٧/١، وابن سعد ج ٢ / ق ٥٣/٢، وكنز العمال ج ٥٣/٤، تاريخ الخميس ج ١٨٥/٢، والسيرة الحلبية ج ٣٩٢/٣.

٧) الطبقات لابن سعد ج ٢ ق ٥٤/٢، والطبري ١٨١٧/١ ــ ١٨١٨، وابن كثير ج ٢٤٣/٥، والسيرة الحلبية ج ٣٩٢/٣، وابن ماجة، الحديث: ١٦٢٧، وان هذه الآية التي قرأها على عمر هي التي كان ابن ام مكتوم قد قرأها عليه قبل ذلك. وكان التشكيك في موت الرسول يوم وفاته من خصائص الخليفة عمر بن الخطاب، فان أصحاب السير والمؤرخين لم يذكروا هذا التشكيك عن غيره.

السقيفة وبيعة أبي بكر

اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة، وتبعهم جماعة من المهاجرين، ولم يبق حول رسول الله الا أقاربه، وهم تولّوا غسله وتكفينه وهم: علي والعباس، وابناه الفضل وقثم، واسامة بن زيد، وصالح مولى رسول الله، وأوس بن خولى الانصاري[1].

السقيفة برواية الخليفة عمر

قال: انه كان من خبرنا حين توفّى الله نبيَّه، ان الانصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة وخالف عنا علي والزبير ومن معهما فقلت لابي بكر: انطلق بنا الى اخواننا الانصار، فانطلقنا حتى أتيناهم، فاذا رجل مزمّل، فقالوا هذا سعد بن عبادة يوعك، فلما جلسنا قليلا، تشهد خطيبهم فأثنى على الله ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الله، وكتيبة الاسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط ... فأردت أن أتكلم، فقال أبوبكر على رسلك، فتكلم هو، والله ماترك من كلمة أعجبتني في تزويري الا قال مثلها أو أفضل قال: ما ذكرتم فيه من خير له أهل، ولن يعرف هذا الامر الا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبا ودارا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد عبيدة فلم أكره مما قال غيرها، فقال قائل من الانصار: إنّا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثر اللغط، وارتفعت الاصوات، حتى فرقت من الاختلاف، فقلت: أبسط يدك يا أبابكر، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الانصار ونزونا على سعد بن عبادة الى قوله:

فمن بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلا يُبايَع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا[2].

روى الطبري[3] في ذكر خبر السقيفة وبيعة أبي بكر وقال:

١) راجع النص لابن سعد في الطبقات: ج ٢ / ق ٢/ ٧٠، وفي البدء والتاريخ قريب منه. وكنز العمال ج ٤/ ٥٤ و ٦٠، وهذه عبارته: «ولي دفنه وأجنانه أربعة من الناس» ثم ذكر ما أوردناه، والعقد الفريد ٣/ ٦١ وقريب منه نص الذهبي في تاريخه: ١/ ٣٢١ و ٣٢٤ و ٣٢٦.

٢) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزّنا (٤/ ١٢٠)

٣) نقلنا هذا الخبر ملخصا من تاريخ الطبري في ذكره حوادث بعد وفاة الرسول، وما كان من غير الطبري أشرنا اليه في الهامش، وقد اوردنا تفصيل الخبر في كتاب «عبدالله بن سبأ» الجزء الاول.

اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة، وتركوا جنازة الرسول يغسله أهله، فقالوا: «نولي هذا الامر بعد محمد سعد بن عبادة، وأخرجوا سعدا اليهم وهو مريض..».

فحمد الله وأثنى عليه، وذكر سابقة الانصار في الدين وفضيلتهم في الاسلام، واعزازهم للنبي وأصحابه وجهادهم لاعدائه، حتى استقامت العرب، وتوفي الرسول وهو عنهم راض، وقال: استبدوا بهذا الامر دون الناس فأجابوه بأجمعهم: أن قد وفقت في الرأي، وأصبت في القول ولن نعدو ما رأيت نوليك هذا الامر، ثم انهم ترادوا الكلام بينهم، فقالوا: فإن أبت مُهاجِرَة قُرَيش؟ فقالوا نحن المهاجرون، وصَحابة رسول الله الأولون، ونحن عَشِيرته، وأولياؤه، فعلامَ تنازعوننا هذا الأمر بعده؟ فقالت طائفة منهم: فإنّا نقول إذاً: منّا أمير ومنكم أمير، فقال سَعْد بن عبادَة: هذا أوّل الوهن [1].

سمع أبوبَكْر وعُمَرُ بذلك، فأسرعا إلى السَّقِيفَة مع أبي عُبَيْدة بن الجرَّاح [2] وانحاز معهم أُسَيد بن حُضَيْر [3] وعُويم بن ساعِدَة [4] وعاصِم بن عَدِيّ [5] من بني العَجْلان [6].

١) الطبري في ذكره لحوادث سنة ١١ هـ، ج ٢/٤٥٦ ط. اوربا ج ١/١٨٣٨ عن عبدالله بن عَبدالرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، وابن الاثير ٢/١٢٥ وتاريخ الخلفاء لابن قتيبة ج ١/٥ قريب منه وأبوبكر الجَوهَري في كتابه السقيفة ج ٢ من ابن أبي الحديد في خطبة «ومن كلام له في معنى الأنصار».

٢) راجع قبله ص ٨٨.

٣) ورد اسمه في سيرة ابن هِشام ٤/٣٣٥، وأسيد بن حُضَير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرىء القيس ابن زيد بن عبد الأشهل بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي، شهد العقبة الثانية وكان ممن ثبت في أحد، وشهد جميع مشاهد النبي وكان أبوبكر لا يقدم أحداً من الأنصار عليه. توفي سنة ٢٠ أو ٢١ هـ فحمل عمر نعشه بنفسه، الاستيعاب ج ١/٣١ ــ ٣٣ والاصابة ج ١/٦٤.

٤) أعويم بن ساعدة بن عائِش بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الاوسي، شهد العقبة وبدر وما بعدها، وتوفي في خلافة عمر وبترجمته في النبلاء انه كان أخا الخليفة عمر. وقال عمر على قبره: «لا يستطيع أحد من أهل الأرض أن يقول: أنا خير من صاحب هذا القبر.». الاستيعاب ج ٣/١٧٠ والاصابة ج ٣/٤٥ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٥٨.

٥) عاصم بن عدي بن الجدّ بن العَجْلان بن حارثة بن ضُبَيْعَة بن حَرام البَلَوِيّ العَجْلاني، حليف الأنصار وكان سَيّد بني عَجْلان، شهد أحداً وما بعدها، توفي سنة ٤٥ هجرية، الاستيعاب ج ٣/١٣٣، والاصابة ج ٢/٢٣٧ وأسد الغابة ج ٣ / ص ٧٥.

٦) ابن هِشام ٤: ٣٣٩.

تكلّم أبوبَكر ــ بعد أن منع عُمَر عن الكلام ــ وحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر سابقة المُهاجِرين في التصديق بالرسول دون جميع العرب، وقال: «فهم أول من عبدالله في الأرض وآمن بالرسول وهم أولياؤه، وعشيرته، وأحقّ الناس بهذا الأمر من بعده، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم»، ثم ذكر فضيلة الأنصار، وقال: «فليس بعد المُهاجِرين الأوّلين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء. وأنتم الوُزَراء».

فقام الحباب بن المنذر، وقال: «يا معشر الأنصار أملكوا عليكم أمركم فإن الناس في فيئكم، وفي ظلكم، ولن يجترىء مجترىء على خلافكم ولا تختلفوا، فيفسد عليكم رأيكم، وينتقض عليكم أمركم. فان أبى هؤلاء إلا ما سمعتم، فمنا أمير ومنهم أمير».

فقال عمر: هيهات! لا يجتمع اثنان في قرن... والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم. ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم، وولي أمورهم منهم. ولنا بذلك على من أبى الحجة الظاهرة، والسلطان المبين من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته[1] إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة.

فقام الحباب بن المُنْذِر[2] وقال: يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموهم، فاجلوهم عن هذه البلاد، وتولوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم، فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من لم يكن يدين به. انا جُذَيْلُها المُحَكّك[3]

١) لما سمع علي بن أبي طالب هذا الاحتجاج من المهاجرين قال: احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة، النهج وشرحه ج ٢ في الصفحة الثانية منه.

٢) الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري شهد بدراً وما بعدها، وتوفي في خلافة عمر، الاستيعاب ج ١/٣٥٣ والإصابة ج ١/٣٠٢ وأسد الغابة ١/٣٦٤. ونسبه في جمهرة ابن حزم ص ٣٥٩.

٣) جُذيلها، تصغير الجذل: أصل الشجرة والمحكك عود ينصب في مبارك الإبل لتتمرس به الإبل الجربى.

وعُذَيْقُها المُرَجَّب[١] أما والله لو شئتم لنُعيدنها جَذَعَة[٢]. قال عُمَر: إذاً يقتلك الله.

قال: بل إيّاك يقتل.

فقال أبو عُبَيدة: «يا معشر الأنصار إنكم كنتم أول من نصر وآزر، فلا تكونوا أول من بَدَّل وغَيَّر».

فقام بَشِير بن سَعْد الخَزْرَجِيّ أبو النُعْمان بن بَشِير، فقال: «يا معشر الأنصار إنا والله لئن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين ما أردنا به إلا رضا ربّنا، وطاعة نبينا، والكدح لأنفسنا، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك، ولا نبتغي به من الدنيا عرضاً، فإن الله ولي النعمة علينا بذلك، ألا إن محمّداً صلى الله عليه وسلم من قريش، وقومه أحقُّ به، وأولى، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً، فاتقوا الله، ولا تخالفوهم، ولا تنازعوهم.»

فقال أبوبكر: هذا عُمَر وهذا أبوعُبَيْدَة فأيها شئتم فبايعوا، فقالا: «والله لا نتولى هذا الأمر عليك»[٣] الخ.

«وقام عَبْدُ الرَّحمٰن بن عَوْف، وتكلم فقال: «يا معشر الأنصار إنكم وإن كنتم على فضل، فليس فيكم مثل أبي بَكْر وعُمَر وعَلِيّ». وقام المُنذِرُ بن الأرقَم فقال: ما ندفع فضل من ذكرت، وإن فيهم لرجلاً لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد ــ يعني عَلِيَّ بن أبي طالب»[٤].

«فقالت الأنصار أو بعض الانصار: لا نبايع إلا عَلِياً»[٥].

«قال عُمَر: فكثُر اللغط وارتفعت الأصوات حتى تَخَوَّفت الاختلاف فقلت ابسط[٦] يدك لأبايعك»[٧] فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بَشِير بن سَعْد فبايعه فناداه

١) وعذيق تصغير العذق وهي النخلة، والمرجب ما جعل له رجبة وهي دعامة تبتنى من الحجارة حول النخلة الكريمة إذا طالت وتخوفوا عليها أن تنعقر في الرياح العواصف.

٢) أعدت الأمر جذعاً أي جديداً كما بدأ، وإذا طفئت حرب بين قوم فقال بعضهم إن شئتم أعدناها جذعة أي: أول ما يبتدأ فيها.

٣) لم نسجل هنا بقية الحوار وتعليقنا عليه طلباً للاختصار.

٤) رواه اليعقوبي بعد ذكر ما تقدم في ص ١٠٣ ج ٢ من تاريخه والموفقيات للزبير بن بكار.

٥) في رواية الطبري ج ٣ ص ٢٠٨ (وط ــ اوربا ج ١/١٨١٨) عن ابراهيم، وابن الأثير ٢/١٢٣ «أن الأنصار قالت ذلك بعد أن بايع عمر أبابكر».

٦) قد قال عمر لأبي بكر أبسط يدك لابايعك.

٧) عن سيرة ابن هشام ٤/٣٣٦ وجميع من روى حديث الفَلتة، راجع بعده حديث الفلتة في ذكر رأي

الحباب بن المُنْذِر: يا بَشِير بن سَعْد عَقَقْتَ عَقاق! أنفَسْتَ على ابن عمِّك الامارة، فقال:لا والله ولكني كرهت أن أنازع قوماً حقاً جعله الله لهم. ولما رأت الأوس ما صنع بَشِير بن سَعْد وما تدعو إليه قُرَيش وما تطلب الخَزْرج من تأمير سَعْد بن عبادة، قال بعضهم لبعض، وفيهم أُسَيْد ابن حُضَيْر وكان أحد النُقباء: والله لئن وليتها الخزرج عليكم مَرَّة لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً فقوموا فبايعوا أبابَكْر[1].

فقاموا إليه فبايعوه فانكسر على سَعْد بن عبادَة وعلى الخَزْرَج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم... فأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبابكر وكادوا يطؤون سَعْدَ بن عبادَة.

فقال أناس من أصحاب سَعْد: اتّقوا سَعْداً لا تَطؤوه.

فقال عُمر: اقتلوه قتله الله.

ثم قام على رأسه فقال: لقد هَمَمْتُ أن أطأك حتى تَنْدُر عُضوُك. فأخذ قَيْسُ بن سَعْد بلحية عُمر فقال: والله لو حَصَصْت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة.

فقال ابوبَكر: مهلاً يا عُمر الرفق ها هنا أبلغ.

فأعرض عنه عُمَر[2].

وقال سَعْد: أما والله لو أن بي قُوّة ما أقوى على النهوض لسمعت مِنّي في أقطارها وسككها زَئيراً يُجْحِرُك وأصحابك، أما والله إذاً لألحقنَّك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع، احملوني من هذا المكان. فحملوه فأدخلوه داره[3].

وروى أبوبكر الجَوْهَرِيّ: «أن عمر كان يومئذ ــ يعني يوم بويع أبوبكر ــ مُحتَجزاً يُهرول بين يدي أبي بكر ويقول: ألا إنّ الناس قد بايعوا أبابَكْر[4]» الخ.

عمر في بيعة أبي بكر.

١) وفي رواية أبي بكر في سقيفته: لما رأت الأوس أن رئيساً من رؤساء الخزرج قد بايع قام أسيد بن حضير وهو رئيس الأوس فبايع حسداً لسعد ومنافسة له أن يلي الأمر. راجع شرح النهج ج ٢/٢ في شرحه «ومن كلام له في معنى الانصار».

٢) إن هذا الموقف يوضح بجلاء جماع سياسة الخليفتين من شدة ولين.

٣) الطبري: ص ٤٥٥ ــ ٤٥٩، وط، اوروبا ١٨٤٣/١ «وتندر عضوك» كذا ورد ويعني تسقط اعضاؤك.

٤) في كتابه السَقِيفَة، راجع ابن أبي الحديد: ١٣٣/١. وفي ٧٤ منه بلفظ آخر.

«بايع الناس أبابَكْر وأتوا به المسجد يبايعونه فسمع العبّاس وعَليّ التكبير في المسجد ولم يفرغوا من غسل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم».

فقال عليّ: ما هذا؟

قال العباس: ما رُؤي مثل هذا قَطّ!! ما قلت لك[1]؟!.

النذير

وجاء الْبَرَاء بن عازِب فضرب الباب على بني هاشِم وقال:

يا معشر بني هاشِم! بويع أبوبَكْر.

فقال بعضهم لبعض: ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه ونحن أولى بمحمد!!.

فقال العباس: فعلوها ورَبِّ الكعبة!

وكان عامة المهاجرين وجلّ الانصار لا يشكّون أن علياً هو صاحب الامر بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله[2].

وكان المهاجرون والأنصار «لا يَشُكّون في عليّ».

روى الطبري: «أنّ أسلَمَ أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السِّكك فبايعوا أبابَكْر فكان عُمَر يقول:

ما هو إلا أن رأيت أسْلَمَ فأيقنت بالنصر»[3].

فلما بويع أبوبَكْر أقبلت الجماعة التي بايعته تَزُفُّهُ زَفّاً إلى مَسْجِدِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فصعد على المِنبر ــ مِنبر رسول الله (ص) ــ فبايعه الناس حتى أمسى، وشُغِلُوا عن دفن رسول الله حتى كانت ليلة الثلاثاء[4].

١) ابن عبد ربه في العقد الفريد ٣:٦٣، وأبوبكر الجَوْهري في كتابه السَقِيفَة برواية ابن أبي الحديد عنه في ج ٢/١٣٣ ويروى تفصيله في ٧٤ منه والزبير بن بكار في الموفقيات كما يروي عنه ابن أبي الحديد في شَرْح النهج ج ٢ في شرحه «ومن كلام له في معنى الأنصار».

٢) الموفقيات للزبير بن بكار، ص ٨٥٠.

٣) الطبري ج ٢/٤٥٨. وط. أوروبا ١/١٨٤٣ وفي رواية ابن الأثير ٢/٢٢٤ «وجاءت أسلم فبايعت» وقال الزبير بن بكار في المُوَفَّقِيات برواية النهج ج ٦/٢٨٧ «فقوي بهم أبوبكر» ولم يعيّنا متى جاءت أسلم ويقوى الظنّ أن يكون ذلك يوم الثلاثاء. وقال المفيد في كتابه «الجَمَل» ان القَبيلة كانت قد جاءت لتمتار من المدينة (الجمل ص ٤٣).

٤) الموفقيات، ص ٥٧٨، والرياض النضرة ١/١٦٤، وتاريخ الخميس ج ١/١٨٨.

البَيْعَةُ العامّة

«ولما بويع أبوبكر في السَّقيفَة وكان في الغد جلس أبوبكر على المنبر، فقام عُمَرُ فتكلّم قبل أبي بكْرٌ فحمد الله وأثنى عليه.. وذكر أنَّ قوله بالأمس لم يكن من كتاب الله ولا عهداً من رسوله ولكنَّه كان يرى أن الرسول سَيُدَبِر أمرهم ويكون آخرهم» ثم قال:

«وإنّ الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هَدى رسولَه، فان اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلم ثاني اثنين إذ هما في الغار فقوموا فبايعوه».

فَبايع الناس أبابَكْر بيعته العامَّة بعد بيعة السَّقيفة.

وفي البُخاري: «وكان طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سَقِيفَة بني ساعِدَة، وكانت بَيعة أبي بَكْر العامة على المنبر». قال أنَس بن مالك: «سمعت عُمر يقول لأبي بكر يومئذ إصعَد المنبر، فلم يزل به حتّى صعد المنبر فبايعه الناس عامّة».

ثم تكلّم أبوبَكْر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أمّا بعد أيّها الناس فانّي قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوّموني... - إلى قوله: - أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله[1]».

بعد بيعة أبي بَكْر العامَّة

«تُوفّي رسول الله يوم الإثنين حين زاغت الشّمس فشغل الناس عن دفنه[2]».

شُغِلَ الناس عن رسول الله بقية يوم الإثنين حتى عصر الثلاثاء، شغل الناس

١) ابن هِشام، ٣٤٠/٤. والطبري، ٢٠٣/٣ (وط. اوروبا ١٨٢٩/١) وعُيون الأخبار لابن قتيبة، ٢٣٤/٢. والرياض النَّضِرة، ١٦٧/١. وابن كثير، ٢٤٨/٥. والسّيوطي في تاريخ الخلفاء: ٤٧. وكنز العمال، ١٢٩/٣، الحديث: ٢٢٥٣، والحَلبيّة ٣٩٧/٣، وذكر البُخاري في صَحيحه ص ١٦٥ من ج ٤ كتاب البيعة عن أنس، خطبة عمر باختلاف يسير.

وممن ذكر خُطبة أبي بكر فقط، أبوبكر الجَوهَري في كِتابه السقيفة حسب رواية ابن أبي الحديد عنه، ١٣٤/١، وصفوة الصفوة، ٩٨/١.

٢) طَبَقات ابن سَعْد ج ٢. ق ٢ ص ٧٨ ط ليدن.

بخُطَبِ السَّقِيفة. ثم ببَيعة أبي بكر الأولى ثم ببيعته العامّة وخُطبته وخُطبة عمر حتى أن صلى بهم.

قالوا: «فلمّا بويع أبوبَكْر أقبل الناس على جَهاز رسول الله يوم الثلاثاء»[1] «ثم دخل الناس يُصَلّون عليه»[2] «وصُلّي على رسول الله بغير إمام. يدخل عليه المسلمون زُمَراً زُمَراً يُصَلّون عليه»[3].

دفن رسول الله ومن حَضر دفنه

«وَلِيَ وضع رسول الله في قبره هؤلاء الرهط الذين غسلوه: العَبّاس وعَليّ والفَضْل وصالح مولاه. وخَلّى أصحاب رسول الله بين رسول الله وأهله فولوا إجنانه[4]».

«ودخل القبر عَليّ، والفَضْل وقُثَم ابنا العبّاس، وشُقران مولاه. ويقال: أسامة بن زَيد وهم تَوَلّوا غسله وتكفينه وأمره كله[5]». «وإن أبابكر وعمر لم يشهدا دفن النبي[6]».

وقالت عائشة: «ما علمنا بدفن الرسول حتى سَمِعنا صَوْت المَساحِي من جَوف الليل ليلة الأربعاء[7]».

«ولَم يَلِه إلا أقاربه ولقد سَمِعَتْ بنوغَنْمٍ صَريف المساحي حين حضر وإنّهم

١) سيرة ابن هشام: ٣٤٣/٤ والطبري: ٤٥٠/٢ (وط. اور با ج ١٨٣٠/١). وابن الأثير: ١٢٦/٢. وابن كثير: ٢٤٨/٥. والحلبية: ٣٩٢/٣ و ٣٩٤. وهذا الاخير لم يعين اليوم الذي انتهوا فيه من بيعة أبي بكر وأقبلوا على جهاز رسول الله.

٢) ابن هشام ٣٤٣/٤.

٣) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢ ص ٧٠ والكامل لابن الأثير ج ٢ في ذكر حوادث سنة ١١ هـ.

٤) النص لابن سعد في الطبقات: ٢ / ق ٧٠/٢ وفي البدء والتاريخ قريب منه. وكنز العمال ٥٤/٤ و ٦٠ وهذه عبارته: «ولي دفنه واجنانه أربعة من الناس» ثم ذكر ما أوردناه.

٥) العقد الفريد: ٦١/٣. وقريب منه نص الذهبي في تاريخه: ٣٢١/١ و ٣٢٤ و ٣٢٦.

٦) كنز العمال: ١٤٠/٣.

٧) ابن هشام: ٣٤٤/٤ والطبري: ٤٥٢/٢ و ٤٥٥ (وط. اور با ج ١٨٣٣/١ و ١٨٣٧) وابن كثير: ٢٧٠/٥ وابن الأثير في أسد الغابة: ٣٤/١، في ترجمة الرسول وقد ورد في روايات أخرى أن سَماعهم صريف المساحي كان ليلة الثلاثاء كما في طبقات ابن سعد: ٢ / ق ٧٨/٢ وتاريخ الخميس ١٩١/١. والذهبي في تاريخه ٣٢٧/١ والأصح أن ذلك كان ليلة الأربعاء. وفي مسند أحمد ٦٢/٦: في آخر ليلة الأربعاء وفي ص ٢٤٢ منه و ص ٢٧٤: «ما علمنا أين يدفن حتى سمعنا...».

لفي بيوتهم[١]».

وقال شيوخ الأنصار من بني غَنْم: «سمعنا صوت المساحي آخر الليل[٢]».

بعد دفن الرسول

اندحر سَعْد ومُرَشِّحوه، وبقي عَليّ وجماعته ــ بعد أن أصبحوا أقلّية ــ يتناحرون وحزب أبي بكْر الظافر وكل يجتهد في جلب الأنصار لحوزته. قال الزبير بن بكار في الموفقيات: لما بويع أبوبكر واستقر أمره، ندم قوم كثير من الانصار على بيعته ولام بعضهم بعضا، وذكروا علي بن أبي طالب وهتفوا باسمه[٣].

قال اليعقوبي[٤]: «وتخلّف عن بَيعة أبي بَكْر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علي بن أبي طالب منهم العَبّاس بن عَبْد المُطلب والفَضْل بن العَبّاس، والزُبَير بن العَوام، وخالِد بن سَعِيد، والمِقْداد بن عَمْرو[٥]، وسَلْمان الفارِسِيّ، وأبوذَرّ الغِفاري، وعمّار بن ياسِر، والبَراء بن عازِب[٦]، وأبيّ بن كَعْب[٧] فأرسل أبوبكر إلى

١ و ٢) ابن سعد ٢/ق ٢/٧٨.

٣) الموفقيات: ص ٥٨٣.

٤) في تاريخه ج ٢/١٠٣، والسَّقيفة لأبي بكر الجَوهَري حسب رواية ابن أبي الحديد ٢/١٣، والتفصيل في ص ٧٤ منه. وبلفظ قريب منه في الإمامة والسياسة ج ١/١٤.

٥) المِقداد بن الأسود الكِندي هو ابن عَمْرو بن ثَعلَبة بن مالِك بن رَبيعَة بن عامر بن مَطْرُود البَهْراني.

أصاب دماً في قومه فلحق بحَضْرَمَوْت فحالف كِندة وتزوج امرأة فولدت له المقداد فلما كبر المقداد وقع بينه وبين ابي شَمِر بن حجر الكِندي فضرب رجله بالسيف وهرب إلى مكّة فحالف الأسود بن عَبْد يَغُوث الزُهري فتبنّاه الأسود فصار يقال له: المِقداد بن الأسود الكِندي. فلما نزلت «ادعوهم لآبائهم» قيل له: المِقداد بن عَمْرو. وقال الرسول: «إن الله عز وجل أمرني بحبّ أربعة من أصحابي وأخبرني أنه يحبهم».

فقيل: من هم؟

فقال: «عَلي والمِقْداد وسَلْمان وأبوذَرّ». تُوفي سنة ٣٣ هـ. الاستيعاب ج ٣/٤٥١ والإصابة ج ٣ ص ٤٣٣ ــ ٤٣٤.

٦) أبو عَمرو البَراء بن عازِب بن الحارِث بن عَدِيّ بن جَشم بن مجدعة بن الحارث بن عَمرو بن مالك بن الأوس الانصاري الأوسي، كان ممّن استصغره الرسول يوم بَدْر وردّه. وغزا مع الرسول ١٤ غزوة وشهد مع علي الجمل وصِفِيّن والنَّهرَوان. سكن الكُوفة وابتنى بها داراً وتوفي بها في إمارة مُصعب بن الزُبَير. الاستيعاب ج ١/١٤٤، والإصابة ج ١ ص ١٤٧.

٧) أبيّ بن كَعب بن قَيْس بن عُبَيْد بن زَيْد بن مُعاوِيَة بن عمرو بن مالِك بن النَّجار وهو تَيم اللات بن

عمر بن الخَطّاب وأبي عُبَيْدَة بن الجَرّاح، والمُغيرَة بن شُعْبَة.

فقال: ما الرأي؟

قالوا:[١] الرأي أن تلقى العبّاس بن عَبْد المُطّلِب فتجعل له في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه من بعده فتقطعون به ناحية عَليّ بن أبي طالب «وتكون لكما حجّة[٢]» على عَليّ إذا مال معكم.

فانطلق أبوبَكْر، وعُمَر، وأبوعُبَيْدَة بن الجرّاح، والمُغيرَة، حتى دخلوا على العبّاس ليلاً[٣] فحمد الله أبوبَكْر وأثنى عليه، ثم قال:

«إن الله بعث مُحمَّداً نبياً، وللمؤمنين وَلياً، فمَنَّ عليهم بكونه بين أظهرهم حتى اختار له ما عنده فخلّى على الناس أمورهم[٤] ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم مشفقين[٥] فاختاروني عليهم والياً ولأمورهم راعياً، فوليت ذلك وما أخاف بعون الله وتسديده وَهناً، ولا حيرة، ولا جُبناً، وما توفيقي إلا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب، وما أنفكّ يبلغني عن طاعن يقول الخلاف على عامّة المسلمين يَتَّخِذكم لَجَأ فتكونوا حِصْنه المَنيع، وخَطْبَهُ البَديع، فإمّا دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا عليه، وإمّا صرفتموهم عمّا مالوا إليه، ولقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ويكون لمن بعدك من عَقبك، إذ كنت عمّ رسول الله، وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك «فعدلوا الأمر عنكم[٦]» على رسْلِكم بني هاشِم فإنّ رسول الله منّا ومنكم.

فقال عُمر بن الخطاب: وأُخرى إنا لم نأتكم لحاجة إليكم، ولكن كُرْهاً أن يكون الطعن في ما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخَطب بكم وبهم، فانظروا لأنفسكم!

ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر، شهد العقبة الثانية وبايع النبي فيها وشهد بدراً وما بعدها، وكان من كتاب النبي، مات في آخر خلافة عمر أو صدر خلافة عثمان.

الاستيعاب ج ١ ص ٢٧ ــ ٣٠، والإصابة ج ١ ص ٣١ ــ ٣٢.

١) في نص الجوهري أن قائل هذا الرأي هو المغيرة بن شعبة وهذا هو الأقرب إلى الصواب.

٢) هذه الزيادة في نسخة الإمامة والسياسة ج ١/١٤.

٣) في رواية ابن أبي الحديد أن ذلك كان في الليلة الثانية بعد وفاة النبي.

٤) إن ضمير «هم» موجود في رواية ابن أبي الحديد.

٥) في نسخة الإمامة والسياسة وابن أبي الحديد ص ٧٤ «متفقين» وهو الأشبه بالصواب.

٦) الزيادة في نسخة ابن أبي الحديد والإمامة والسياسة.

فحمد العباس الله وأثنى عليه وقال: إن الله بعث محمداً كما وصفت نبياً، وللمؤمنين وَلياً، فمنَّ على أمّته به حتى قبضه الله اليه واختار له ما عنده، فخلّى على المسلمين أمورهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين الحقّ لا مائلين بزيغ الهوى، فإن كنت برسول الله طلبت فحقّنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين أخذت فنحن منهم فما تقدّمنا في أمرك فَرَطاً، ولا حَلَلْنا وَسَطاً، ولا بَرَحْنا سَخَطاً، وإن كان هذا الأمر وجب لك بالمؤمنين فما وجب إذا كُنّا كارهين. ما أبعد قولك من أنهم طعنوا عليك من قولك أنهم اختاروك ومالوا إليك، وما أبعد تسميتك خَليفَة رَسول الله من قولك خَلّى على الناس أمورهم ليختاروا فاختاروك. فأمّا ما قلت: إنك تجعله لي، فإن كان حقّاً للمؤمنين فليس لك أن تحكم[1] فيه، وإن كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض وعلى رِسْلك فإنّ رسول الله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها. فخرجوا من عنده.

التَّحَصُّن بدار فاطمة

قال عُمر بن الخطّاب: «وإنّه كان من خبرنا حين تَوَفّى الله نبيَّه أن علياً والزُبَير ومن معهما تَخلّفوا عنّا في بيت فاطِمَة[2]».

وذكر المؤرخون في عداد من تخلف عن بيعة أبي بكر وتحصّن بدار فاطِمَة مع عَلي والزُبَير كلاً من:

١) العبّاس بن عَبْد المُطّلِب.
٢) عُتْبة بن أبي لَهَب.
٣) سَلْمان الفارسي.
٤) أبوذَرّ الغِفاري.
٥) عَمّار بن ياسِر.
٦) المِقْداد بن الأسْوَد.
٧) البَرّاء بن عازِب.
٨) أبيّ بن كَعْب.
٩) سَعْد بن أبي وقّاص[3].
١٠) طَلْحَة بن عُبَيْدِ الله.

١) في نسخة الجوهري والإمامة والسياسة: فإن يكن حقاً لك فلا حاجة لنا فيه.

٢) مسند أحمد ٥٥/١ والطبري ٤٦٦/٢ (ط. اوربا ١٨٢٢/١)، وابن الاثير ١٢٤/٢، وابن كثير ٢٤٦/٥ وصفوة الصفوة ٩٧/١، وابن أبي الحديد ج ١٢٣/١، وتاريخ السيوطي في مبايعة أبي بكر ص ٤٥، وابن هشام ج ٤ ص ٣٣٨، وتيسير الوصول ٤١/٢.

٣) أبو إسحٰق سَعْد بن أبي وَقّاص واسم أبي وَقّاص مالك بن أهيبَ بن عَبْدمناف بن زُهْرَة بن كِلاب القرَشِي، وكان سابع سبعة سبقوا إلى الإسلام شهد بَدْراً وما بعدها وهو أول من رمى بسهم في الإسلام، وكان رأس من فتح العراق وكوّف الكوفة وولّيها لعمر وعيّنه في الستة أصحاب الشورى واعتزل الناس بعد

←

وجماعة من بني هاشم وجمع من المهاجرين والأنصار[1].

وقد تواتر حديث تخلّف عليّ ومن معه عن بَيْعَة أبي بَكْر وتحصنهم بدار فاطِمَة في كُتُب السِيَر، والتواريخ، والصِّحاح والمسانيد، والأدب، والكلام، والتراجم، غير أنهم لما كَرهوا ما جرى بين المتحصِّنين والحزب الظافر لم يفصحوا ببيان حوادثها إلاّ ما ورد ذكره عفواً. ومن ذلك ما رواه البلاذُري وقال: بعث أبوبَكر عُمَر بن الخطّاب إلى عَلي رضي الله عنهم حين قعد عن بيعته وقال: «ائتني به بأعنف العُنف فلّما أتاه جرى بينهما كلام، فقال: اِحْلِبْ حَلَباً لك شَطره والله ما حِرصُك على امارته اليوم إلا ليؤثرك غداً...» الحديث[2].

قال أبوبكر في مرض موته: «أما انّي لا آسي على شيء في الدنيا إلا على ثلاث فعلتهن وددت أني لم أفعلهن ــ إلى قوله ــ فأما الثلاث التي فعلتها فوددت أني لم أكشف عن بيت فاطمة وتركته ولو أُغْلِقَ على حَرْب[3]».

وفي اليعقوبي: «وليتني لم أفتش بيت فاطمة بنت رسول الله وأدْخِله الرجال ولو كان أغلق على حرب[4]»، وقد عدّ المؤرخون في الرجال الذين أدخلوا بيت فاطمة بنت رسول الله كلاً من:

مقتل عُثمان ومات بمسكنه في العَقيق في خِلافة مُعاوية وحُمِلَ إلى المدينة ودفن بالبقيع.

الاستيعاب ج ٢ ص ١٨ ــ ٢٥، والإصابة ج ٢/٣٠ ــ ٣٢.

١) صَرَّحت المصادر الآتية بالاضافة إلى المصادر المذكورة آنفاً أن هؤلاء كانوا قد تخلفوا عن بيعة أبي بكر واجتمعوا بدار فاطمة. ومن هذه المصادر ما ذكرت اسم بعضهم وانهم إنما اجتمعوا ليبايعوا علياً، الرياض النضرة ١٦٧/١ وتاريخ الخميس ١٨٨/١، وابن عبد ربه ٦٤/٣، وتاريخ أبي الفداء ١٥٦/١ وابن شحنة بهامش الكامل ١١٢، والجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٣٠ ــ ١٣٤ والحلبية ٣٩٤/٣ و٣٩٧.

٢) أنساب الأشراف ج ١ ص ٥٨٧.

٣) الطبري ٦١٩/٢ (وط. اوروبا ٢١٤٠/١) عند ذكره وفاة أبي بكر، ومُروج الذَّهَب ٤١٤/١ وابن عَبْد رَبّه ٦٩/٣ عند ذكره استخلاف أبي بَكْر لعمر، والكَنْز ١٣٥/٣ ومُنْتَخَب الكَنْزج ١٧١/٢، والإمامة والسِيَاسَة ١٨/١ ، والكامل للمُبَرِّد حسب رواية ابن أبي الحديد ١٣٠/٢ ــ ١٣١ وقد ذكر أبوعُبَيْد في الأموال ص ١٣١ قول أبي بكر هكذا: «أما الثلاث التي فعلتها فوددت أني لم أكن فعلت كذا وكذا ــ لخلّة ذكرها ــ قال أبوعُبَيد: لا أريد ذكرها» انتهى وأبوبَكْر الجَوْهري برواية النَهج ج ٩ ص ١٣٠. ولِسان المِيزان ٤ ص ١٨٩ وراجع ترجَمَة أبي بكر في ابن عساكر ومِرآة الزَّمان لِسِبْط ابن الجَوْزي، وتاريخ الذَّهَبي ٣٨٨/١.

٤) ج ٢: ص ١١٥.

١) عُمَر بن الخطاب. ٢) خالِد[١] بن الوَلِيد.
٣) عَبْد الرحمٰن بن عَوْف. ٤) ثابت بن قَيْس[٢] بن شمّاس
٥) زِياد[٣] بن لَبِيد. ٦) مُحمَّد[٤] بن مَسْلَمَة.
٧) زَيْد بن ثابت[٥]. ٨) سَلَمَة[٦] بن سالِم بن وَقَش.
٩) سَلَمَة[٧] بن أسْلَم. ١٠) أسَيْد بن حُضَيْر[٨].

وقد ذكروا في كيفية كشف بيت فاطمة وما جرى للمتحصنين وهؤلاء الرجال:

١) أبوسُلَيمان خالد بن الوَلِيد بن المُغيرَة بن عَبدالله بن عُمَر بن مَخْزُوم القُرَشي، وأمه لبابَة بنت الحارث بن الحزن الهلالية أخت مَيمُونة زَوجة النبيّ، وكانت إليه أعنّة الخيل في الجاهلية، هاجر بعد الحديبية وشهد فتح مَكّة وأمّره أبوبكر على الجيوش، وكان يقال له سيف الله، وتُوفي بِحِمص أو بالمَدِينة سنة ٢١ أو ٢٢ هـ. الاستيعاب ج ١/٤٠٥ ــ ٤٠٨.

٢) ثابِتُ بن قَيْس بن شَمّاس بن زُهَيْر بن مالِك بن امرىء القَيْس بن مالك بن ثَعْلَبَة بن كَعْب بن اَلخَزْرَج الأنصاري. شهد أُحُدا وما بعدها وقتل مع خالِد في اليمامة.

الاستيعاب ج ١: ١٩٣ والإصابة ج ١: ١٩٧.

٣) زِياد بن لَبيد بن ثعلبة بن سِنانِ بن عامِر بن عَدِيّ بن امَيّةِ بن بَياضَة الأنصاري من بني بَياضَة بن عامِر بن زُرَيق مهاجِري أنصاري. خرج إلى رسول الله بمَكّة وأقام معه حتى هاجر معه إلى المدينة، شهد العَقَبَة وبَدْراً وما بعدها، مات في أوّل خلافة مُعاوية.

الاستيعاب ج ١/٥٤٥ والإصابة ج ١/٥٤٠. في نسبه بجمهرة ابن حزم ص ٣٥٦ سقط بياضة.

٤) محمد بن مَسْلَمة بن سلمة بن خالِد بن عَدِيّ بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخَزْرَج بن عَمْرو بن مالك بن الأوس، شهد بَدْراً وما بعدها. وكان ممن لم يبايع عليّ بن أبي طالب ولم يشهد معه حروبه وتوفي سنة ٤٣ أو ٤٦ أو ٤٧ هـ.

الاستيعاب ج ٣/٣١٥ والإصابة ج ٣/٣٦٣ ــ ٣٦٤. ونسبه في جمهرة ابن حزم ص ٣٤١.

٥) راجع أنساب الأشراف ج ١/٥٨٥.

٦) أبوعَوْف سَلَمَة بن سلامَة بن وَقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري، وأمه سَلمى بنت سَلَمَة بن خالد بن عَدي الأنصارية، شَهِدَ العَقَبَة الأولى والآخرة ثم شَهِدَ بَدْراً وما بعدها، توفي بالمدينة سنة ٤٥ هـ.

الاستيعاب ج ٢/٨٤ والإصابة ج ٢/٦٣.

٧) أبوسَعِيد بن سَلَمة بن أسلم بن حَريش بن عَدِي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخَزْرج ابن عمرو بن مالك الأوس الأنصاري، شهد بدراً وما بعدها وقتل يوم جِسْر أبي عبيد سنة ١٤ هـ.

الاستيعاب ج ٢/٨٣ والإصابة ج ٢/٦١.

٨) الطبري: ٢/٤٤٣ و ٤٤٤ وأبوبكر الجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد ج ٢: ١٣٠ ــ ١٣٤ و ج ٢ ص ١٩.

إنه «غضب رجال من المهاجرين في بَيعَة أبي بَكْر منهم عَلي بن أبي طالب والزُبير فدخلا بيت فاطِمَة ومعهما السِّلاح[١]» «فبلغ أبابكر وعُمَر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع عَلي بن أبي طالب في منزل فاطِمَة بنت رسول الله[٢]» «وإنهم إنما اجتمعوا ليبايعوا علياً[٣]» «فبعث إليهم أبوبَكْر عُمَر بن الخطّاب ليخرجهم من بيت فاطِمَة، وقال له: إن أبوا فقاتلهم.

فأقبل بقَبَسٍ من نار على أن يضرِمَ عليهم الدار، فَلَقِيَتهم فاطمَة فقالت: يا بن الخطّاب أجئت لتحُرِق دارنا؟ قال: نَعَمْ أو تدخلوا في ما دخلت فيه الأمة[٤]».

وفي أنساب الاشراف: فتلقته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: يا بن الخطاب أتراك محرقا علي بابي؟ قال:نعم...[٥]. والى هذا أشار عُرْوَة بن الزُبَير حين كان يعتذر عن أخيه عَبْدالله بن الزُبَيْر فيما جرى له مع «بني هاشِم وحَصره إيّاهم في الشِعب وجمعه الحطب لإحراقهم... ليدخلوا في طاعته كما أرهب بنوهاشم وجُمِع لهم الحطب لتحريقهم إذهم أبوا البيعة في ما سلف[٦]» يعني ما سلف لبني هاشم من قضيّة الحطب والنار عند امتناعهم عن بيعة أبي بكر، وفي هذا يقول شاعر النيل حافظ إبراهيم:

وقولة لعليّ قالها عُمَرُ ... أكرِم بسامعها أعظِم بمُلقِيها
حَرَّقتُ دارك لا أبقي عليك بها ... إن لم تُبايع وبنت المُصطَفى فيها
ما كان غير أبي حَفْصٍ يَفُوه بها ... أمام فارس عَدْنان وحاميها

وقال اليَعْقُوبي: «فأتوا في جماعة حتى هجموا على الدار (إلى قوله) وكسر سيفه ــ أي سيف عليّ ــ ودخلوا الدار[٧]».

١) الرياض النضرة: ١/١٦٧، وأبوبكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد ١/١٣٢ و٦ ص ٢٩٣ والخميس ج ١ ص ١٨٨.

٢) اليعقوبي، ج ٢، ص ١٠٥.

٣) ابن شحنة، ص ١١٣، بهامش الكامل ج ١١، وابن أبي الحديد، ج ٢، ص ١٣٤.

٤) ابن عبد ربه، ج ٣، ص ٦٤، وأبوالفداء، ج ١، ص ١٥٦.

٥) أنساب الاشراف، ج ١، ص ٥٨٦. وراجع كنز العمال ٣/١٤٠ والرياض النضرة، ج ١، ص ١٦٧ وأبوبكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد، ج ٢/١٣٢ وج ٦ في الصفحة الثانية منه، والخميس ج ١/١٧٨، وأبوبكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد ج ٢/١٣٤.

وتاريخ ابن أبي شحنة، ص ١١٣ بهامش الكامل، ج ١١.

٦) مروج الذهب ٢ ص ١٠٠ وأورده ابن أبي الحديد في ج ٢٠ ص ٤٨١ ط إيران عند شرحه قول الأمير: «ما زال الزبير منا حتى نشأ ابنه». اليعقوبي ٢/١٠٥.

وقال الطَبري: «أتى عُمر بن الخَطّاب منزل عليّ وفيه طَلحَةُ والزُبَيْر ورجال من المهاجرين فخرج عليه الزبَيْر مصلتاً بالسيف فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه[1]».

وعليّ يقول: أنا عبد الله وأخو رسول الله،حتى انتهوا به إلى أبي بَكْر فقيل له بايع،فقال: أنا أحقّ بهذا الأمر منكم لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله فأعطوكم المقادة وسلّموا إليكم الإمارة، وأنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، فانصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم واعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون. فقال عمر: إنّك لست متروكاً حتى تبايع، فقال له علي:احلِب يا عمر حَلَباً لك شَطْره اشدد له اليوم أمره ليَرُدَّ عليك غداً. لا والله، لا أقبل قولك ولا أتابعه، فقال له أبوبكر:فإن لم تبايعني لم أكرهك.

فقال له أبوعُبيدَة. يا أبا الحسن انّك حدث السّن وهؤلاء مشيخة قريش قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور، ولا أرى أبابكر إلا أقوى على هذا الأمر منك وأشدَّ احتمالاً له واضطلاعاً به،فسلّم له هذا الأمر وارض به فإنك إن تعش ويَطُل عمرك فأنت لهذا الأمر لَخليق وعليه حقيق في فضلك وقرابتك وسابقتك وجهادك.

فقال علي: يا معشر المهاجرين اللّهَ اللّهَ، لا تُخرجوا سلطان محمّد عن داره وبيته الى بيوتكم ودوركم ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقّه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان منا القارىء لكتاب الله الفقيه لدين الله العالم بالسنة المضطلع بأمر الرعية. والله إنه لفينا فلا تَتّبِعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعداً.

فقال بَشير بن سَعْد: «لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا علي قبل بيعتهم لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان، ولكنهم قد بايعوا» وانصرف عليّ إلى منزله ولم يبايع. رواه أبوبكر الجوهَري كما في شرح النهج ٢٨٥/٦. وروى أبوبكر الجوهري أيضاً وقال: «ورأت فاطمة ما صُنِعَ بهما ــ أي بعلي والزُبَير ــ فقامت على باب الحجرة

١) الطبري ٤٤٣/٢ و٤٤٤ و٤٤٦ (وط. اوروبا ١٨١٨/١ و١٨٢٠ و١٨٢٢) وقد أورده العَقّاد في عَبْقَرِيّة عمر ص ١٧٣، وذكر كسر سيف الزبير المحبّ الطبري في الرياض النضرة ١٦٧، والخميس، ١٨٨/١، وابن أبي الحديد ج ١٢٢/٢ و ١٣٢ و ١٣٤ و ٥٨ وج ٦ في الصفحة الثانية، وكنز العمال ج ٣ ص ١٢٨.

وقالت: يا أبابكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله، والله لا أكلّم عمر حتى ألقى الله[١]».

وفي رواية أخرى: «وخرجت فاطمة تبكي وتصيح فَتَهْنَهَت من الناس[٢]».

وقال اليعقوبي: «فخرجت فاطمة، فقالت: والله لتخرجنّ أو لأكشِفَنّ شعري ولأعجنّ إلى الله فخرجوا وخرج من كان في الدار»[٣].

وقال المَسْعُودِي: «لما بويع أبوبكر في السَّقِيفَة وجُدِّدَتْ له البيعة يوم الثلاثاء خرج عليّ فقال: أفسدت علينا أمورنا ولم تستشر ولم ترعَ لنا حَقّاً!»

فقال أبوبكر: «بلى ولكنّي خشيت الفتنة»[٤].

وقال اليَعْقُوبي: «واجتمع جماعة إلى عَلي بن أبي طالب يدعونه إلي البيعة فقال لهم: اغدوا علي مُحلّقين الرؤوس؛ فلم يغد عليه إلا ثلاثة نفر»[٥].

ثم إن عليّاً حمل فاطمة على حمار وسار بها ليلاً إلى بيوت الانصار يسألهم النصرة وتسألهم فاطمة الانتصار له فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو كان ابن عمك سبق إلينا أبابكر ما عدلنا به، فقال عليّ: أفكنت أترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ميتاً في بيته لم أُجهزه وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه؟ فقالت فاطمة: «ما صنع أبوالحسن إلا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حَسِيبهم عليه!!»[٦].

ولقد أشار مُعاوية إلى هذا وإلى ما نقلناه عن اليعقوبي قبله في كتابه إلى علي:

وأعهَدُك أمس تحمل قَعِيدَة بيتك ليلاً على حِمار ويداك في يدي ابنيك الحسن والحسين يوم بويع أبوبكر الصدّيق، فلم تدع أحداً من أهل بَدْر والسَّوابق إلا دعوتهم إلى نفسك، ومشيت إليهم بامرأتك، وأدللت إليهم بابنيك، واستنصرتهم على صاحب رسول الله، فلم يجبك منهم إلا أربعة أو خمسة، ولَعَمْري لو كنت مُحقاً لأجابوك ولكنك ادَّعيت باطلاً، وقلت ما لا يعرف ورُمت ما لا يدرك، ومهما نسيت

١) برواية ابن أبي الحديد ج ١٣٤/٢ و ٢٨٦/٦.
٢) السقيفة لأبي بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد ج ١٣٤/٢.
٣) تاريخ اليعقوبي ١٠٥/٢.
٤) مروج الذهب ج ٤١٤/١، والإمامة والسياسة ج ١٢/١ ــ ١٤ مع اختلاف.
٥) تاريخ اليعقوبي ج ١٠٥/٢، وفي شرح النهج ج ٤/٢.
٦) أبوبكر الجوهري في كتابه السقيفة برواية ابن أبي الحديد ج ٦ ص ٢٨، وابن قتيبة ج ١٢/١.

فلا أنسى قولك لأبي سُفْيان لما حَرَّكَك وهَيَّجَك لو وجدت أربعين ذوي عزم منهم لناهضت القوم[١].

وروى مُعَمَّر عن الزُّهري عن أم المؤمنين عائشة في حديثها عما جرى بين فاطمة وأبي بكر حول ميراث النبي صلّى الله عليه وآله وسلم قالت:

«فهجرته فاطمة فلم تُكَلِّمه حتى تُوفيت وعاشت بعد النبي صلّى الله عليه وسلم ستة اشهر فلما تُوفيت دفنها زوجها، ولم يؤذِن بها أبا بكر وصلّى عليها. وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة فلما تُوفّيت فاطِمَة انصرفت وجوه الناس عن علي. ومكثت فاطمة ستّة أشهر بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلم ثم توفيت». قال مُعمر: فقال رجل للزُّهري: فلم يبايعه عليّ ستة أشهر؟ قال: لا[٢] ولا احد من بني هاشِم حتى بايعه عَلي. فلما رأى عَلي انصراف وجوه الناس عنه ضَرَع الى مصالحة أبي بكر... الحديث[٣].

وقال البلاذُري: لما ارتدّت العرب، مشى عُثْمان الى عَلي. فقال: يا ابن عمّ، انّه لا يخرج أحد إلى قتال هذا العدو، وأنت لم تبايع فلم يزل به حتى مشى الى أبي بكر، فبايعه فسر المسلمون، وجدّ الناس في القتال وقطعت البعوث[٤].

ضرع علي الى مصالحة أبي بكر بعد وفاة فاطمة وانصراف وجوه الناس عنه، غير أنه بقي يشكو مما جرى عليه بعد وفاة النبي حتى في أيام خلافته. وذكر شكواه في خطبته المشهورة بالشقشقية التي سنوردها في آخر هذا الباب.

١) ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٦٧ وصفين لنصر بن مزاحم ص ١٨٢.

٢) في تيسير الوصول ٢ ص ٤٦ «قال لا و الله ولا أحد من بني هاشم».

٣) قد أوردت هذا الحديث مختصراً من كل من الطبري ج ٢/٤٤٨ (وط. اوربا ج ١/١٨٢٥) وصحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة خيبر ج ٣/٣٨، وصحيح مسلم ج ١/٧٢ وج ٥/١٥٣. باب قول رسول الله «نحن لا نورث: ما تركناه صدقة»، وابن كثير ج ٥/٢٨٥ ــ ٢٨٦ وابن عبدر به ٣/٦٤، وقد أورده ابن الأثير ج ٢/١٢٦ مختصراً، والكنجي في كفاية الطالب ٢٢٥ ــ ٢٢٦. وابن أبي الحديد ج ٢/١٢٢، والمسعودي ج ٢/٤١٤ من مروج الذهب، وفي التنبيه والإشراف له ص ٢٥٠ «ولم يبايع علي حتى توفيت فاطمة» والصواعق ج ١/١٢، وتاريخ الخميس ١/١٩٣، وفي الإمامة والسياسة (١/١٤) أن بيعة علي كانت بعد وفاة فاطمة وأنها قد بقيت بعد أبيها ٧٥ يوماً، وفي الاستيعاب أن علياً لم يبايعه إلا بعد موت فاطمة ج ٢ ص ٢٤٤، وأبوالفداء ج ١/١٥٦، والبدء والتاريخ ج ٥/٦٦ وأنساب الاشراف ج ١/٥٨٦، وفي أسد الغابة ج ٣/٢٢٢ بترجمة أبي بكر «كانت بيعتهم بعد ستة أشهر على الأصح» وقال اليعقوبي ج ٢/١٠٥ «لم يبايع علي إلا بعد ستة أشهر» وفي الغدير ج ٣/١٠٢ عن الفصل لابن حَزْم ص ٩٦ ــ ٩٧.

٤) أنساب الاشراف، ج ١/٥٨٧.

من تخلف عن بيعة الخليفة أبي بكر

أ) فروة بن عمرو

قال الزبير بن بكار في الموفقيات: «كان فروة بن عمر ممن تخلف عن بيعة أبي بكر، وكان ممن جاهد مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقاد فرسين في سبيل الله، وكان يتصدق من نخله بألف وسق في كل عام، وكان سيدا، وهو من أصحاب علي وممن شهد معه يوم الجمل».

وذكر الزبير بن بكار بعد ذلك عتاب فروة لبعض الانصار الذين ساعدوا أبا بكر في بيعته[1].

ب) خالد بن سعيد الاموي

كان عاملا لرسول الله على صنعاء اليمن «فلما مات رسول الله رجع هو وأخواه أبان وعمَر عن عِمالتهم، فقال أبوبكر: مالكم رجعتم عن عِمالتكم؟ ما أحد أحقّ بالعمل من عُمّال رسول الله صلّى الله عليه وآله، ارجعوا إلى أعمالكم. فقالوا: نحن بنو أُحَيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله»[2].

وتأخّرَ خالد وأخوه أبان عن بيعة أبي بكر، فقال لبني هاشم: إنّكم لطوال الشَجَر طَيِّبو الثمر نحن تَبَعٌ لكم[3].

و «تَرَبَّص ببيعته شهرين يقول: قد أمّرني رسول الله صلّى الله عليه وسلم ثم لم يعزلني حتى قبضه الله، ولقي علي بن أبي طالب وعُثْمان بن عفان، فقال يا بني عَبد

١) الموفقيات، ص ٥٩٠.

وفروة بن عمرو الانصاري البياضي شهد العقبة وبدرا وما بعدهما مع رسول الله صلّى الله عليه وآله، أسد الغابة، ج ٤/١٧٨.

٢) خالد بن سَعيد بن العاص بن أمية بن عَبْد شَمس. أسلم قديماً فكان ثالثاً أو رابعاً وقيل كان خامساً، وقال ابن قتيبة في المعارف ص ١٢٨: «أسلم قبل إسلام أبي بكر».

وكان ممن هاجر إلى الحبشة واستعمله رسول الله مع أخويه على صدقات مذحج واستعمله على صنعاء اليمن، ثم رجعوا بعد وفاة النبي ثم مضوا جميعاً إلى الشام فقتلوا هناك واستشهد خالد باجنادين يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادي الأولى سنة ١٣ هـ.

الاستيعاب ج ١ ص ٣٩٨ ــ ٤٠٠ والإصابة ج ١ ص ٤٠٦، وأسد الغابة ج ٢ ص ٨٢، وراجع ابن أبي الحديد ج ٦ ص ١٣ و١٦.

٣) أسد الغابة ج ٢ ص ٨٢ و ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٣٥. ط. المصرية الأولى.

مَناف لقد طبتم نفساً عن أمركم يليه غيركم، فأما أبوبكر فلم يحفل بها عليه، وأما عمر فأضغنها عليه»[١].

«وأتى عَلِياً، فقال: هَلُمَّ ابايعك فوالله ما في الناس أحد أولى بمقام محمّد منك»[٢]، «فلما بايع بنو هاشم أبابكر بايعه خالِد»[٣].

«ثم بعث أبوبكر الجنود إلى الشام وكان أول من استعمل على ربع منها خالد بن سَعِيد، فأخذ عُمر يقول: أتُؤَمِّره وقد صنع ما صنع وقال ما قال، فلم يزل بأبي بكر حتى عزله، وأمَّر يزيد بن أبي سُفيان»[٤].

ج) سَعْد بن عُبادَة[٥]

ذكروا[٦] «إن سَعداً تُرِكَ أياماً ثم بُعِثَ إليه أن أقبل فبايع، فقد بايع الناس وبايع قومك، فقال: أما والله حتى أرميكم بما في كِنانتي من نَبل وأخضب سِنان رُمْحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي فلا أفعل، وأيم الله لو أن الجِنَّ اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي واعلم ما حسابي».

فلما أُتي أبوبكر بذلك، قال عُمر: لا تَدَعْه حَتَّى يبايع.

فقال له بَشِير بن سَعْد: إنّه قد لجَّ وأبى، وليس بمبايعكم حتى يقتل، وليس

١) الطبري ط. أوروبا ١/٢٠٧٩ ج ٢ ص ٥٨٦ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٤٨. وفي أنساب الأشراف ١/٥٨٨ ذكر أن خالِد بن سَعيد تاخر عن البيعة.

٢) اليعقوبي ج ٢ ص ١٠٥.

٣) أسد الغابة ج ٢ ص ٨٢، وراجع تفصيل ذلك في ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٥ نقلاً عن سقيفة أبي بكر الجوهري.

٤) الطبري ج ٢ ص ٥٨٦ وفي ط أوروبا ١/٢٠٧٩ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٤٨.
وفي أنساب الأشراف ١/٥٨٨ ذكر أن خالِد بن سَعيد تأخر عن البيعة.

٥) سَعْد بن عُبادَة بن دُلَيْم بن حارِثَة بن أبي خُزَيْمة بن ثَعْلَبَة بن طَرِيف بن الخَزرج بن ساعِدة بن كَعْب بن الخَزْرَج الأنصاري، شهد العَقَبة ومَغازي رسول الله عدا بَدْر، فإنه اختلف في أنه هل شهدها أم لم يشهدها، كان جواداً سخياً وكانت راية الأنصار بيده يوم الفتح، ولما نادى: «اليوم يوم المَلْحَمة اليوم تُسبى الحرمة» نزع رسول الله اللواء منه وأعطاه لابنه قَيس، ولم يبايع أبابكر حتى قتل بسهمين في الشام سنة ١٥ هـ ودفن بحوارين نسبه في جمهرة ابن حزم ص ٦٥ الاستيعاب ج ٢ ص ٢٣ ــ ٣٧ والإصابة ج ٢ ص ٢٧ ــ ٢٨.

٦) الطبري ج ٣ ص ٤٥٩، وابن الأثير ج ٢ ص ١٢٦ أورد الرواية إلى: فأتركوه. وكنز العمال ج ٣ ص ١٣٤، الحديث المرقم ٢٢٩٦، الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٠، والسيرة الحلبية ج ٤ ص ٣٩٧. بعده «لا يسلم على من لقي منهم». والطبري ط / أوروبا ١/١٨٤٤.

بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته، فاتركوه فليس تركه بضاركم إنما هو رجل واحد.

فتركوه وقبلوا مشورة بَشِير بن سَعْد، واستنصحوه لما بدا لهم منه، فكان سَعْد لا يصلّي بصلاتهم ولا يجتمع معهم ولا يحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم.. الخ «فلم يزل كذلك حتى توفي أبوبكر وولي عُمر»[1].

و «لما ولي عُمر الخِلافة لقيه في بعض طُرُق المدِينَة.

فقال له: إيه يا سَعْد؟

فقال له: إيه يا عُمَر؟

فقال له عمر: أنت صاحب المقالة؟

قال سَعْد: نَعَم أنا ذلك، وقد افضى إليك هذا الأمر كان والله صاحبك أحبّ إلينا منك وقد أصبحتُ والله كارهاً لجوارك.

فقال عمر: من كره جوار جار تحوّل عنه.

فقال سعد: ما أنا غير مستسر بذلك وأنا متحوِّل إلى جوار من هو خير منك، فلم يلبث إلا قليلاً حتى خرج إلى الشّام في أول خِلافة عمر... إلخ»[2].

وفي رواية البَلاذُري: «أن سَعد بن عُبادة لم يبايع أبابكر وخرج إلى الشام فبعث عُمر رجلاً، وقال: أُدْعُه إلى البيعة واحتل له فإن أبى فاستعن الله عليه، فقدم الرجل الشام فوجد سَعْداً في حائط بحُوارين[3] فدعاه إلى البيعة».

فقال: لا أبايع قُرَشِياً أبداً.

قال: فإني أقاتلك.

قال: وإن قاتلتني.

قال: أفخارج أنت مما دخلت فيه الأُمة؟

قال: أما من البيعة فإني خارج فرماه بسهم فقتله[4].

وفي تبصرة العوام: أنهم أرسلوا مُحَمَّد بن مَسْلَمة الأنصاري فرماه بسهم.

١) الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٨ مضافاً إلى المصادر.

٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ق ٢ ص ١٤٥، وابن عساكر ج ٦ ص ٩٠ بترجمة سعد من تهذيبه وكنز العمال ج ٣ ص ١٣٤، برقم ٢٢٩٦، والحلبية ج ٣ ص ٣٩٧.

٣) من قرى حلب معروفة، معجم البلدان.

٤) أنساب الأشراف ج ٥٨٩/١، العقد الفريد ج ٣ ص ٦٤ ــ ٦٥ باختلاف يسير.

وقيل إن خالداً كان في الشام يومذاك فأعانه على ذلك[١].

قال المَسْعُودي: «وخرج سَعْد بن عُبادة ولم يبايع فصار إلى الشام فقتل هناك» سنة ١٥ هـ[٢].

وفي رواية ابن عَبْد ربِّه «رمي سَعْد بن عُبَادة بسهم فوجد دفيناً في جسده فمات، فبكته الجنُّ فقالت:

وقتلنا سيّد الخَزْرَج سَعْدُ بن عُبادَة
ورميناه بسهمين فلم يُخْطِ فُؤاده»[٣]

وروى ابن سعد[٤] «أنه جلس يبول في نفق فاقْتُتِل فمات من ساعته ووجدوه قد اخضرَّ جلده».

وفي أسد الغابة[٥]: «لم يبايع سَعد أبا بكر ولا عمر، وسار إلى الشّام فأقام بِحُوَارين إلى أن مات سنة ١٥ هـ، ولم يختلفوا في أنه وجد ميتاً على مُغْتَسَلِه وقد اخضرَّ جسده ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلاً يقول من بئر ولا يرون أحداً» إلخ.

هكذا انتهت حياة سَعْد بن عُبادة، ولما كان قتل سَعْد بن عُبادَة من الحوادث الّتي كره المُؤرخون وقوعها أغفل جمع منهم ذكرها[٦] وأهمل قسم منهم بيان كيفيتها ونسبوها إلى الجِن[٧] غير أنهم لم يكشفوا عن منشأ العداء بين الجن وسَعْد بن عُبادة، ولماذا فَوَّقَت سهمها إلى فُؤاد سَعد دون سائر الصحابة، فلو أنهم أكملوا الأُسطورة وقالوا: إنّ صُلحَاء الجِنّ كرهت امتناع سَعْد عن البيعة فرمته بسَهْمَين فما أخطأ فؤاده لكانت أُسطورتهم تامّة.

من روى أن سَعداً لم يبايع:

(١) ابن سَعْد في الطَّبَقات. (٢) ابن جَرير في تاريخه. (٣) البَلاذُري في ج ١ من أنسابه. (٤) ابن عَبْد البَرّ في الإستيعاب. (٥) ابن عَبْد رَبه في العِقْد الفَرِيد. (٦)

١) تبصرة العوام ط المجلس بطهران ص ٣٢.
٢) في مروج الذهب ج ١ ص ٤١٤ وج ٢ ص ١٩٤.
٣) العقد الفريد ج ٣ ص ٦٤ ــ ٦٥.
٤) في الطبقات ج ٣ ق ٢ ص ١٤٥ وأبوحنيفة الدينوري في المعارف ص ١١٣.
٥) في ترجمة سعد والإستيعاب ج ٢ ص ٣٧.
٦) كابن جَرير وابن كَثير وابن الأثير في تواريخهم.
٧) كمُحِبّ الدين الطَبَري في الرياض النِضرة، وابن عَبْد البَرّ في الإستيعاب.

ابن قُتَيْبَة في الإمامة والسِّياسَة في ج ١ ص ٩ (٧) المَسْعُودِي في مُرُوج الذَّهَب. (٨) ابن حَجَر العَسْقَلانِي في الإصابة ج ٢ ص ٢٨. (٩) مُحَبّ الدين الطَّبري في الرِّياض النضِرَة ج ١ ص ١٦٨. (١٠) أُسْد الغابَة ج ٣/٢٢٢. (١١) تاريخ الخميس. (١٢) علي بن برهان الدين في السيرة الحلبيّة ج ٣ ص ٣٩٦، ٣٩٧. (١٣) أبوبكر الجوهري، برواية أبن أبي الحديد عنه.

كان ما ذكرناه خلاصة من خبر استخلاف أبي بكر وبيعته أوردناه ملخصة من كتاب عبدالله بن سبأ الجزء الاول.

وفي مايلي خبر استخلاف عمر وبيعته:

استخلاف عمر وبيعته

دعا أبوبكر عثمان خاليا فقال: أكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد ابوبكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، أما بعد.

قال: ثم أغمي عليه فذهب عنه، فكتب عثمان:

أما بعد فإني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً، ثم أفاق أبوبكر فقال: أقرأ علي، فقرأ عليه، فكبر أبوبكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس أن اسلمت نفسي في غشيتي، قال: نعم، قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله وأقرها أبوبكر (رض) من هذا الموضع.

وذكر قبل ذلك عن عمر أنه كان جالساً والناس معه وبيده جريدة ومعه شديد مولى لأبي بكر معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر وعمر يقول: «أيها الناس أسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله أنه يقول: أني لم آلكم نصحاً»[1].

كم من الفرق بين موقف أبي حفص هذا وموقفه من كتابة وصية الرسول؟

الشورى وبيعة عثمان

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد:

لما طعن الخليفة عمر قيل له لو استخلفت، فقال:

لو كان أبوعبيدة الجراح حيا لا ستخلفته، فان سألني ربي قلت نبيك يقول: انه

١) تاريخ الطبري ط. اوربا ١/٢١٣٨.

أمين هذه الامة، ولو كان سالم مولى ابي حذيفة حيا لاستخلفته، فان سألني ربي قلت سمعت نبيك يقول: ان سالم ليحب الله حبا لولم يخف الله ما عصاه[١].

وانهم قالوا له: يا أمير المؤمنين لوعهدت، فقال: لقد كنت اجمعت بعد مقالتي لكم أن أُولّي رجلا أمركم أرجو أن يحملكم على الحقّ ــ وأشار الى عَليّ ــ ثم رأيت أن لا أتحمّلها حيًّا ومَيتاً» الخ.

وروى البلاذري في أنساب الاشراف[٢] قال عُمَرْ: ادْعُوا لي عَلياً وعُثمان وطَلْحَة والزُبَيْر وعَبْد الرّحمٰن بن عوْف وسَعْد بن أبي وَقّاص فلم يُكَلِّم أحداً منهم غير عَليّ وعُثْمان، فقال: يا عَلي لعلّ هؤلاء سيعرفون لك قَرابتك من النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وصهرك وما أنالك الله من الفقه والعلم، فإن وَليت هذا الأمر فاتّقِ الله فيه. ثمّ دعا عُثمان وقال: يا عُثمان لعلّ هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسِنّك فان وَليتَ هذا الأمر فاتّق الله ولا تحمل آل أبي مُعَيْط على رقاب الناس. ثم قال: ادعوا لي صُهَيْباً فَدُعِيَ، فقال: صلِّ بالناس ثلاثاً ولِيَخْلُ هؤلاء النفر في بيت فإذا اجتمعوا على رجل منهم فمن خالفهم فاضربوا رأسه، فلّما خرجوا من عند عُمَر قال: إن وَلّوها الأجلح[٣] سلك بهم الطريق وقريب منه ما في طَبَقات ابن سَعْد ج ٣ ق ١ ص ٢٤٧. وراجع ترجمَة عمر من الاستيعاب ومُنْتخَبَ الكَنْز ج ٤ ص ٤٢٩.

وفي الرِّياض النَّضِرَة ج ٢ ص ٧٢ قال: أخرجه النَّسائي وفيه أيضاً «لله درّهم إن وَلّوها الأُصَيلع كيف يحملهم على الحقّ وإن كان السيف على عُنقه. قال محمَّد بن كَعْب: فقلت: أتعلم ذلك منه ولا تُوَلّيه؟ فقال: إن تركتهم فقد تركهم من هو خير منّي».

روى البلاذري في أنساب الأشراف: ١٧/٥ عن الواقِدي بسنده. قال: «ذكر عُمر من يستخلف فقيل: أين أنت عن عُثمان؟ قال لو فعلت لَحَمَلَ بني أبي مُعَيْط على رقاب الناس، قيل الزَبَيْر؟ قال: مؤمن الرضى كافر الغضب. قيل: طَلْحة؟ قال: أنفه في السماء وإسْتَه في الماء، قيل: سَعْد؟ قال صاحب مِقْنَب[٤]، قَرية له كثير، قيل: عَبْد

١) العقد الفريد ج ٣/٧٣، أوردناه ملخصا.
٢) أنساب الاشراف، ج ١٦/٥.
٣) الاجلح؛ من اخسر شعره من جانبي رأسه.
٤) المقنب: جماعة من الخيل تجتمع للغارة.

الرّحمن قال بحسبه أن يجري على أهل بيته».

وروى البَلاذُري في ج ٥: ١٨ من أنساب الأشراف: أنّ عُمَر بن الخطّاب أمر صُهَيباً مولى عَبدالله بن جُدْعان حين طُعن أن يجمع إليه وجوه المهاجرين والأنصار، فَلَمّا دخلوا عليه قال: انّي جعلت أمركم شُوْرى إلى الستة نفر من المهاجرين الأولين الّذين قبض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو عنهم راض ليختاروا أحدهم لإمامتكم وسَمّاهم، ثم قال لأبي طَلْحَة زَيْد بن سَهْل الخَزْرَجي: إختَر خمسين رجلا من الأنصار يكونوا معك، فاذا تُوفّيت فاستَحِث هؤلاء النفر حتى يختاروا لأنفسهم وللأمّة أحدهم ولا يتأخّروا عن امرهم فوق ثلاث، وأمر صُهَيْباً أن يصلّي بالناس إلى أن يَتّفِقوا على امام، وكان طَلْحَة بن عُبَيْد الله غائباً في ماله بالسراة[1]، فقال عمر: ان قدم طَلْحَة في الثلاثة الأيام وإلا فلا تنتظروه بعدها وأبرموا الأمر واصرموه وبايعوا من تتفّقون عليه، فمن خالف عليكم فاضربوا عنقه، قال، فبعثوا إلى طَلْحَة رسولا يَستحِثُونه ويستعجلونه بالقدوم فلم يرد المدينة إلا بعد وفاة عُمر والبيعة لعُثمان. فجلس في بيته وقال: أعلى مثلي يُفتات! فاتاه عُثمان، فقال له طَلْحَة: إن رددت اتَرُدّه؟! قال: نعم، قال: فانّي أمضيته فبايعه. وقريب منه ما في العِقد الفَريد ج ٣ ص ٧٣.

وروى في ص ٢٠ منه قال: فقال عَبْد الله بن سَعْد ابن أبي سَرْح: ما زلت خائفاً لأن ينتقض هذا الأمر حتى كان من طلْحَة ما كان فوصلَته رَحِم ولم يزل عُثمان مُكرماً لطلحة حتى حُصِر فكان اشدّ الناس عليه.

وروى البَلاذُري في ص ١٨ من كتابه انَساب الأشراف بسند ابن سَعْد قال: «قال عُمر: ليتبع الأقَل الأكثر فمن خالفكم فاضربوا عنقه».

وروى في ص ١٩ منه عن أبي مِخْنَف انّه قال: «أمر عُمر أصحاب الشُورى أن يتشاوروا في أمرهم ثلاثاً فإن اجتمع اثنان على رجل واثنان على رجل رجعوا في الشُورى فإن اجتمع أربعة على واحد وأباه واحد كانوا مع الأربعة وان كانوا ثلاثة «وثلاثة» كانوا مع الثلاثة الذين فيهم ابن عَوْف اذ كان الثقة في دينه ورأيه المأمون للاختيار على المسلمين» وقريب منه ما في العِقْد الفَريد ج ٣ ص ٧٤.

وروى أيضاً عن هِشام بن سَعْد عن زَيد بن أسْلَم عن أبيه أنّ عُمَر قال: «ان

١) السراة: الجبل الذي فيه طرف الطائف ويقال لاماكن اخرى (معجم البلدان).

اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة فاتّبعوا صِنف عَبْدِ الرَّحمٰن بن عَوْف وأسمعوا وأطيعوا» وأخرجه ابن سَعْد في الطَبَقات ج ٣ ق ١ ص ٤٣.

وفي تاريخ اليعقوبي ٢/١٦٠: وروى البَلاذري في أنساب الأشراف ج ٥/١٥ أنّ عُمر قال: «انّ رجالا يقولون إنّ بَيعة أبي بكر فَلْتة وقى الله شرّها، وإن بَيعة عُمر كانت عن غير مَشُوْرَة والأمر بعدي شُوْرى فإذا اجتمع رأي أربعة فليتّبع الاثنان الأربعة، وإذا اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة فاتّبعوا رأي عَبْد الرَّحمٰن بن عَوْف فاسمعوا وأطيعوا وأن صَفق عبد الرّحمن باحِدى يديه على الأُخرى فاتّبعوه».

وروى المُتّقي في كَنْز العُمّال ج ٣ ص ١٦٠ عن مُحَمّد بن جُبَيْر عن أبيه أنّ عُمَر قال: «ان ضرب عَبْد الرَّحمٰن بن عَوْف احدى يديه على الاخُرى فبايعوه» وعن أسلَم أنّ عُمَرَ بن الخطّاب قال: «بايعوا لمن بايع له عَبْد الرّحمن بن عَوْف فمن أبى فاضربوا عنقه».

ومن كلّ هذا يظهر انّ الخليفة كان قد جعل أمر الترشيح بيد عَبْد الرَّحمٰن بن عَوْف.

روى البَلاذُري في ج ١٩/٥ من كتابه أنْساب الأشراف أيضاً «انّ عَلياً شكا إلى عَمّه العبّاس ما سمع من قول عمر: كانوا مع الذين فيهم عَبْد الرَّحمٰن ابن عَوْف، وقال: والله لقد ذهب الأمر منّا، فقال العباس: وكيف قلت ذلك يا ابن أخي؟ فقال: ان سَعْداً لا يخالف ابن عمّه عبد الرّحمٰن وعَبْد الرّحمٰن نظير عُثْمان وصِهره فأحدهما لا يخالف صاحبه لا محالة، وان كان الزُبَيْر وطَلْحَة معي فلن انتفع بذلك إذ كان ابن عَوْف في الثلاثة الآخرين. وقال ابن الكَلْبي: عَبْد الرَّحمن بن عَوْف زوج أمّ كُلْثُوم بنت عُقْبَة بن أبي مُعَيط وأمّها أرْوى بنت كُرَيْز وأروى أمّ عثمان فلذلك قال صهره» وقريب منه العِقْد الفَريد ج ٣ ص ٧٤

وروى في ص ٢١ منه عن أبي مِخْنَف قال: «لما دُفنَ عُمر أمسك أصحاب الشُورى وأبو طَلْحَة يَؤُمُّهم فلم يحدثوا شَيئاً، فلمّا أصبحوا جعل أبو طَلْحَة يَحُوشُهم للمُناظَرة في دار المال، وكان دفن عُمر يوم الأحد وهو الرابع من يوم طُعِنَ. وصَلّى عليه صُهَيْب بن سِنان، قال: فلما رأى عَبْد الرَّحمٰن تناجي القوم وتناظرهم وأنّ كل واحد منهم يدفع صاحبه عنها، قال لهم: يا هؤلاء أنا أُخرج نفسي وسَعْداً على أن أختار يامعشر الأربعة أحدكم، فقد طال التناجي، وتَطلّع الناس إلى معرفة خليفتهم

وإمامهم، واحتاج من أقام الإنتظار ذلك من أهل البلدان الرجوع إلى أوطانهم، فأجابوا إلى ما عرض عليهم إلاّ عَلِياً فإنّه قال: أنظر.

وأتاهم أبو طَلْحَة فأخبره عَبْدُ الرَّحمٰن بما عرض وباجابة القوم اياه إلاّ عَلِيا فأقبل أبو طَلْحَة على عَلِي. فقال: يا أبا الحَسَن انّ أبا مُحَمّد ثِقة لك وللمسلمين فما بالك تخالف و قد عدل الأمر عن نفسه فلن يَتَحَمَّلَ المأثم لغيره فأحلف عَلِيّ عَبد الرَّحمٰن بن عَوْف أن لا يَميل إلى هَوى وأن يُؤثر الحقّ وأن يجتهد للأُمّة، وأن لا يُحابي ذا قَرابة فحلف له، فقال: اختر مُسَدَّداً، وكان ذلك في دار المال ويقال في دار المِسْوَر بن مَخرمَة.

ثم إنَّ عَبْد الرَّحمن آحلف رجلا رجلا منهم بالأيمان المغلظة، وأخذ عليهم المواثيق والعُهُود انهم لا يخالفونه إن بايع منهم رجلا وان يكونوا معه على من يناويه فحلفوا على ذلك، ثم أخذ بيد عَلِيّ فقال له: «عليك عهد الله وميثاقه إن بايعتك أن لا تحمل بني عَبْد الْمُطّلِب على رقاب الناس، ولتسيرنَّ بسيرة رسول الله صلّى الله عليه وسلم لا تحول عنها ولا تقتصر في شيء منها، فقال عليّ، لا أحمل عهد الله وميثاقه على ما لا أُدرِكه ولا يدركه أحد. من ذا يطيق سيرة رسول الله صلّى الله عليه وسلم ولكني أسير من سيرته بما يبلغه الاجتهاد مِنّي، وبما يمكنني وبقدر علمي» فأرسل عبد الرَّحمن يده ثم أحلف عثمان وأخذ عليه العهود والمواثيق أن لا يحمل بني أُمَيَّة على رقاب الناس وعلى أن يسير بسيرة رسول الله صلّى الله عليه وسلم وأبي بَكْر وعُمَر ولا يخالف شيئاً من ذلك، فحلف له. فقال عليّ: قد أعطاك ابوعَبْد الله الرِّضا فشأنك فبايعه، ثم إن عَبْد الرَّحمن عاد إلى عليّ فأخذ بيده وعرض عليه ان يحلف بمثل تلك اليَمين آن لا يخالف سِيرَة رَسُول الله وأبي بَكْر وعُمَر، فقال علي: عَلِيَّ الاجتهاد، وعُثْمان يقول: نعم عَلِيَّ عَهْد الله ومِيثاقه واشدّ ما آخذ على آنبيائه ان لا أُخالف سيرة رَسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وأبي بَكر وعُمر في شيء ولا اقصر عنها، فبايعه عَبْد الرَّحمن وصافحه وبايعه آصحاب الشُورٰى، وكان عَلِيّ قائماً فقعد، فقال له عَبْدُ الرَّحمن: بايع وإلاّ ضربت عنقك، ولم يكن مع آحد يومئذ سيف، فيقال: إنّ عَلِياً خرج مُغْضَباً فَلَحِقَه أصحاب الشُورٰى، فقالوا: بايع وإلاّ جاهدناك، فأقبل معهم يمشي حتى بايع عثمان» ١ هـ.

وفي تاريخ اليعقوبي ج ١/١٦٢، أن عبد الرحمن خلا بعليّ بن أبي طالب،

فقال: لنا الله عليك، إن وليت هذا الأمر، أن تسير فينا بكتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة أبي بكر وعمر. فقال: أسير فيكم بكتاب الله وسنّة نبيّه ما استطعت. فخلا بعثمان فقال له: لنا الله عليك، إن وليت هذا الأمر، أن تسير فينا بكتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة أبي بكر وعمر. فقال: لكم أن أسير فيكم بكتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة أبي بكر وعمر. ثمّ خلا بعليّ فقال له مثل مقالته الأولى، فأجابه مثل الجواب الأول؛ ثمّ خلا بعثمان فقال له مثل المقالة الأولى، فأجابه مثل ما كان أجابه، ثمّ خلا بعليّ فقال له مثل المقالة الأولى، فقال: إنّ كتاب الله وسنّة نبيّه لا يحتاج معهما إلى إجيّرى[1] أحد أنت مجتهد أن تزوي هذا الأمر عنّي. فخلا بعثمان فأعاد عليه القول، فأجابه بذلك الجواب، وصفق على يده.

وفي ذكر حوادث سنة ٢٣ من تاريخ الطبري ٢٩٧/٣، وكذلك ابن الاثير ٣٧/٣، قال الامام علي لعبد الرحمن لما بايع عثمان في اليوم الثالث: «حبوته حبوة دهر، ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، والله ما وليت عثمان الا ليرد الامر اليك، والله كل يوم في شأن» وكذلك ورد في العقد الفريد ٧٦/٣، في العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم برقم: ٥.

بيعة الامام علي عليه السّلام

قتل عثمان وعاد إلى المسلمين أمرهم وانحلّوا من كل بيعة سابقة توثقهم فتهافتوا على ابن أبي طالب يطلبون يده للبيعة قال الطبري[2] فأتاه أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقالوا: إنّ هذا الرجل قد قتل ولابدّ للناس من إمام ولا نجد اليوم أحقّ بهذا الأمر منك، لا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: لا تفعلوا فانّي أكون وزيراً خير من أن اكون أميراً، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتّى نبايعك. قال: ففي المسجد فانّ بيعتي لا تكون خفيّاً ولا تكون إلاّ عن رضى المسلمين...

١) الاجّيري بالكسر والتشديد: العادة والطريقة.

٢) الطبري ١٥٢/٥ ــ ١٥٣، وراجع الكنز ١٦١/٣ الحديث ٢٤٧١ فإنه يروي تفصيل بيعة علي ومجيء طلحة والزبير إليه وامتناعه عن البيعة...، وكذلك حكاه ابن أعثم بالتفصيل في ص ١٦٠ ــ ١٦١ من تأريخه.

وروى بسند آخر وقال: اجتمع المهاجرون والانصار فيهم طلحة والزبير فاتوا علياً.

فقالوا: يا ابا الحسن، هلّم نبايعك، فقال: لا حاجة لي في أمركم أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به، فاختاروا والله، فقالوا: والله ما نختار غيرك، قال: فأختلفوا اليه بعد ما قتل عثمان (رض) مراراً ثمّ أتوه في آخر ذلك، فقالوا له: إنّه لا يصلح الناس إلاّ بإمرة وقد طال الأمر فقال لهم: انكم قد اختلفتم إليّ وأتيتم وإنّي قائل لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم وإلاّ فلا حاجة لي فيه.

قالوا: ما قلت قبلناه إن شاء الله، فجاء فصعد المنبر فاجتمع الناس إليه فقال إنّي قد كنت كارهاً لأمركم فأبيتم إلاّ أن أكون عليكم. ألا وإنّه ليس لي أمر دونكم، ألا إنّ مفاتيح ما لكم معي. ألا وانّه ليس لي أن آخذمنه درهما دونكم، رضيتم؟

قالوا: نعم.

قال: اللّهم اشهد عليهم. ثم بايعهم على ذلك.

وروى البلاذري[1] وقال: وخرج عليّ فأتى منزله، وجاء الناس كلّهم يهرعون إلى عليّ، أصحاب النبيّ وغيرهم، وهم يقولون: «إنّ أمير المؤمنين عليّ» حتّى دخلوا داره، فقالوا له: نبايعك، فمدّ يدك فانّه لابدّ من أمير، فقال عليّ: ليس ذلك إليكم إنّما ذلك إلى أهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة، فلم يبق أحد من أهل بدر إلاّ أتى عليّاً، فقالوا: ما نرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منك... فلمّا رأى عليّ ذلك صعد المنبر وكان أوّل من صعد إليه فبايعه طلحة بيده، وكانت إصبع طلحة شلاّء فتطيّر منها عليّ وقال: ما أخلقه أن ينكث.

وروى الطبري[2]: أنّ حبيب بن ذؤيب نظر إلى طلحة حين بايع فقال: أوّل من بدأ بالبيعة يد شلاّء لايتمّ هذا الأمر...) إنتهى.

* * *

بعد دراسة الواقع التاريخي في اقامة الحكم في صدر الاسلام، ندرس في ما يأتي رأي المدرستين في الخلافة والامامة ونبدأ بذكر أراء مدرسة الخلافة.

١) الأنساب ٥/٧٠ وقد روى الحاكم في المستدرك ٣/١١٤ تشاؤم علي من بيعة طلحة.
٢) الطبري ٥/١٥٣.

الفصل الثاني

بحوث مدرسة الخلفاء فى الإمامة

رأي مدرسة الخلافة وما استدلّوا به

أولاً: قال الخليفة أبوبكر:

لن يعرف هذا الامر الا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: «عمر وأبي عبيدة» فبايعوا أيهما شئتم[1].

ثانياً: قال الخليفة عمر بن الخطاب:

فلا يغترن امرؤ أن يقول انما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وانها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها، وليس منكم من تقطع الاعناق اليه مثل أبي بكر، من بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين فلا يُبايَعُ هو ولا الذي بايعه تَغِرّة أن يقتلا[2].

ثالثاً: أراء أتباع مدرسة الخلفاء:

قال أقضى القضاة الماوردي «ت ٤٥٠ هـ» في الاحكام السلطانية[3] والامام

١ و ٢) البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى. و«التغرة»: مصدر غررته: اذا القيته في الغرر وهي من التغرير، كالتعلة من التعليل، والمقصود ان الذي يبايع آخر دون مشورة من المسلمين، فانهما قد غررا بالمسلمين وجزاء المبايع والمبايع له ان يقتلا. (راجع معاجم اللغة).

٣) الاحكام السلطانية لابي الحسن علي بن محمد البصري البغدادي والماوردي نسبة الى «بيع ماء الورد» كان من وجوه فقهاء الشافعية، له مصنفات كثيرة، توفي ٤٥٠ هـ، ط. الثانية سنة ١٣٨٧ هـ، ص ٦ — ٧.

علامة الزمان القاضي أبويعلى «ت ٤٥٨ هـ» في الاحكام السلطانية[١]، كلاهما، قالا في كتابيهما:

«الامامة تنعقد من وجهين: أحدهما باختيار أهل العقد والحل، والثاني بعهد الامام من قبل.»

فاما انعقادها باختيار أهل الحل والعقد فقد اختلف العلماء في عدد من تنعقد به الامامة منهم على مذاهب شتى، فقالت طائفة:

لا تنعقد الا بجمهور أهل العقد والحل من كل بلد ليكون الرضاء به عاما والتسليم لامامته اجماعا، وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر[٢] رضي الله عنه على الخلافة باختيار من حضرها ولم ينتظر ببيعته قدوم غائب عنها.

وقالت طائفة أخرى أقل من تنعقد به الامامة خمسة يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضا الاربعة استدلالا بأمرين: أحدهما بيعة أبي بكر (رض) انعقدت بخمسة اجتمعوا عليها ثم تابعهم الناس فيها وهم عمر بن الخطاب[٣]، وابوعبيدة بن الجراح، واسيد بن حضير، وبشير بن سعد، وسالم مولي ابي حذيفة (رض). والثاني انّ

١) الاحكام السلطانية للشيخ أبي يعلى محمد بن الحسن الفراء الحنبلي ط. الاولى بمصر سنة ١٣٥٦ هـ، ص ٧ — ١١.

وانما اعتمدنا عليها أكثر من غيرهما من كتب مدرسة الخلفاء لان هذا النوع من الكتب مثل كتاب الخراج لابي يوسف انما ألف لتدوين الاحكام التي تخص شؤون الحكم على رأي مدرسة الخلفاء ومن أجل العمل به، خلافا للكتب التي دونت في مقام المناظرة وليس للعمل بها وكل مانورده في مايلي من كلا الكتابين وما انفرد به أحدهما ذكرنا ذلك في الهامش.

٢) ابوبكر عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر القرشي التيمي، وأمه أم الخير سلمى أو ليلى بنت صخر التيمي، ولد بعد الفيل بسنتين أو ثلاث، صاحب الرسول في هجرته الى المدينة وسكن (سُنح) خارج المدينة وكان يحلب للحي أغنامهم حتى ولي الخلافة، انتقل الى المدينة بعد ستة أشهر من ذلك وتوفي سنة ثلاث عشرة وروى عنه أصحاب الصحاح ١٤٢ حديثا راجع ترجمته بأسد الغابة وفي تاريخ ابن الاثيرج ١٦٣/٢ في ذكر بعض أخباره، وجوامع السيرة ص ٢٧٨.

٣) ابوحفص عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي وامه حنتمة بنت هاشم او هاشم ابن المغيرة المخزومي اسلم بعد نيف وخمسين بمكة وشهد بدراً وما بعده استخلفه ابوبكر في مرض موته وتوفي من طعنة ابي لؤلؤة اياه ودفن هلال محرم سنة ٢٤ هـ الى جنب ابي بكر روى عنه اصحاب الصحاح ٥٣٧ حديثا — ترجمته في الاستيعاب واسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٧٦.

وابوعبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح كان حفاراً للقبور بمكة شهد بدراً وما بعدها ومات بطاعون عمواس — كورة قرب بيت المقدس — سنة ١٨ هـ روى عنه أصحاب الصحاح ١٤ حديثا ترجمته باسد الغابة ←

عمر (رض) جعل الشورى في ستّة ليعقد لاحدهم برضا الخمسة، وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة. قال آخرون من علماء الكوفة: تنعقد بثلاثة يتولاها أحدهم برضا الاثنين ليكونوا حاكماً وشاهدين كما يصحّ عقد النكاح بوليّ وشاهدين وقالت طائفة أُخرى: تنعقد بواحد، لانّ العباس[1] قال لعليّ رضوان الله عليهما: امدد يدك ابايعك، فيقول الناس عمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بايع ابن عمه فلا يختلف عليك اثنان، ولانّه حكم وحكم واحد نافذ»[2].

وأمّا إنعقاد الامامة بعهد من قبله فهو مما انعقد الاجماع على جوازه و وقع الاتفاق على صحته لأمرين عمل المسلمين بهما ولم يتناكروهما، أحدهما: انّ أبابكر (رض) عهد بها إلى عمر (رض) فأثبت المسلمين إمامته بعهده.

والثاني أنّ عمر (رض) عهد بها إلى أهل الشورى..

إلى قوله: لانّ بيعة عمر (رض) لم تتوقف على رضا الصحابة، ولأنّ الامام أحقّ بها[3].

ونقل إختلاف العلماء في لزوم معرفة الامام وانّ بعضهم قال:

وجوامع السيرة ص ٢٨٤، وطبقات ابن سعد ط. اوروبا، ج ٢/٢/٧٤.

وأسيد بن حضير بن سماك الانصاري الاشهلي شهد بيعة العقبة الثانية وجميع مشاهد النبي كان ابوبكر لايقدم احداً من الانصار عليه توفي سنة ٢٠ او ٢١ هـ فحمل عمر نعشه بنفسه روى عنه اصحاب الصحاح، ١٨ حديثا، ترجمته في الاستيعاب والاصابة وجوامع السيرة ص ٢٨٣.

وبشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي يقال اول من بايع ابابكر ــ وكان حاسداً لسعد وقتل يوم عين التمر مع خالد اخرج حديثه النسائي في سننه ــ عبدالله بن سبأ ج ٩٦/١، والتقريب ١٠٣/١ واسد الغابة.

وابوعبدالله سالم مولى ابي حذيفة بن عتبة ربيعة الاموي كان من اصطخر فارس اعتقته ثبيتة الانصارية زوج ابي حذيفة فتبناه ابوحذيفة ولذلك عدمن المهاجرين هاجر الى المدينة قبل رسول الله وكان يؤم المهاجرين فيها وفيهم عمر بن الخطاب لانه كان اقرأهم للقرآن، آخى الرسول بينه وبين معاذ من الانصار قتل يوم اليمامة ترجمته باسد الغابة.

١) ابوالفضل العباس بن عبدالمطلب وامه نتيلة بنت خباب النمري شهد مع رسول الله بيعة العقبة واسر في بدر ففدى نفسه وابنى اخويه عقيل ونوفل، هاجر قبل فتح مكة وشهده استسق به عمر بن الخطاب في عام الرمادة ــ عام الجدب والقحط ــ توفي سنة ٣٢، روى عنه اصحاب الصحاح ٣٥ حديثا ترجمته باسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٨١.

٢) الاحكام السلطانية للماوردي ص ٦ ــ ٧.

٣) المصدر السابق ص ١٠، ويظهر من اقوالهم بانهم يدينون بان الامر الواقع هو الدين ولا يختلفون في ذلك وانما الاختلاف في كيفية ما وقع.

«واجب على الناس كلّهم معرفة الامام بعينه وإسمه، كما عليهم معرفة الله ومعرفة رسوله.»

ثم قال: «والذي عليه جمهور الناس، انّ معرفة الامام تلزم الكافّة بالجملة دون التفصيل»[1].

وأضاف قاضي القضاة أبويعلى «ت ٤٥٨ هـ» في الاحكام السلطانية[2] على تلكم الاقوال قول بعضهم:

«إنّها تثبت بالقهر والغلبة، ولا تفتقر إلى العقد».

«ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمّي اميرالمؤمنين، فلا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه اماماً برّاً كان أو فاجراً، فهو أميرالمؤمنين».

وقال في الامام يخرج عليه من يطلب الملك فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم: «تكون الجمعة مع من غلب» واحتجّ بأنّ ابن عمر صلّى بأهل المدينة في زمن الحرّة وقال: «نحن مع من غلب»[3].

وقال امام الحرمين الجويني «ت ٤٧٨ هـ» في باب الاختيار وصفته وذكر ما ينعقد به الامامة من كتاب الارشاد:

«إعلموا أنّه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع، بل تنعقد الامامة وإن لم تجمع الأُمّة على عقدها، والدليل عليه أنّ الإمامة لمّا عقدت لأبي بكر ابتدر لإمضاء أحكام المسلمين، ولم يتأنّ لانتشار الأخبار إلى من نأى من الصحابة في الأقطار، ولم ينكر عليه منكر، ولم يحمله على التريُّث حامل، فإذا لم يشترط الإجماع في عقد الإمامة، لم يثبت

١) المصدر السابق ص ١٥.

٢) الاحكام السلطانية ص ٧ ــ ١١.

٣) المصدر السابق ص ٧ ــ ٨ في طبعة وفي اخرى ص ٢٠ ــ ٢٣.

وابن عمر هوعبدالله بن عمر بن الخطاب، امه زينب بنت مظعون الجمحية، استصغره الرسول في احد وشهد ما بعدها، روي عنه في الثناء على نفسه وأبيه روايات متعددة، أفتى ستين سنة بعد رسول الله في الموسم، قالوا كان جيد الحديث، ولم يكن جيد الفقه، لم يشهد شيئاً من الحروب مع علي، ثم ندم من ذلك لمّا حضرته الوفاة قال «ما اجد في نفسي من الدنيا الا اني لم اقاتل الفئة الباغية مع علي بن ابي طالب، وكان سبب وفاته ان الحجاج أمر رجلا فوضع زج رمح مسموم على قدمه في الزحام فمات سنة ٧٣ هـ، وروى عنه اصحاب الصحاح «٢٦٣٠ حديثا» ترجمته باسد الغابة وسير النبلاء وجوامع السيرة «ص ٢٧٥».

عددٌ معدود، ولا حدٌّ محدود، فالوجه الحكم بأنَّ الإمامة تنعقد بعقد واحد من أهل الحل والعقد»[١].

وقال الامام ابن العربي «ت ٥٤٣ هـ»: «لا يلزم في عقد البيعة للامام أن تكون من جميع الانام بل يكفي لعقد ذلك اثنان أو واحد»[٢].

وقال الشيخ الفقيه الامام العلامة المحدث القرطبي «ت ٦٧١ هـ» في المسألة الثامنة من تفسير «انّى جاعل في الارض خليفة» من تفسير سورة البقرة: «فان عقدها واحد من أهل الحل والعقد فذلك ثابت، ويلزم الغير فعله، خلافا لبعض الناس حيث قال: لا تنعقد الا بجماعة من أهل الحل والعقد، ودليلنا أن عمر (رض) عقد البيعة لابي بكر ولم ينكر أحد من الصحابة ذلك، فوجب ألا يفتقر الى عدد يعقدونه كسائر العقود.

قال الامام ابوالمعالي: من انعقدت له الامامة بعقد واحد فقد لزمت، ولا يجوز خلعه من غير حدث وتغير أمر، قال: وهذا مجمع عليه.»

وقال في المسألة الخامسة عشر من تفسير الاية:

«اذا انعقدت الامامة باتفاق أهل الحل والعقد أو بواحد على ما تقدم وجب على الناس كافة مبايعته»[٣].

قال أقضى القضاة عضد الايجي «ت ٧٥٦ هـ» في المواقف: المقصد الثالث فيما تثبت به الإمامة ما ملخصه: إنَّها تثبت بالنص من الرَّسول، ومن الامام السابق بالاجماع، وتثبت ببيعة أهل الحلّ والعقد خلافاً للشيعة دليلنا ثبوت إمامة أبي بكر (رض) بالبيعة.

وقال: إذا ثبت حصول الإمامة بالاختيار والبيعة، فاعلم أنَّ ذلك لا يفتقر إلى الاجماع، إذ لم يقم عليه دليلٌ من العقل أو السمع، بل الواحد والإثنان من أهل الحلّ والعقد كاف، لعلمنا أنَّ الصحابة مع صلابتهم في الدين اكتفوا بذلك كعقد عمر لأبي بكر، وعقد عبدالرّحمن بن عوف لعثمان، ولم يشترطوا اجتماع من في المدينة فضلاً

١) الارشاد في الكلام لامام الحرمين عبدالملك بن عبدالله الجويني ط. القاهرة ١٣٦٩ هـ، ص ٤٢٤.

٢) الامام أبوبكر محمد بن عبدالله الاشبيلي المشهور بأبن العربي في شرحه سنن الترمذي ٢٢٩/١٣.

٣) القرطبي هو أبوعبدالله محمد بن أحمد أبي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي الاندلسي في كتاب جامع أحكام القرآن ط. مصر سنة ١٣٨٧ هـ، ج ٢٦٩/١، ٢٧٢.

عن اجماع الأُمّة. هذا ولم ينكر عليهم أحدٌ، وعليه انطوت الأعصار إلى وقتنا هذا[١].

ووافق القاضي الايجي شراح كتابه كتاب المواقف مثل السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)[٢].

وجوب طاعة الامام وان خالف الرسول

روى مسلم في صحيحه عن حذيفة قال: قال رسول الله:

«يكون بعدي ائمة لا يهتدون بهداي ولا يستنّون بسنّتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان انس» قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطع للامير وان ضرب ظهرك واخذ مالك فاسمع وأطع».

وروى عن ابن عباس ان رسول الله قال:

«من رآى من إمامه شيئاً يكرهه فليصبر، فأنه من فارق الجماعة شبراً فمات، مات ميتة جاهلية.»

وفي اخرى: «ليس احد خرج من السلطان شبراً فمات عليه إلاّ مات ميتة جاهلية.»

وروي عن عبدالله بن عمر بن الخطاب انه حين كان من امر الحرّة ما كان زمن يزيد بن معاوية قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول «من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لاحجّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»[٣].

وقال النووي في شرحه بباب لزوم طاعة الأمراء في غير معصية «وقال جماهير

١) المواقف في علم الكلام، ط. مصر ١٣٢٥ هـ، ج ٨/٣٥١ ــ ٣٥٣ تأليف القاضي عبدالرحمن بن أحمد الايجي، توفي بالسجن.

٢) السيد الشريف الجرجاني في شرحه على المواقف والذي طبع مع الكتاب بمصر.

٣) صحيح مسلم ج ٦/٢٠ ــ ٢٢ باب الامر بلزوم الجماعة.

وروى الحديث عن حذيفة، وهو ابن اليمان العبسي كان ابوه أصاب دماً في الجاهلية، فهرب الى المدينة، وتزوج بها وحالف بني عبد الاشهل، وسمي اليمان لمحالفته اليمانية واسمه حسل، شهد حذيفة الخندق وما بعدها، وولى لعمر المدائن ومات بها سنة ست وثلاثين، اربعين ليلة بعد بيعة الامام علي روى عنه اصحاب الصحاح ٢٢٥ حديثا ترجمته في الاستيعاب واسد الغابة والاصابة وبجوامع السيرة ص ٢٧٧.

أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخويفه للاحاديث الواردة في ذلك». وقال قبله:

«وأمّا الخروج عليهم وقتالهم فحرام باجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الاحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع اهل السنة انّه لا ينعزل السلطان بالفسق[1]».

قال القاضي أبوبكر محمد بن الطيب الباقلاني في كتاب التمهيد[2] «(ت ٤٠٣ هـ)» في باب ذكر مايوجب خلع الامام وسقوط فرض طاعته ما ملخصه:

قال الجمهور من أهل الاثبات وأصحاب الحديث: لاينخلع الامام «بفسقه وظلمه بغصب الأموال، وضرب الأبشار، وتناول النفوس المحرَّمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود» ولا يجب الخروج عليه، بل يجب وعظه وتخويفه وترك طاعته في شيء ممّا يدعو إليه من معاصي الله، واحتجّوا في ذلك بأخبار كثيرة متظافرة عن النبيِّ صلّى الله عليه وسلم وعن الصَّحابة في وجوب طاعة الأئمَّة وإن جاروا واستأثروا بالأموال، وانَّه قال عليه السّلام: إسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجدع، ولو لعبد حبشيّ، وصلّوا وراء كلّ برّوفاجر. وروي انَّه قال: أطعهم وإن أكلوا مالك، وضربوا ظهرك.

استدلال اتباع مدرسة الخلافة في القرون الاخيرة

في القرون الاخيرة غالبا ما يستدل اتباع مدرسة الخلافة على صحة قيام حكم الخلافة في الماضي على انه كان قائما على اساس الشورى بين المسلمين للخليفة، وبعضهم يستنتج من ذلك أن الحكم الاسلامي أيضا يقام اليوم على أساس البيعة فمن بايعه المسلمون أصبح حاكما اسلاميا يجب على جميع المسلمين بذل الطاعة له.

* * *

كان ذلكم رأي مدرسة الخلفاء في كيفية اقامة الحكم الاسلامي وأدلتهم على ما يرتأون، وقبل البدء بدراسة ما ارتأوا وما استدلوا عليه ينبغي أن ندرس المصطلحات التي يدور عليها البحث في مايأتي:

١) ج ٢٢٩/١٢ في شرحه على مسلم وراجع سنن البيهقي ج ١٥٨/٨ ــ ١٥٩.
٢) التمهيد، ط. القاهرة. ١٣٦٦ هـ.

مصطلحات بحث الامامة والخلافة

يدور بحث الامامة والخلافة على المصطلحات الستة التالية:

أ) الشورى

ب) البيعة

ج) الخليفة

د) أميرالمؤمنين

هـ) الامام

و) الامر و اولوا الامر

و في ما يلي تعريف المصطلحات المذكورة آنفاً:

أولا: الشورى

التشاور، والمشاورة، والمشورة في لغة العرب: استخراج الرأي بمراجعة البعض البعض الاخر.

وشاوره: استخرج ما عنده من رأي.

وأشار عليه بالرأي، يشير: اذا ما وجه الرأي.

«و أمرهم شورى بينهم» من صار هذا الشيء شورى بين القوم اذا تشاوروا فيه[1].

١) راجع مادة «شور» من: مفردات الراغب، ولسان العرب، ومعجم الفاظ القرآن الكريم.

لم يتغير معنى مشتقات هذه المادة في استعمال القرآن الكريم، والحديث الشريف، ولدى المسلمين عما كانت عليه في لغة العرب وانما الكلام في مورد الشورى والمشاورة في الشرع الاسلامي وحكمها.

ثانيا: البيعة

أ) البيعة في لغة العرب

البيعة في لغة العرب: الصفقة على ايجاب البيع[١]، وصفق يده بالبيعة والبيع، وعلى يده صفقا: ضرب بيده على يده عند وجوب البيع، وتصافقوا: تبايعوا[٢]، كان هذا معنى البيعة لدى العرب.

أما العهد والحلف: فقد كانت العرب تعقد الحلف والعهد بأساليب مختلفة، مثل مافعل بنوعبدمناف حين أرادوا أن يقاتلوا بني عبدالدار على من يقوم بحجابة البيت وسقاية الحج وغيرهما من أعمال السيادة بمكة.

روى ابن اسحاق أن بني عبدمناف أخرجوا جفنة مملوءة طيبا فوضعوها في المسجد عند الكعبة، ثم غمسوا أيديهم فيها، وتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم وسموا «المطيبين»[٣].

وروى ابن اسحاق في أمر تجديد الكعبة: أن البنيان عندما بلغ موضع الركن اختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه الى موضعه دون الاخرى، حتى تحاوروا وتحالفوا، وأعدوا للقتال، فقربت بنوعبدالدار جفنة مملوءة دما، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، فسموا «لعقة الدم»[٤].

ب) البيعة في الاسلام

كانت البيعة اي: صفق اليد على اليد، في لغة العرب علامة على وجوب البيع، واصبحت في الاسلام علامة على معاهدة المبايع المبايع له ان يبذل له الطاعة في

١) لسان العرب، مادة: «بيع».
٢) لسان العرب، مادة: «صفق».
٣) سيرة ابن هشام ١/١٤١ ــ ١٤٣.
٤) سيرة ابن هشام ١/٢١٣.

ما تقرر بينهما، ويقال: بايعه عليه مبايعة: عاهده عليه.

وورد في القرآن الكريم في قوله تعالى:

«انّ الذين يبايعونك انّما يبايعون الله، يد الله فوق ايديهم، فمن نكث فانّما ينكث على نفسه، ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما»[1].

ونذكر من سنة الرسول صلّى الله عليه وآله ثلاث مرات اخذ الرسول صلّى الله عليه وآله فيها البيعة من المسلمين:

١) البيعة الاولى

اول بيعة جرت في الاسلام بيعة العقبة الاولى، اخبرعنها عبادة بن الصامت وقال:

وافى موسم الحج من الانصار اثناعشر رجلا ممن اسلم منهم في المدينة وقال عبادة:

بايعنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض علينا الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل اولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين ايدينا وارجلنا، ولا نعصيه في معروف، فان وفيتم فلكم الجنّة، وان غشيتم من ذلك شيئا فأخذتم بحدّه في الدنيا فهو كفارة له، وان سترتم عليه الى يوم القيامة فأمركم الى الله عزّوجل: ان شاء عذب، وان شاء غفر[2]، وسميت هذه البيعة ببيعة العقبة الاولى.

٢) البيعة الثانية الكبرى بالعقبة

روى كعب بن مالك وقال:

خرجنا من المدينة للحج وتواعدنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم العقبة اواسط ايام التشريق، وخرجنا بعد مضي ثلث الليل متسللين مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاث وسبعون رجلا وامرأتان، فجاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومعه عمه العباس، فتكلم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فتلا القرآن ودعا الى الله ورغب في الاسلام ثم قال:

١) سورة الفتح، الاية ١٠.

٢) سيرة ابن هشام ٢/٤٠ — ٤٢.

«ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون نساءكم وابناءكم» فاخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنّك مما نمنع به أزرنا[١]، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله اهل الحروب...».

فقال ابوالهيثم بن التيّهان: يا رسول الله انّ بيننا وبين الرجال حبالا، وانّا قاطعوها «يعني اليهود» فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثمّ اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسّم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثمّ قال: «بل الدم الدم والهدم الهدم...» اي: ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «اخرجوا الي منكم اثناعشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم» فأخرجوا منهم اثناعشر نقيبا؛ تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «انتم على قومكم بما فيكم كفلاء ككفالة الحواريين لعيس بن مريم، وانا كفيل على قومي» يعني: المسلمين، قالوا: نعم.

واختلفوا فيمن كان اول من ضرب على يده، اسعد بن زرارة أم ابوالهيثم بن التيّهان؟[٢]

٣) بيعة الرضوان، أوبيعة الشجرة

في سنة سبع من الهجرة، استنفر رسول الله صلّى الله عليه وآله اصحابه للعمرة فخرج معه الف وثلاثمائة، أو الف وستمائة، ومعه سبعون بدنة، وقال لست احمل السلاح، انّما خرجت معتمرا واحرموا من ذي الحليفة، وساروا حتى دنوا من الحديبية على تسعة اميال من مكة، فبلغ الخبر اهل مكة فراعهم، واستنفروا من أطاعهم من القبائل حولهم وقدموا مائتي فارس عليهم خالد بن الوليد اوعكرمة بن ابي جهل، فاستعد لهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وقال: ان الله امرني بالبيعة، فاقبل الناس يبايعونه على ألا يفروا، وقيل بايعهم على الموت، وأرسلت قريش وفدا للمفاوضة فلما رأوا ذلك تهيبوا وصالحوا رسول الله صلّى الله عليه وآله...[٣]

هذه ثلاثة أنواع من البيعة على عهد الرسول صلّى الله عليه وسلّم وهي:

أ) البيعة على الاسلام

١) «أزرنا»: نساءنا، والمرأة يكنى عنها بالازار.

٢) سيرة ابن هشام ٢/٤٧ ــ ٥٦.

٣) امتاع الاسماع للمقريزي ص ٢٧٤ ــ ٢٩١.

ب) البيعة على اقامة الدولة الاسلامية.

ج) البيعة على القتال.

والبيعة الثالثة تجديد للبيعة الثانية، وذلك لان الرسول صلّى الله عليه وآله كان قد استنفرهم للعمرة. وبعد تبدل الحالة من العمرة الى القتال، كانت الحالة الحادثة مخالفة للعمل الذي استنفرهم له وخرجوا من اجله، فكأنه كان مخالفا لما عاهدهم عليه، فلذلك احتاج الى اخذ البيعة للقيام بالعمل الجديد، وفعل ذلك وأعطى ثمرة في ارعاب اهل مكة، وحصول النتيجة المطلوبة.

ونختم البحث بست روايات وردت في البيعة وطاعة الامام:

١) روى ابن عمر قال: كنا نبايع رسول الله (ص) على السمع والطاعة ثم يقول لنا: «فيما استطعت»[١].

٢) وفي رواية، وقال علي: «ما استطعتم»[٢].

٣) وفي رواية، وقال جرير، قال قل: «في ما استطعت»[٣].

٤) وروى الهرماس بن زياد قال: مددت يدي الى النبي (ص) وانا غلام ليبايعني فلم يبايعني[٤].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص): «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، الا أن يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[٥].

١) صحيح البخاري، كتاب الاحكام، باب البيعة، ح: ٥ وصحيح مسلم، كتاب الامارة، باب: البيعة على السمع والطاعة في ما استطاع ح: ٩٠ وسنن النسائي، كتاب البيعة باب: البيعة في ما يستطيع الانسان.

٢) سنن النسائي، كتاب البيعة، باب: البيعة في ما يستطيع الانسان.

٣) صحيح البخاري، كتاب الاحكام، باب البيعة، ح: ٥.

٤) البخاري كتاب الاحكام، باب بيعة الصغير، وسنن النسائي، كتاب البيعة، باب بيعة الغلام، والهرماس بن زياد أبوحيدر البصري الباهلي من قيس عيلان مات باليمامة بعد المائة.

راجع ترجمته بأسد الغابة، وتقريب التهذيب.

٥) صحيح البخاري: كتاب الاحكام، باب السمع والطاعة للامام مالم تكن معصية ح: ٣.

صحيح مسلم، كتاب الامارة، باب وجوب طاعة الامراء في غير معصية، ح: ١٨٣٩.

سنن ابن ماجة، كتاب الجهاد، باب لا طاعة في معصية الله، ح: ٢٨٦٣.

سنن النسائي، كتاب البيعة، باب جزاء من أمر بمعصية.

مسند أحمد، ج ١٧/٢ و ١٤٢.

٥) وعن ابن مسعود قال:

قال: «سيلي أموركم بعدي رجال يطفئون السنة ويعملون بالبدعة، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها» فقلت: يا رسول الله! ان ادركتهم كيف أفعل؟ قال: «تسألني يا ابن أم عبد كيف تفعل؟ لا طاعة لمن عصى الله»[١].

٦) وعن عبادة بن الصامت في حديث طويل آخره: «فلا طاعة لمن عصى الله تبارك وتعالى فلا تعتلوا بربكم»[٢].

وفي رواية: «لا تضلوا بربكم»[٣].

يتضح لنا من دراسة البيعة في سنّة الرسول صلّى الله عليه وآله ان للبيعة ثلاثة اركان:

أ) المبايع.

ب) المبايع له.

ج) المعاهدة على الطاعة للقيام بعمل ما.

وتقوم البيعة اولا على تفهم ما يطلب الطاعة على القيام به، ثم تنعقد المعاهدة بضرب يد المبايع على يد المبايع له بالكيفية الواردة في السنة، والبيعة على هذا مصطلح شرعي، غير ان شروط تحقق البيعة المشروعة في الاسلام غير واضحة لكثير من المسلمين اليوم فنقول:

تنعقد البيعة في الاسلام اذا توفر فيها الشروط الثلاثة التالية:

أ) ان يكون المبايع ممن تصح منه البيعة، ويبايع اختياريا.

ب) ان يكون المبايع له ممن تصح مبايعته.

ج) ان تكون البيعة لامر يصح القيام به.

وعلى ما بينا لا تصح البيعة من صبي او مجنون، لانهما غير مكلفين بالاحكام في الاسلام، ولا تنعقد بيعة المكره، لأن البيعة مثل البيع فكما لا ينعقد البيع بأخذ المال من صاحبه قهرا ودفع الثمن له، كذلك البيعة لا تنعقد بأخذها بالجبر وفي ظل السيف.

١) سنن ابن ماجة، ج ٢/٩٥٦ الحديث: ٢٨٦٥ ومسند أحمد ١/٤٠٠ وفي لفظ ليس طاعة لمن عصى الله.

٢) مسند أحمد، ٥/٣٢٥ عن عباده بن الصامت وانه روى الحديث في دار عثمان عندما شكاه معاوية الى عثمان فجلبه عثمان الى المدينة، ومختصر الحديث برواية عبادة في ص ٣٢٩ منه.

٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧/٢١٥.

وكذلك لا تصح البيعة للمتجاهر بالمعصية، ولا تصح البيعة للقيام بمعصية الله.

ثالثا: الخلافة والخليفة في لغة العرب

الخلافة في لغة العرب: النيابة عن الغير[١]، والخليفة: من يقوم مقام الغير ويسد مسده[٢].

وفي تعريف أخر، الخليفة: من يخلف غيره، ويقوم مقامه وبهذا المعنى ورد في القرآن الكريم:

«يا داود انا جعلناك خليفة في الارض»[٣].

وفي حديث الرسول صلّى الله عليه وآله:

«اللهم ارحم خلفائي، اللهم ارحم خلفائي، اللهم ارحم خلفائي، قيل له يا رسول الله صلّى الله عليه وآله من خلفاؤك ؟

قال: «الذين يأتون بعدي يروون حديثي وسنتي».

وكذلك استعمل على عهد الخليفة الاول.

قال ابن الاثير في نهاية اللغة:

وفي حديث أبي بكر، جاءه أعرابي فقال له: أنت خليفة رسول الله؟

فقال: لا، فقال: فما انت؟ قال: انا الخالفة بعده.

قال ابن الاثير: الخالفة: الذي لاغناء عنده ولا خير فيه، وانما قال ذلك تواضعا...[٤]

واستعمل في المعني اللغوي أيضا في عصر الخليفة الثاني فقد روى السيوطي «ت: ٩١١ هـ» في تاريخه، قال: «فصل في نبذ من قضاياه» أخرج العسكري في «الأوائل» والطبراني في «الكبير» والحاكم في «المستدرك»: ان عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة: لاي شيء كان يكتب «من خليفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم» في عهد أبي بكر؟ ثم كان عمر كتب أوّلا «من خليفة أبي بكر»

١) مفردات الراغب، مادة «خلف».

٢) نهاية اللغة لابن الاثير، ولسان العرب، مادة «خلف».

٣) سورة ص، الآية ٢٦.

٤) وعن ابن الاثير نقل ذلك في لسان العرب.

فمن أول من كتب «من أميرالمؤمنين»؟ فقال: حدثتني الشفاء ــ وكانت من المهاجرات ــ انّ أبابكر كان يكتب: من خليفة رسول الله، وكان عمر يكتب من خليفة خليفة رسول الله، حتى كتب عمر الى عامل العراق ان يبعث اليه رجلين جلدين يسألهما عن العراق وأهله، فبعث اليه لبيد بن ربيعة، وعدي بن حاتم، فقدما المدينة، ودخلا المسجد، فوجدا عمرو بن العاص، فقالا: استأذن لنا على أميرالمؤمنين، فقال عمرو: أنتما والله أصبتما اسمه، فدخل عليه عمرو، فقال: السلام عليك يا أميرالمؤمنين، فقال: ما بدا لك في هذا الاسم؟ لتخرجنّ مما قلت فأخبره وقال: أنت الأمير ونحن المؤمنون، فجرى الكتاب بذلك من يومئذ.

وروى عن النووي في تهذيبه: وقال: قال عمر للناس: أنتم المؤمنون وأنا أميركم فسمي أميرالمؤمنين، وكان قبل ذلك يقال له: خليفة خليفة رسول الله، فعدلوا عن تلك العبارة لطولها[1].

جرت العادة على تسمية الخلفاء بأميرالمؤمنين حتى عصر العباسيين، وأحيانا كانوا يصفونهم بالخليفة، ويقصدون انه خليفة الله.

فقد قال الحجاج في خطبة صلاة الجمعة:

فاسمعوا وأطيعوا لخليفة الله وصفيه عبدالملك بن مروان[2].

ولما قيل في مجلس المهدي العباسي انّ الخليفة الاموي الوليد كان زنديقا، قال المهدي: «خلافة الله عنده اجلّ من أن يجعلها في زنديق»[3].

وفي عصر العثمانيين استعمل لفظ الخليفة واريد به خليفة رسول الله حتى صار لفظ الخليفة اسما لسلطان المسلمين الاعظم[4].

الخلاصة

استعمل لفظ الخليفة في القرآن ولم يقصد بها خليفة رسول الله، وفي حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله وقصد بها رواة احاديثه.

١) تاريخ السيوطي، ط / مطبعة السعادة بمصر، ١٣٧١ هـ، ص ١٣٧ ــ ١٣٨.
٢) سنن ابي داود ج ٢/٢١٠، ح ٤٦٤٥ باب في الخلفاء.
٣) تاريخ ابن كثير ١٠/٧ ــ ٨.
٤) راجع المعجم الوسيط مادة خلف.

وفي عصر الخليفتين استعملت في معناها اللغوي وقيل لعمر بن الخطاب (رض): خليفة خليفة رسول الله.

واستعملت في عصر الامويين والعباسيين وقصد بها خليفة الله، وعلى عهد العثمانيين وقصد بها خليفة رسول الله، اذن فهذه التسمية من مصطلحات المتشرعة وتسمية المسلمين، وليست مصطلحا شرعيا.

رابعا: أمير المؤمنين

مما أوردنا سابقا عرفنا أن لفظ أمير المؤمنين استعمل منذ عصر الخليفة عمر بن الخطاب وأريد به الحاكم الاسلامي الاعلى، وبقي متداولاً كذلك الى عصر العثمانيين.

خامساً: الامام

الامام في اللغة: الانسان الذي يؤتم به ويقتدى بقوله او فعله محقا كان او مبطلا[1]، كما ورد في قوله تعالى:

« يوم ندعو كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرأون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا »[2].

ومن الثاني ما ورد ذكره في قوله تعالى:

«فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون»[3].

والامام في الاسلام هو الهادي الى سبيل الله بأمرٍ من الله انسانا كان كما ورد ذكره في قوله تعالى:

«واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين»[4].

وقوله تعالى: «وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ...»[5].

١) راجع مادة «أم» من معاجم اللغة.
٢) سورة الاسراء، الاية ٧١ ــ ٧٢.
٣) سورة التوبة، الاية ١٢.
٤) سورة البقرة، الاية ١٢٤.
٥) سورة الانبياء، الاية ٧٣.

أو كان كتاباً كما ورد ذكره في قوله تعالى:

«ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة»[١].

وندرك من فحوى الايتين المذكورتين اعلاه ان شرط الامام في الاسلام ان كان كتابا ان يكون منزلا من قبل الله على رسله لهداية الناس كما كان شأن كتاب محمد صلّى الله عليه وآله: القرآن الكريم، ومن قبله كتاب موسى: التوراة، وكذلك شأن كتب سائر الانبياء[٢].

وان كان انسانا ان يكون معينا من قبل الله لقوله تعالى:

«جاعلك للناس اماما» و «عهدي».

وان يكون غير ظالم لنفسه ولا لغيره اي غير عاص لله لقوله تعالى: «لا ينال عهدي الظالمين».

وفي ضوء ما سبق يصح القول بان الامام في الاصطلاح الاسلامي هو الكتاب المنزل من قبل الله على رسله لهداية الناس.

والانسان المعين من قبل الله لهداية الناس وشرطه ان يكون معصوما من الذنوب.

سادساً: الامر وأولوا الامر

لمعرفة معنى «الامر» و «اولي الامر» وهل هما مصطلحان شرعيان أم لا؟ نستعرض في مايلي موارد استعمالهما في لغة العرب وعرف المسلمين والنصوص الاسلامية كتاباً وسنةً، فنقول:

أ) في لغة العرب

ورد في سيرة ابن هشام، والطبري، وغيرهما، أن رسول الله كان يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب، يدعوهم الى الاسلام، ويخبرهم أنه نبي مرسل من قبل الله، ويسألهم أن يُصدّقوه ويمنعوه حتى يبيّن عن الله ما بعثه به.

«قال وأنه أتى بني عامر بن صعصعة ذات مرة فدعاهم الى الله عزوجل،

١) سورة هود، الاية ١٧.

٢) راجع مادة «الكتاب» في المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم.

وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم يقال له بحيرة بن فراس[١]: والله لو اني أخذت هذا الفتى من قريش لاكلت به العرب ثم قال له: أرأيت ان نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الامر من بعدك ؟ قال: «الامر الى الله يضعه حيث يشاء» قال: فقال له: أفنُهدف نحورنا[٢] للعرب دونك فاذا أظهرك الله كان الامر لغيرنا؟!! لا حاجة لنا بأمرك[٣].

* * *

ان هذا العربي كان يفهم (أمر رسول الله) على أنه سيادة وحكم على العرب، فأراد أن يعقد مع الرسول حلفا يكون لقبيلته الحكم والسيادة على العرب من بعد الرسول، لكن الرسول امتنع من اجابته رغم حاجته الشديدة يومذاك الى المؤازرين، لان الامر ليس اليه وانما الامر الى الله يضعه حيث يشاء.

وكذلك كان شأن هوذة بن علي الحنفي في طلبه من الرسول حين دعاه الرسول الى الاسلام كما في طبقات ابن سعد، ما ملخصه:

كتب رسول الله صلّى الله عليه وآله الى هوذة بن علي الحنفي يدعوه الى الاسلام، فكتب في جواب النبي صلّى الله عليه وآله «ما أحسن ما تدعو اليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الامر أتبعك، فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «لو سألني سيابة من الارض ما فعلت»[٤].

نرى أن الرسول صلّى الله عليه وآله قصد من «سيابة»: الارض المهملة. اذن فقد طلب هوذة من الرسول أن يجعل له بعض الامر: امارة ما على أرض أو قبيلة وما شابهها فأجابه الرسول أنه لا يؤمره ولا على سيابة من الارض، وهذا القول من الرسول نظير قول أهل الكوفة أو البصرة عندما وظف واليهم على كل واحد منهم نقل كمية من

١) قال ابن هشام: فراس: ابن عبدالله بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. سيرة ابن هشام ٢/٣٣.

٢) «أفنهدف نحورنا» معناه نصيّرها هدفا، والهدف: الغرض الذي يرمى بالسهام اليه.

٣) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣١ ــ ٣٤، والطبري.

٤) طبقات ابن سعد، ط. اوربا ج ١/ ق ١٨/١.

وقالوا في السيابة: واحدةالسياب: البسر الاخضر، وعلى هذا لم يكن من المناسب أن يقول ولا سيابة أي لا بسر من الارض بل كان المناسب أن يقول ولا بسر من التمر. ونرى أن السيابة مشتقة من السيب وهو كل سيب وخلي ومنه السائبة: أي الدابة المهملة، ويكون المعنى: الارض الخالية والمتروكة.

الحصباء الى مسجدهم الجامع ليفرشه بالحصباء، وأمّر عليهم أحدهم وكان يتصعب في قبول الحصباء منهم، فقالوا: يا حبذا الامارة ولوعلى الحجارة! وكذلك الامر في الخبر السابق، فان هوذة طلب من الرسول الامارة «ولوعلى الحجارة» فأجابه الرسول: لا، ولا على الحجارة.

ب) في عرف المسلمين:

كان أكثر استعمال «الامر» في عرف المسلمين يوم السقيفة وما بعدها، قال سعد بن عبادة للانصار يوم السقيفة:

«استبدوا بهذا الامر دون الناس...».

واجابته الانصار بقولهم: «نوليك هذا الامر».

ثم ترادوا الكلام وقالوا: فان أبت مهاجرة قريش فقالوا... نحن عشيرته وأولياؤه فعلام تنازعوننا هذا الامر من بعده؟»

وقال أبوبكر في احتجاجه عليهم يومذاك: «ولن يعرف هذا الامر الا لهذا الحي من قريش...».

وقال ــ أيضا ــ في قريش: «هم أحق الناس بهذا الامر من بعده ولا ينازعهم ذلك الا ظالم».

وقال عمر ــ أيضا ــ يوم السقيفة: «من ذا ينازعنا سلطان محمد وامارته ونحن أهله وعشيرته».

وقال الحباب بن المنذر في جوابه «لا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر... فأنتم والله أحق بهذا الامر...».

وقال بشير بن سعد عندئذ في حق قريش: «لا يراني الله أنازعهم هذا الامر أبدا»[1].

ج) في النصوص الاسلامية:

لقد ورد في حديث الرسول ذكر «الامر» كثيرا مما سندرسه في البحوث الاتية

١) كل هذه المحاججات وردت في خبر السقيفة بتاريخ الطبري، ط. اوربا ١٨٣٧/٤ ــ ١٨٥١.

ان شاء الله تعالى ونقتصر هنا بتسجيل كلمة الرسول صلى الله عليه وآله في جواب العامري:

«ان الامر الى الله يضعه حيث يشاء».

وقد ورد في كتاب الله تعالى:

«يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم...» النساء / ٥٩.

* * *

في كل هذه الموارد سواء في لغة العرب، وعرف المسلمين، والنصوص الاسلامية سنة وكتابا، انما أريد من الامر أمر الامامة والحكم على المسلمين.

وعلى هذا فان «الامر» استعمل في الشرع الاسلامي بنفس المعنى الذي استعمل فيه لدى العرب والمسلمين ولا مانع بعد ذلك أن نسمي «أولي الامر» مصطلحا شرعيا وتسمية اسلامية واريد به الامام بعد النبي صلّى الله عليه وآله ولا خلاف في ذلك ولكن الخلاف بين المدرستين في من يصدق عليه تسمية أولي الامر، فان مدرسة أهل البيت ترى أنه لما كان المقصود من أولي الامر: الائمة، فلا بد أن يكون منصوبا من قبل الله معصوما من الذنوب على التفصيل الذي سيأتي بيانه في بابه ان شاء الله.

وترى مدرسة الخلافة أن «أولى الامر»: من بايعه المسلمون بالحكم. وبناء على ذلك يرون وجوب طاعة كل من بايعوه، وعلى هذا الاساس أطاعوا الخليفة يزيد بن معاوية فقتلوا وسبوا آل بيت رسول الله بكر بلاء، وأباحوا مدينة الرسول ثلاثة أيام، ورموا الكعبة بالمنجنيق كما سيأتي بيانه في محله ان شاء الله تعالى.

دراسة رأي مدرسة الخلفاء

بعد دراسة المصطلحات الستة الماضية تتيسر دراسة رأى المدرستين في الخلافة والامامة وما استدلوا به في هذا المقام، ونبدأ بدراسة أراء مدرسة الخلافة في مايلي:

رأي مدرسة الخلافة وما استدلوا به:

اولا: قال الخليفة ابوبكر:

لن يعرف هذا الامر الا لهذاالحي من قريش، هم أوسط العرب نسبا ودارا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين «عمر و أبي عبيدة» فبايعوا أيهما شئتم[1].

ثانيا: قال الخليفة عمر بن الخطاب:

فلا يغترن امرؤ أن يقول انما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وأنها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها، وليس منكم من تقطع الاعناق اليه مثل أبي بكر، من بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرّة أن يقتلا[2].

مناقشة الاستدلالين

أشرنا هنا اولا الى استدلال الخليفة ابي بكر في السقيفة، وثانيا الى رفع الخليفة عمر شعار الشورى لولاية الامر من بعده. اما ما كان من احتجاج الخليفة ابي بكر في السقيفة، فان الحقيقة في امر احتجاجات جميعهم يوم ذاك ، هي انها كانت تدور حول

١ و ٢) البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى.

المنطق القبلي، فان الانصار لما تركوا جنازة رسول الله صلّى الله عليه وآله ملقى بين اهله، وبادروا الى سقيفة بني ساعدة ليولوا سعدا ما قالوا ان سعدا افضل من غيره واولى بهذا الامر، بل قالوا: ان الناس في فيئكم ولا يجترئ مجترئ عليكم.

وان مهاجرة قريش ــ ايضا ــ لما التحقوا بهم احتجوا بالمنطق القبلي حين قالوا: ان قريشا اوسط العرب دارا، وقالوا من ذا ينازعنا سلطان محمد ونحن اهله وعشيرته.

وكذلك كان قول الانصاري حين قال: منّا امير ومنكم امير، وقول المهاجري حين قال: نحن الامراء وأنتم الوزراء.

وكذلك كان دافع اسيد بن حضير وسائر من حضر من افراد قبيلته الاوس قبلياً حين خافوا سلطة الخزرج عليهم، وتذكروا حرب البعاث بينهم، والتي لم يكن قد مضى عليها عقدان من الزمن وقالوا: والله لئن وليتها عليكم الخزرج مرة، لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا ابدا، فقوموا فبايعوا ابا بكر.

وتمت الغلبة اخيرا لمهاجرة قريش بمجيء قبيلة «اسلم» التي ملأت سكك المدينة، وبايعت ابا بكر ونصرت مهاجرة قريش على الانصار، وحق للخليفة عمر بعد ذلك ان يعتبر بيعة ابي بكر فلتة!

* * *

كانت هذه حقيقة تلك الواقعة مهما كان نوع الاستدلال فيها.

اما ما ذكر الخليفة عمر من امر الشورى فسندرسه بحوله تعالى ضمن دراسة آراء اتباع مدرسة الخلفاء في مايلي.

ثالثا: آراء اتباع مدرسة الخلفاء في امر الخلافة:

تتلخص آراء مدرسة الخلفاء في شأن الخلافة واقامتها في الامرين التاليين:

اولا: تقام الخلافة:

أ) بالشورى

ب) بالبيعة

ج) باتباع ما عملته الصحابة في اقامتها

د) بالقهر والغلبة

ثانياً: يجب طاعة الخليفة بعد ما بويع، وان عصى ربه.

* * *

بعد دراسة المصطلحات المذكورة تتيسر لنا دراستها واحدة بعد الاخرى في ما يأتي:

أولا: مناقشة الاستدلال بالشورى

ان أوّل من ذكر الشورى وأمر بها لاقامة الخلافة هو الخليفة عمر بن الخطاب، غير أنه لم يأت بدليل على أن الامامة في الاسلام تُقام بالشورى، واستدل المتأخرون من أتباع مدرسة الخلفاء على صحة اقامة الامامة بالشورى بآيتين من كتاب الله، وبما ورد عن رسول الله انه كان يستشير أصحابه في بعض الامور الهامة، وبكلمة عن الامام علي، ونحن نبدأ هنا بدارسة ما استدلوا به في هذا الصدد ثم ندرس الشورى التي أمر بها الخليفة عمر.

الاستدلال بالشورى بكتاب الله وسنة رسوله

أ) استدلوا بقوله تعالى للمؤمنين: «وأمرهم شورى بينهم»[١].

ب) بقوله تعالى لرسوله: «وشاورهم في الامر»[٢].

ج) أن رسول الله كان يستشير أصحابه في الامور الهامة، فنقول:

أولا: الاستدلال بآية «وأمرهم شورى».

ان هذه الجملة من آية ٣٨ من سورة الشورى جاء بعدها «ومما رزقناهم ينفقون» كلتا الجملتين تدلان على رجحان الفعل فيهما، وليس على وجوب التشاور والانفاق.

هذا اولا، وثانيا انما يصحّ التشاور في أمر لم يرد فيه من الله ورسوله حكم، فقد قال الله سبحانه: «ما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا» الاحزاب ــ ٣٥، وسيأتي بعيد هذا ما ورد عن الله ورسوله في أمر الامامة ما لا يبقى معه مورد للتشاور.

١) شورى / ٣٨.

٢) آل عمران / ١٥٩.

ثانيا: الاستدلال بآية «وشاورهم في الامر» ان هذا الآية التاسعة والخمسين بعد المائة من سورة آل‌عمران وقد وردت ضمن سلسلة من آيات ١٣٩ ــ ١٦٦ منها وكلها في أمر غزوات الرسول وكيف نصرهم الله فيها، وفي بعضها يخاطب المسلمين وخاصة الغزاة منهم ويعظهم، وفي بعضها يخاطب الرسول خاصة ومن ضمنها هذه الآية:

«فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله، ان الله يحبّ المتوكلين». يظهر جليا أن الامر بالمشاورة في هذه الآية بقصد الملاينة معهم والرحمة بهم، وليس مأمورا بالعمل برأيهم، بل يقول له واذا عزمت فتوكل واعمل برأيك، ومن المجموع أيضا أن مقام المشاورة الراجحة انما هي في الغزوات، وما ذكر من مشاورة الرسول مع أصحابه أيضا كانت في الغزوات كما سنذكرها في مايلي:

ثالثا: الاستدلال بمشاورة الرسول مع أصحابه:

ان مشاورة الرسول مع أصحابه كانت في الغزوات، وأشهرها مشاورته معهم في غزوة بدر، وقصتها كمايلي:

ندب رسول الله أصحابه للتعرض لقافلة قريش التجارية الراجعة من الشام بقيادة أبي‌سفيان وخرج مع ٣١٣ شخصا ممن استعد للاستيلاء على القافلة التجارية وليس للقتال، وبلغ الخبر أباسفيان فانحرف في سيره عن الطريق، واستصرخ قريشا بمكة فخرجت مستعدة للقتال في جيش يقارب الالف محارب، وأفلت أبوسفيان والقافلة، فكان الرسول صلّى الله عليه وآله أمام خيارين: التراجع الى المدينة بسلام، أو مقاتلة جيش قريش المتأهب للقتال بجيشه غير المتكافئ عددا وعدة.

تفصيل الخبر:

روى ابن هشام في سيرته وقال:

واتاه الخبر عن قريش ومسيرهم ليمنعوا عيرهم، فاستشار الناس واخبرهم عن قريش، فقام ابوبكر الصديق فقال واحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد...[1].

ثم ذكر ما قاله المقداد وما قالته الانصار. بينا لم يذكر ما قاله أبوبكر ثم عمر!

١) سيرة ابن هشام ج ٢/٢٥٣.

وفي صحيح مسلم:

فتكلم أبوبكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام المقداد...[١].

انّ مسلماً هكذا ذكر أيضا ولم يذكر ما تكلم به أبوبكر وكلاهما لم يتما ذكر الخبر، ونحن ننقل تمام الخبر من مغازي الواقدي وامتاع الاسماع للمقريزي واللفظ للاول قال، قال عمر:

يا رسول الله، إنها واللّهِ قُرَيش وعِزُّها، واللّهِ ما ذَلَّتْ منذ عَزَّتْ، واللّهِ ما آمنتْ منذ كفرتْ، واللّهِ لا تُسلم عزَّها أبداً، ولتُقاتلنّك، فاتَّهبْ لذلك أُهْبَتَه وأعِدّ لذلك عُدَّته. ثم قام المِقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لأمر الله فنحن معك؛ واللّهِ لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيّها: «فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ»[٢]، ولكن اذهبْ أنت وربُّك فقاتلا إنّا معكما مُقاتلون؛ والذي بعثك بالحقّ لو سرت بنا إلى بِرْك الغِماد لسرنا معك ــ وبِرْك الغِماد من وراء مكّة بخمس ليال من وراء الساحل ممّا يلي البحر، وهو على ثمان ليال من مكّة إلى اليمن. فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خيراً، ودعا له بخير. ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أشيروا عليّ أيّها الناس!» وإنما يُريد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الأنصار، وكان يظنّ أنّ الأنصار لا تنصره إلاّ في الدار، وذلك أنهم شرطوا له أن يمنعوه ممّا يمنعون منه أنفسهم وأولادهم. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أشيروا عليّ!» فقام سعد بنُ مُعاذ فقال: أنا أُجيب عن الأنصار؛ كأنّك يارسول الله تُريدنا! قال: «أجل». قال: إنّك عسى أن تكون خرجت عن أمرٍ قد أُوحي إليك في غيره، وإنّا قد آمنا بك وصدّقناك، وشهدنا أنّ كلّ ما جئتَ به حقٌّ، وأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السَّمع والطاعة؛ فامضِ يا نبيّ الله، فوالذي بعثك بالحقّ لو استعرضتَ هذا البحرَ فخُضْتَه لخُضْناه معك، ما بقي منّا رجل؛ وصِلْ من شئتَ، واقطع من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذتَ من أموالنا أحبّ إلينا ممّا تركتَ. والذي نفسي بيده، ما سلكتُ هذا الطريق قطُّ، ومالي بها من علمٍ، وما نكره أن يلقانا عدوّنا غداً؛ إنّا لصُبُرٌ عند الحرب، صُدُقٌ عند اللّقاءِ، لعلّ الله يُريك منّا ما تَقَرُّ به عينُك.

حدّثنا محمّد قال: حدّثنا الواقديّ قال: فحدّثني محمّد بن صالح، عن عاصم

١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر ٣/١٤٠٣.

٢) سورة المائدة ٢٤.

بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لَبيد قال: قال سَعد: يا رسول الله، إنّا قد خَلَّفْنا من قومنا قوماً ما نحن بأشدَّ حُبًّا لك منهم، ولا أطوع لك منهم، لهم رَغبةٌ في الجهاد ونيَّةٌ؛ ولو ظنّوا يا رسول الله أنّك ملاقٍ عدوًّا ما تخلفوا، ولكن إنما ظنّوا أنّها العِير. نبني لك عريشاً فتكون فيه ونعدّ لك رواحلك، ثم نلقى عدوّنا، فإن أعزّنا اللّهُ وأظهرنا على عدوّنا كان ذلك ما أحببنا، وإن تكن الأُخرى جلستَ على رواحلك فَلحقتَ مَن وراءَنا. فقال له النبيّ صلّى الله عليه وسلّم خيراً، وقال: «أو يقضي الله خيراً من ذلك يا سَعد!»

قالوا: فلمّا فرغ سعد من المشورة، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «سيروا على بركة الله، فإنّ الله قد وعدني إحدى الطائفتين. واللّهِ، لكأنّي أنظر إلى مصارع القوم.» قال: وأرانا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مصارعهم يومئذٍ؛ هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، فما عدا كلُّ رجلٍ مصرعه. قال: فعلم القوم أنّهم يُلاقون القتال، وأنّ العِير تُفلت، ورجَوا النَّصر لقول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[1].

كانت هذه استشارة رسول الله في هذا المقام.

ان رسول الله صلّى الله عليه وآله يستشير أصحابه في ماذا يفعلون، وقد أخبره الله سبحانه وتعالى بأنهم سيقاتلون وينتصرون، وأخبره بمصارع القوم، والرسول صلّى الله عليه وآله أيضا يخبر أصحابه بمصارع القوم بعد أن وافقوه على القتال، فهو اذ يستشيرهم لا يريد الاستفادة من رأيهم، وانما هو نوع من الملاينة واخبار بافلات عير قريش وتغيير الامر من الاستيلاء على مال التجارة الى القتال فليستعدوا للقتال.

كانت هذه مشاورة الرسول صلّى الله عليه وآله أصحابه في هذا المقام، وفي مايلي قصة مشورة أصحاب الرسول في غزوة أحد، وفي هذه المشاورة عمل رسول الله صلّى الله عليه وآله برأي أصحابه كماورد في مغازي الواقدي وامتاع الاسماع للمقريزي قالا: ان رسول الله صلّى الله عليه وآله صعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيُّها النّاس، إني رأيْتُ في منامي رُؤْيا: رأيتُ كأنّي في دِرْعٍ حصِينة، ورأيت كأنّ سيفي ذا الفَقَارِ انقَصَمَ[2] من عند ظبتِه[3]، ورأيت بقراً تُذبح؛ ورأيت كأني مُرْدِفٌ كبشاً.» فقال الناس يا رسول الله، فما أوَّلتها؟ قال: «أما الدّرع الحصينة

١) مغازي الواقدي، ط. اكسفورد ٤٨/١ ــ ٤٩. وامتاع الاسماع للمقريزي، ٧٤ ــ ٧٥.

٢) انقصم: تكسر وتثلم.

٣) الظّبة: حد السيف من قبل ذبابه وطرفه.

فالمدينةُ، فامكثُوا فيها، وأما انقصام سيفي من عند ظبَتِه فمصيبةٌ في نفسي، وأما البقرُ المذبَّحُ فمقتَلَى في أصحابي، وأمّا أنّي مُرْدف كبشاً فكبشَ الكتيبةِ نقتُله إن شاء الله.» وفي رواية: «وأما انقِصَامُ سيفي فقتْل رجل من أهل بيتي.» وقال: أشيرُوا عَليَّ.» ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يخرج من المدينة فوافقَه عبدالله بن أُبيّ والأكابرُ من الصحابة مُهاجرُهم وأنصارُهم، وقال عليه السلام: «امكثُوا في المدينة واجعلوا النّساء والذّراريَّ في الآطام، فإن دُخِلَ علينا قاتلناهم في الأزقّةِ ــ فنحن أعلم بها منهم ــ ورُمُوا من فوق الصياصي والآطام[١].» وكانوا قد شبَّكوا المدينة بالبُنْيان من كل ناحية فهي كالحصن، فقال فتيانٌ أحْداثٌ لم يشهدُوا بدراً وطلبُوا الشهَادة وأحبُّوا لقاءَ العدوّ: اخرجْ بنا إلى عَدُوِّنا. وقال حَمْزةُ، وسعدُ بن عبادة، والنعمانُ بن مالك بن ثَعلبة، في طائفةٍ من الأنصار: إنَّا نَخْشَى يا رسول الله أن يَظنَّ عدوُّنا أنَّا كرهْنَا الخروجَ إليهم جُبْناً عن لِقائهم، فيكون هذا جرأةً منهم عَلَيْنا؛ وقد كنتَ يوم بدر في ثلاثمائة رجل فظفَرَك الله عليهمْ، ونحن اليوم بشرٌ كثيرٌ؛ قد كُنَّا نَتَمنى هذا اليوم وندعو الله به، فساقه الله إلينا في سَاحَتنا. ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم لِمَا يرَى من إلْحاحهم كارهٌ، وقد لبسوا السلاح. وقال حمزة: والذي أنزل عليكَ الكتاب لا أطْعَمُ اليوم طعاماً حتَّى أُجَالِدهم[٢] بسيفي خارجاً من المدينة، وكان يوم الجمعة صائما ويوم السبت صائما. وتكلم مالك بن سِنان والد أبي سعيد الخُدري، والنُّعمان بن مالك بن ثَعلبة، وإياس بن أوس بن عتِيك، في معنى الخروج للقتال. فلمّا أبَوْا إلاّ ذلك صلى[٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعةَ بالناس وقد وَعظَهم وأمرهم بالجِدّ والجِهاد؛ وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا، ففرح النَّاس بالشُّخوص[٤] إلى عَدوّهم، وكَرِه ذلك المَخْرجَ كثيرٌ. ثم صلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم العَصْرَ بالنّاس وقد حشَدوا، وحضر[٥] أهلُ العَوالي[٦] ورَفَعوا النِّساء في الآطام: ودخل صلى الله عليه وسلم بيتَه ومعهُ

١) الصياصي جمع صِيصِيَة: وهي الحصون، والآطام جمع أطم: وهي بيوت من حجارة كانت لأهل المدينة.

٢) جالد بالسيف، ضرب به كأنه يجلد بسوط لسرعة ضربه وتتابعه.

٣) في الأصل: «صلى الله».

٤) الشخوص: الخروج.

٥) في الأصل: «حضرو».

٦) العوالي: منية بينها وبين المدينة ثلاثة أميال.

أبوبكر و عمر (رض) فعمّماه ولبّساهُ. وقد صَفَّ الناس له ما بين حجرته إلى مِنبره، فجاء سعد بن معاذ وأُسَيْد بن حُضَيْر فقالا للناس: قلتم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلتم واستكرهتموه عَلَى الخروج، والأمر ينْزل عليه من السماء، فرُدُّوا الأمر إليه فما أمرَكم فافعلوه، وما رأيتم فيه لهُ هَوًى أو رأيٌ فأطيعوه. فبيناَ هُمْ على ذلك إذ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لبس لَأْمَتَه[١]، ولَبس الدرع فأظْهَرها وحَزَمَ وسطها بِمِنْطَقَةٍ[٢] [مِنْ أدَمٍ][٣] من حَمَائل سَيْف، واعتَمَّ، وتقلَّد السيف. فقال الذين يُلِحون: يا رَسُول الله، ما كان لَنَا أن نُخَالفَك، فاصْنَعْ ما بدالَك، فقال: «قد دَعَوْتُكم الى هذا الحديث فأبيتم، ولا ينبغي لنبي اذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه، انظروا ما أمرتكم به فاتبعوه، امضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم.»

* * *

لعل الحكمة في استجابة رسول الله صلّى الله عليه وآله لالحاح أصحابه في الخروج أنه لولم يستجب لهم الرسول أثر في نفوسهم تأثيرا سيئا، وأولد فيهم الضعف والاستكانة بدل الاقدام والشجاعة، أما عدم استجابته لهم بعد أن طابقوا رأيه فقد ذكر هو صلّى الله عليه وآله حكمته.

مثال آخر من عمل الرسول برأي أصحابه فيما أشاروا عليه: قصة جرت في غزوة الخندق نوردها في مايلي:

غزوة الخندق

روى الواقدي والمقريزي وقالا عن غزوة الخندق:

وأقامَ صلّى الله عليه وسلم وأصحابُه محصورين بضعَ عشرة ليلةً حتى اشْتَدَّ الكَرْب، وَقال صلّى الله عليه وسلم: «اللّهمَّ إنّي أَنْشُدُكَ عَهْدَك وَوَعْدَك ؛ اللّهم إنَّك إن تَشَأ لا تُعْبَد.» وأرسَل إلى عُيَيْنة بن حصْن، والحارثِ بن عَوفٍ ــ وهما رئيسَا غَطَفان ــ أن يَجعَل لَهُما ثُلُثَ ثَمَرِ المدينةِ ويَرجِعَان بمن مَعَهُما، فَطَلبا نصفَ الثَّمَر فأبَى عليهِمْ إلاّ الثُلُثَ، فَرَضِيَا. وجَاءَا في عشرة من قومِهِمَا حتى تَقَارَبَ الأمْر، وأُحْضِرت الصَّحِيفَةُ والدَّواةُ لِيَكْتُبَ عُثْمانُ بن عَفَّان (رض) الصُّلحَ ــ وعبَّادُ بن بشر قائمٌ

١) اللأمة: أداة الحرب ولباسها، كالرمح والبيضة والمغفر والسيف والنبل.
٢) المنطقة والنطاق، كلّ ما يشدّ به الواسط كالحزام.
٣) الذي بين القوسين كان في الأصل بعد قوله «حمائل سيف»، وهذا حقّ موضعه.

على رأس رسول الله صلّى الله عليه وسلم مقنّعٌ في الحديد ــ، فأقبل أُسَيْدُ بن حُضَيْر، وعُيَيْنَةُ مادٌّ رجْلَيه فقال له: يا عَيْنَ الهِجْرِس، اقبِضْ رجلَيْك. أتَمَدُّ رجليكَ بَيْن يَدَيْ رسول الله صلّى الله عليه وسلم؟ والله لولا رسول الله لأنفَذتُ حِضْنَيْك بالرُّمح! ثم قال: يا رسول الله صلّى الله عليكَ، إن كانَ أمراً من السَّماءِ فامْضِ لَهُ، وإن كان غَيْرَ ذَلك فوَالله لا نُعطِيهم إلاَّ السيْف. مَتَى طَمِعتُم بهذا مِنَّا؟ فَدَعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم سعدَ بن مُعاذ وسعدَ بن عُبادة فاسْتَشَارهما خُفْيَةً، فقالا: إنْ كان هذا أمراً من السَّماءِ فامْضِ له، وإن كان أمراً لم تُؤْمَر فِيهِ ولَكَ فيه هَوًى فسمعٌ وطَاعةٌ، وإن كان إنَّما هو الرأيُ فَما لهم عندَنا إلا السيْف. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «إنّي رأيتُ العَرَب رَمَتْكُم عَنْ قَوْسٍ واحدة فقلتُ أُرضِيهم ولا أُقاتلُهم.» فقالا: يا رسولَ الله، والله إنْ كانوا لَيَأْكلون العِلْهِزَ في الجاهِلية من الجهْدِ، ما طمِعُوا بهذَا مِنَّا قَطُّ: أن يَأْخُذُوا ثمرَةً إلا بِشِرَاء أو قِرًى! فحينَ أتَانا الله بكَ وأكْرَمَنا بك؛ وهَدَانا بكَ، نُعطِي الدَّنيَّة! لا نعْطِيهم أبَداً إلا السيْف. فقال صلّى الله عليه وسلم: «شُقَّ الكِتَابَ.» فشقَّه سعدٌ، فقَام عُيَيْنَةُ والحارثُ. فقال صلّى الله عليه وسلم: «ارجِعُوا بيْننا السيفُ» رافعاً صوْتَه. كانت هذه قصة استشارة الرسول صلّى الله عليه وآله مع أصحابه في هذه الغزوة، ويظهر من محاورة الرسول فيها أنه صلوات الله عليه أراد أن يوقع الخلاف بين القبائل المحاربة، وخاصة أن في آخره يرفع صوته ويقول: «ارجعوا بيننا السيف» فان هذا الخبر ينتشر ويبلغ قريشاويقع بينهم الخلاف، وقد رويا بعد هذا: أن رسول الله صلّى الله عليه وآله أمر نعيم بن مسعود بذلك ونجح، فالقى الشك والترديد والخلاف بين بني قريضة وقريش وكان ذلك من أسباب انكسارهم[1].

في ضوء ما بيّناه من مشاورات الرسول صلّى الله عليه وآله، يتضح لنا جلياً انه لم تكن الغاية من تلك المشاورات ان يتعلم الرسول صلّى الله عليه وآله من اصحابه الرأي الصائب ليعمل به، بل كانت الغاية احيانا ان يعلمهم الرسول صلّى الله عليه وآله باسلوب المشورة الرأي الصائب الذي كان يعلمه الرسول صلّى الله عليه وآله مسبقا ليعملوا به.

١) مغازى الواقدي «ج ١/٢٣٥ ــ ٢٣٧»، وامتاع الاسماع للمقريزي ٢٣٥ ــ ٢٣٦. والعلهز: كان اهل الجاهلية في سني القحط والجماعة يخلطون الوبر بالدم ويشوونه ويأكلونه، ويسمونه العلهس.
الهجرس: ولد الثعلب، وقيل هو القرد اودويبة اخرى.

كما كان شأن مشورته اياهم في غزوة بدر فان الله كان قد اعلم رسوله صلّى الله عليه وآله النتيجة مسبقا من انهم سيقاتلون قريشا وينتصرون عليهم، وبعد المشاورة اعلمهم الرسول صلّى الله عليه وآله نتيجة الامر، وأراهم مصارع قريش. اذاً كانت الغاية من المشاورة توجيه المسلمين باسلوب المشاورة الى ما ينبغي ان يعملوه خلافا لاسلوب الملوك الجبارين الذين يملون آراءهم على الناس بقولهم مثلا: نحن ملك... اصدرنا أمرنا الملكي بكذا...

وان صدر الآية يدل بوضوح على ما ذكرنا، فانه تعالى قال: «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر...» فالمشاورة هنا من مصاديق الليونة وكونه رحمة من الله، اللتين وردتا في صدر الاية.

تارة تكون الغاية من المشاورة الملاينة كالمثال السابق، وتارة تكون الغاية تربية نفوس المسلمين، كما كان شأن المشاورة في غزوة احد فان رسول الله صلّى الله عليه وآله بعد ان اخذ برأيهم ولبس لامة حربه بقصد السير الى احد، ندموا على الحاحهم على الرسول صلّى الله عليه وآله بالخروج، وقالوا يا رسول الله صلّى الله عليه وآله ما كان لنا ان نخالفك فاصنع ما بدا لك، فقال: «قد دعوتكم الى هذا فأبيتم، ولا ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه.»

يظهر من المحاورات التي دارت بين الرسول صلّى الله عليه وآله وأصحابه في هذه الواقعة، ان عدم استجابة الرسول صلّى الله عليه وآله لرغبتهم العارمة في الخروج كان يؤثر على نفوسهم تأثيرا سيئا، ويولد فيهم ضعف النفس والتردد وعدم الاقدام في الحروب.

ثانيا: مناقشة الاستدلال بالبيعة

عرفنا في ماسبق: ان البيعة كالبيع تنعقد بالرضا والاختيار وليس بحد السيف والجبر؛

وانه لا بيعة في معصية؛

ولا في خلاف ما امر الله به؛

وانه لا بيعة لمن يعصي الله.

وعرفنا ان اول بيعة اخذت بعد رسول الله هي البيعة للخليفة ابي بكر وعلى صحتها تتوقف صحة بيعة الخليفة عمر لانها اخذت بامر من الخليفة ابي بكر، وعلى صحة بيعة الخليفة عمر تتوقف صحة بيعة الخليفة عثمان، لانها اخذت بامر من الخليفة عمر حين امر ان يبايعوا من الستة القرشيين من بايعه عبد الرحمن بن عوف، وان يقتلوا من خالف.

وعرفنا كيف اخذت البيعة للخليفة ابي بكر غلابا في سقيفة بني ساعدة ثم بمساعدة قبيلة بني اسلم في سكك المدينة، وكيف حمل النار الى بيت فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله صلّى الله عليه وآله، لانه قد تحصن فيه من ابى ان يبايع، وان بني هاشم لم يبايعوا مدة حياة ابنة رسول الله صلّى الله عليه وآله، وان الجن قتلت سعد بن عبادة بسهمين لانه لم يبايع، كان هذا شأن اخذ البيعة في المدينة. اما خارج المدينة، فكان شأن من امتنع عن بيعة الخليفة ابي بكر وأبى ان يدفع الزكاة لجباة الخليفة، قتل الرجال، وسبي النساء، وسلب الاموال.

كما كان شأن مالك بن نويرة عامل رسول الله صلّى الله عليه وآله[١] وأسرته من قبيلة تميم حين دهمهم جيش خالد بن الوليد ليلا، وأخذوا السلاح، فقال جيش خالد: انا المسلمون، فقال اسرة مالك: ونحن المسلمون، فقال لهم جيش خالد: فان كنتم كما تقولون، فضعوا السلاح فوضعوها ثم صلوا مع جيش خالد[٢] ثم أخذوهم الى خالد بن الوليد، فأمر بضرب عنق مالك فالتفت مالك الى زوجته وقال لخالد: هذه التي قتلتني وكانت في غاية الجمال، فقال خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الاسلام، فقال مالك: انا على الاسلام، وبعد قتله امر خالد برأسه فنصب اثفية للقدر وتزوج بامرأته في تلك الليلة ولما يدفن مالك[٣].

وكما كان شأن قبائل كندة فان زياد بن لبيد البياضي، عامل أبي بكر اخذ ناقة لفتى من كندة، فسأله الكندي اخذ غيرها فأبى ذلك، لانه وسمها بميسم الصدقة[٤] فذهب الفتى الى رجل من سادات كندة يقال له حارثة بن سراقة، وقال له: يا ابن عم

١) راجع ترجمته في الاصابة ٣/٣٣٦، رقم الترجمة: ٧٦٩٨.

٢) تاريخ الطبري ط. اوربا ١/١٩٢٧ ــ ١٩٢٨ وراجع تاريخ اليعقوبي ط. بيروت، ٢/١١٠.

٣) راجع تاريخ ابي الفداء ص ١٥٨، ووفيات الاعيان، ترجمة وثيمة، وكذلك فوات الوفيات، وبقية المصادر مع تفصيل الخبر في كتاب عبدالله بن سبأ ط. بيروت سنة ١٤٠٣ هـ، ج ١/١٨٥ ــ ١٩١.

٤) فتوح البلدان، ردة بني وليعة والأشعث بن قيس.

ان زياد بن لبيد قد أخذ لي ناقة فوسمها وجعلها مع ابل الصدقة، وانا مشغوف بها، فان رأيت ان تكلمه فيها فلعله ان يطلقها ويأخذ غيرها من ابلي، فأقبل حارثة الى زياد وقال له: ان رأيت ان ترد ناقة هذا الفتى عليه وتأخذ غيرها فعلت منعما، فقال زياد، قد وضع عليها ميسم الصدقة، فترادّا الكلام، فأقبل حارثة الى ابل الصدقة فأخرج الناقة بعينها، وقال للفتى خذ ناقتك فان كلمك احد سأحطم انفه بالسيف وقال:

نحن انما اطعنا رسول الله صلّى الله عليه وآله اذ كان حيا ولو قام رجل من اهل بيته لاطعناه واما ابن ابي قحافة فلا والله ماله في رقابنا طاعة ولا بيعة وأنشأ أبياتاً من جملتها:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فيا عجبا ممن يطيع ابابكر

وقال له الحارث بن معاوية من سادة كندة:

انك لتدعو الى طاعة رجل لم يعهد الينا ولا اليكم فيه عهد فقال له: زياد، صدقت ولكنا اخترناه لهذا الامر.

فقال له الحارث: اخبرني لم نحيتم عنها اهل بيته، وهم احق الناس بها لان الله عزوجل يقول: «واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله» فقال له زياد: ان المهاجرين والانصار انظر لانفسهم منك! فقال له الحارث: لا والله ما ازلتموها عن اهلها الا حسدا منكم، وما يستقر في قلبي ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خرج من الدنيا ولم ينصب للناس علما يتبعونه، فارحل عنّا ايها الرجل فانك تدعو الى غير رضا، ثم أنشأ الحارث يقول:

كان الرسول هو المطاع فقد مضى صلى عليه الله لم يستخلف

فأرسل زياد ابل الصدقة امامه الى المدينة ثم سار الى المدينة وأخبر ابابكر فجهزه في اربعة الاف مقاتل فسار زياد يريد حضرموت وفي طريقه كان يباغت قبائل كندة ويقتل منهم ويستأسر، مثل بني هند الذين هاجمهم وقتل منهم جماعة واحتوى على نسائهم وذراريهم.

ووافى حي بني العاقل من كندة غافلين فلما اشرفت الخيل عليهم تصايحت النساء واقتتل الرجال ساعة ووقعت الهزيمة عليهم، واحتوى زياد نساءهم وأموالهم.

وكبس بخيله في جوف الليل حي بني حجر من كندة فقتل منهم مائتي رجل وأسر خمسين وفرّ الباقون واحتوى على النساء والاولاد.

ثم قاتله الاشعث بن قيس وحاصره في مدينة «تيم» واسترجع منه الاموال والذراري وردها الى اهلها فأرسل الخليفة الى الاشعث كتابا يسترضيه فقال الاشعث للرسول: «ان صاحبك ابابكر يلزمنا الكفر بمخالفتنا له، ولا يلزم صاحبه الكفر بقتله قومي وبني عمي».

«فقال له الرسول: نعم يا أشعث! يلزمك الكفر لان الله تبارك وتعالى قد اوجب عليك الكفر بمخالفتك لجماعة المسلمين.»

فضربه غلام من بني عم الاشعث بسيفه فقتله، واستحسن فعله الاشعث فغضب من ذلك عامة اصحاب الاشعث حتى بقي في قريب من الفي رجل، فكتب زياد الى ابي بكر يخبره بقتل الرسول وانهم محاصرون، فاستشار الخليفة المسلمين في ما يصنع فأشار عليه ابوايوب الانصاري وقال: ان القوم كثير عددهم واذا همّوا بالجمع جمعوا خلقا كثيرا فلو صرفت عنهم الخيل في عامك هذا رجوت ان يحملوا الزكاة اليك بعد هذا العام طائعين. فقال ابوبكر والله لو منعوني عقالا واحدا مما كان النبي وظفه عليهم لقاتلتهم عليه ابدا او ينيبوا الى الحق، ثم كتب الى عكرمة بن أبي جهل ان يسير بمن أجابه من اهل مكة الى زياد ويستنهض من مرّ عليه من احياء العرب، فخرج في الفي فارس من قريش ومواليهم وأحلافهم ثم سار الى مأرب، وبلغ ذلك اهل دبا فغضبوا وقالوا نشغله عن محاربة بني عمنا من كندة، وأخرجوا عامل ابي بكر، فكتب ابوبكر اليه ان يسير اليهم، وان لا يقصر فيهم، واذا فرغ منهم ان يبعث بهم اسراء، فسار اليهم عكرمة وقاتلهم وحاصرهم، فسألوا الصلح وان يؤدوا الزكاة، فأبى الا ان ينزلوا على حكمه فأجابوه، فدخل عكرمة حصنهم، وقتل اشرافهم صبرا، وسبى نساءهم واولادهم، وأخذ اموالهم ووجّه بالباقين الى ابي بكر، فهمّ ان يقتل الرجال ويقسم النساء والذرية، فقال له عمر:

يا خليفة رسول الله، ان القوم على دين الاسلام يحلفون بالله مجتهدين ما كنا رجعنا عن دين الاسلام، فحبسهم ابوبكر الى ان توفي وأطلق عمر سراحهم على عهده.

فسار عكرمة الى زياد فبلغ خبره الاشعث فانحاز الى حصن النجير وجمع فيه نساءه ونساء قومه، فبلغ ذلك قبائل كندة ممن كان تفرق عن الاشعث لمّا قتل رسول ابي بكر فتلاوموا ان يتركوا بني عمهم محاصرين فسارت لقتال زياد فجزع لذلك فقال له عكرمة: ارى ان تقيم محاصرا لمن في الحصن وأمضي انا فالقى هؤلاء القوم، فقال له

زياد: نعم ما رأيت ولكن ان ظفر الله بهم فلا ترفع السيف حتى تبيدهم عن آخرهم.

فقال عكرمة: لست آلو جهداً في ما اقدر عليه.

فسار عكرمة حتى وافى القوم فتقاتلوا وكانت الحرب بينهم سجالا والاشعث لا يعلم عن ذلك شيئا، وطال عليهم الحصار واشتد بهم الجوع والعطش فطلب من زياد الامان له ولاهل بيته وعشرة من وجوه اصحابه وكتب بينهم، فبعث زياد الكتاب الى عكرمة فأخبر عكرمة قبائل كندة بذلك وأراهم الكتاب فتركوا القتال وانصرفوا، ودخل زياد الحصن وأخذ يضرب اعناق المقاتلة صبرا، ووافاه كتاب أبي بكر ان يحمل من نزل على حكمه الى المدينة، فصفد من بقي منهم بالحديد وأرسلهم الى المدينة[١].

هكذا تمت بيعة الخليفة ابي بكر والتي يصفها الخليفة عمر بأنها كانت فلتة، وعليها بنيت خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وبها يستدلون.

ثالثا: مناقشة الاستدلال بعمل الصحابة

إنّ الاستدلال بعمل الصحابة يتمّ لو كانت سيرتهم مصدراً للتشريع الاسلامي في عداد الكتاب والسنة ونزل فيهم ما نزل في رسول الله صلّى الله عليه وآله مثل قوله تعالى:

«لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة»[٢].

وقوله:

«ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا»[٣].

وبدون ذلك لا حجة علينا في عمل الصحابة، ثم لسنا ندري بمن نقتدي، وعمل بعضهم واقوالهم يخالف البعض الاخر، ومن ثم اختلفت آراء العلماء في كيفية اقامة الخلافة، أتقام ببيعة رجل لان العباس عم النبي صلّى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: امدد يدك ابايعك يبايعك الناس ام بقول الخليفة عمر حين قال: بيعة ابي بكر فلتة، ام نقتدي بمعاوية حين شهر السيف في وجه الخليفة الشرعي الامام علي عليه السلام؟ ولا نرى حاجة الى المناقشة أكثر مما بينا، اما ما استدل بعضهم بقول

١) لقد لخصنا الخبر مما رواه البلاذري في الفتوح والحموي في مادة «حضرموت» من معجم البلدان وفتوح اعثم ١/٥٧ ــ ٨٥، وتمام الخبر في عبدالله بن سبا ١/٣٩٣ ــ ٤١٠.

٢) سورة الاحزاب، الاية ٢١.

٣) سورة الحشر، الاية ٧.

الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة فسندرسها في مايأتي:

الاستدلال بما ورد في نهج البلاغة على صحة الاستدلال بالشورى والبيعة وعمل الاصحاب.

استدل بعضهم على ما ارتأى في الشورى والبيعة والاقتداء بعمل الصحابة بما رواه الشريف الرضي عن الامام علي عليه السلام بباب الكتب من نهج البلاغة وهذا نصه:

ومن كتاب له الى معاوية:

إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلاَ لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ. فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِماماً كَانَ ذَلِكَ [لِلَّهِ] رِضاً؛ فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ؛ فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلاَّهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى...[1]

فان الامام قد احتج في هذا الكتاب على معاوية بالبيعة والشورى واجماع المهاجرين والانصار، وبناء على هذا فان الامام يرى صحة اقامة الامامة بما ذكره، والجواب أن الشريف الرضي كان أحيانا يتخير نتفا من كتب الامام وخطبه مما يجده في أعلى درجات البلاغة ويترك سائره وكذلك فعل مع هذا الكتاب وقد أورد الكتاب بتمامه نصر بن مزاحم في كتاب صفين وهذا نصه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم.

أما بعد فإن بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام؛ لأنه بايعني القومُ الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على مابُويعوا عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يُردّ. وإنما الشُّورى للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجل فسمَّوه إماما كان ذلك لله رضا، فإن خرج من أمرهم خارجٌ بطعن أو رغبة ردُّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتِّباعه غيرَ سبيلِ المؤمنين، وولاّه الله ما تَولَّى ويُصليه جهنَّمَ وساءت مصيرا. وإنَّ طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي، وكان نقضهما كردَّهما، فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون. فادخُلْ فيما دخل فيه المسلمون؛ فإنَّ أحبَّ

١) نهج البلاغة، الكتاب السادس من باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين.

الأمور إليَّ فيك العافية، إلا أن تتعرض للبلاء. فإن تعرضت له قاتلتك واستعنت اللّه عليك. وقد أكثرتَ في قتلة عثمان فادخلْ فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإياهم على كتاب الله. فأما تلك التي تريدها فخُدعة الصبيِّ عن اللبن. ولعمري لئن نظرتَ بعقلكَ دون هَواك لتجدنّي أبرأ قريشٍ من دم عثمان. واعلم أنك من الطلقاء[1] الذين لا تحلُّ لهم الخلافة، ولا تعرض فيهم الشُّورى. وقد أرسلتُ إليك والى من قبلك جرير بن عبدالله، وهو من أهل الايمان والهجرة: فبايع ولا قوة الا بالله»[2].

اتضح لنا من هذا الكتاب أن الامام علي يحتج على معاوية بما التزم به هو ونظراؤه ويقول له: ان بيعتي بالمدينة لزمتك يا معاوية وأنت بالشام، كما التزمت ببيعة عثمان بالمدينة وأنت بالشام، وكذلك لزمت بيعتي نظراءك خارج المدينة كما لزمتهم بيعة عمر في المدينة وهم في أماكن أخرى.

هكذا يلزمه الامام علي بكل ما التزم به هو ونظراؤه من مدرسة الخلافة يومذاك، وهذا وارد لدى العقلاء، فانهم يحتجون على الخصم بما التزم به هو، هذا أولا.

وثانيا قوله: «فاذا اجتمعوا على رجل فسموه اماماً، كان ذلك لله رضاً» فانه قد ورد في بعض النسخ «كان ذلك رضاً»[3]، أي كان لهم رضاً، وعلى فرض أنه كان قد قال «كان لله رضاً» نقول: نعم، ما أجمع عليه المهاجرون والأنصار بما فيهم الامام علي والامام الحسن والامام الحسين كان ذلك لله رضاً على أن يكون ذلك باختيار منهم ولم تؤخذ البيعة بالجبر وحد السيف.

وأخيرا لست أدري كيف استشهدوا بهذا القول من نهج البلاغة ونسوا أو تناسوا سائر أقوال الامام التي نقلها الشريف الرضي أيضا في نهج البلاغة مثل قوله في باب الحكم:

لما آنتهت إلى أميرالمؤمنين عليه السلام انباءُ السقيفه بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قال عليه السلام: ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت: منا أمير ومنكم

١) الطلقاء: جمع طليق، وهو الأسير الذي أُطلق عنه إساره وخُلّي سبيله. ويراد بهم الذين خلى عنهم رسول الله يوم فتح مكة وأطلقهم ولم يسترقهم.

٢) صفين لنصر بن مزاحم ط. القاهرة سنة ١٨٣٢ هـ، ص ٢٩.

٣) راجع نهج البلاغة ط. الاستقامة بالقاهرة تجد لفظ الجلالة «لله» بين علامتين اشارة الى أنه لم يرد لفظ الجلالة بين النسخ.

أمير، قال عليه السلام:

فَهَلاَّ أُحْتُجِجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟!

قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟

فقال عليه السلام:

لَوْ كَانَتِ الإِمَارَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ!!

ثم قال عليه السلام:

فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ؟ قالوا: احتجت بأنها شجرة الرسول صلّى الله عليه وسلم، فقال عليه السلام: أَحْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ، وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ[١].

وقوله ــ أيضا ــ في باب الحكم:

وقال عليه السلام: واعجباه أتكون الخلافة في الصحابة والقرابة.

قال الرضي: وله شعر بهذا المعنى:

فان كنتَ بالشورى ملكتَ أمرهم ... فكيف بهذا والمشيرون غيب

وان كنتَ بالقربى حججتَ خصيمهم ... فغيرك أولى بالنبي وأقرب

وأجمع أقواله في هذا الباب ما وردت في الخطبة الشقشقية «خ: ١٩٠» التي قال فيها عليه السلام:

«أما والله لقد تَقَمَّصَهَا ابن أبي قُحافَة وهو يعلم أنَّ مَحِلِّي منها مَحلُّ القُطْبِ من الرَّحى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيل ولا يَرقَى إليَّ الطَّير، فَسَدَلْتُ دُونَها ثَوباً، وطَوَيتُ عنها كَشْحاً. وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ[٢] أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ[٣] يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ[٤] فَرَأَيْتُ أَنَّ

١) يريد من الثمرة آل بيت الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم.

٢) وطفقت الخ: بيان لعلة الاغضاء. والجذاء: بمعنى المقطوعة. ويقولون: رحم جذاء، أي: لم توصل، وسن جذاء أي منهتمة. والمراد هنا ليس ما يؤيدها. كأنه قال: تفكرت في الأمر فوجدت الصبر أولى فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً.

٣) طخية أي: ظلمة، ونسبة العمى اليها مجاز عقلي، وإنما يعمى القائمون فيها إذ لا يهتدون إلى الحق، وهو تأكيد لظلام الحال واسوادها.

٤) يكدح: يسعى سعي المجهود.

الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى[١] فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى، وَفِي الْحَلْقِ شَجًا[٢] أَرَى تُرَاثِي نَهْباً، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ[٣] «ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْأَعْشَى».

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ[٤]

فَيَا عَجَباً!! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ[٥] إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ، لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا[٦] فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كُلَامُهَا[٧]، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا، وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا، وَالْاِعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ[٨] إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإِنْ

١) أحجى: ألزم، من حجى به كرضى: أولع به ولزمه. ومنه هو حجى بكذا أي: جدير، وما أحجاه وأحج به، أي: أخلق به، وأصله من الحجا بمعنى العقل فهي أحجى أي أقرب إلى العقل، وهاتا بمعنى هذه، أي: رأى الصبر على هذه الحالة التي وصفها أولى بالعقل من الصولة بلا نصير.

٢) الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه. والتراث: الميراث.

٣) أدلى بها: ألقى بها إليه.

٤) الكور بالضم: الرحل أو هو مع أداته، والضمير راجع إلى الناقة المذكورة في الأبيات قبل. وحيان: كان سيداً في بني حنيفة مطاعا فيهم، وله نعمة واسعة ورفاهية وافرة، وكان الأعشى ينادمه، والأعشى هذا: هو الأعشى الكبير أعشى قيس، وهو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل.

وجابر: أخو حيان أصغر منه، ومعنى البيت أن فرقا بعيداً بين يومه في سفره وهو على كور ناقته وبين يوم حيان في رفاهيته، فان الأول كثير العناء شديد الشقاء، والثاني وافر النعيم وافي الراحة. ووجه تمثل الامام بالبيت ظاهر بأدنى تأمل.

٥) رووا أن أبا بكر قال بعد البيعة: «أقيلوني فلست بخيركم».

٦) لشد ما تشطرا ضرعيها: جملة شبه قسمية اعترضت بين المتعاطفين والشطر أيضا: أن تحلب شطرا وتترك شطرا، فتشطرا أي: أخذ كل منهما شطرا. وسمى شطري الضرع ضرعين مجازا: وهو ههنا من أبلغ أنواعه حيث إن من ولى الخلافة لا ينال الأمر إلا تاما، ولا يجوز أن يترك منه لغيره سهما، فأطلق على تناول الأمر واحدا بعد واحد اسم التشطر والاقتسام، كأن أحدهما ترك منه شيئا للآخر، وأطلق على كل شطر اسم الضرع نظرا لحقيقة ما نال كل منهما.

٧) الكلام ــ بالضم ــ الأرض الغليظة وفي نسخة كلمها. وإنما هو بمعنى الجرح كأنه يقول: خشونتها تجرح جرحا غليظا.

٨) الصعبة من الابل: ما ليست بذلول، وأشنق البعير، وشنقة: كفه بزمامه حتى ألصق ذفراه «العظم الناتىء خلف الأذن» بقادمة الرحل، أو رفع رأسه وهو راكبه، واللام هنا زائدة للتحلية ولتشا كل أسلس. وأسلس: أرخى، وتقحم: رمى بنفسه في القحمة، أي: اهلكة.

قال الرضى: «كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحم» يريد أنه إذا شدد عليها في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها، وإن أرخى لها شيئا مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها: يقال:

←

أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ، فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ ــ بِخَبْط وَشِمَاس[١] وَتَلَوُّن وَاعْتِرَاض؛ فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ الْمِحْنَة؛ حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِه جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَا لَلَّهِ وَلِلشُّورَى[٢] مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى

أشنق الناقة، إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه؛ وشنقها أيضا، ذكر ذلك ابن السكيت في إصلاح المنطق: وإنما قال: «أشنق لها» ولم يقل «أشنقها» لأنه جعله في مقابلة قوله «أسلس لها» فكأنه عليه السلام قال: إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها».

الصعبة: اما ان يشنقها فيخرم انفها، وإما أن يسلس لها فترمي به في مهواة تكون فيها هلكته.

١) مني الناس: ابتلوا وأصيبوا، والشماس ــ بالكسر ــ إباء ظهر الفرس عن الركوب، والنفار والخبط: السير على غير جادة. والتلون: التبدل والاعتراض: السير على غير خط مستقيم، كأنه يسير عرضاً في حال سيره طولا يقال: بعير عرضي، يعترض في سيره لأنه لم يتم رياضته، وفي فلان عرضية، أي: عجرفة وصعوبة.

٢) لقد اوردنا تفصيل القصة من أوثق المصادر في ما سبق، وقال الشيخ محمد عبده في شرحه لهذه الكلمة:

كان سعد من بني عم عبدالرحمن كلاهما من بني زهرة، وكان في نفسه شيء من علي كرم الله وجهه من قبل أخواله لأن أمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، ولعلي في قتل صناديدهم ما هو معروف مشهور. وعبدالرحمن كان صهرا لعثمان؛ لأن زوجته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت أختا لعثمان من أمه، وكان طلحة ميالا لعثمان لصلات بينهما، على ما ذكره بعض رواة الأثر. وقد يكفي في ميله إلى عثمان انحرافه عن علي لأنه تيمي وقد كان بين بني هاشم وبني تيم مواجد لمكان الخلافة في أبي بكر وبعد موت عمر بن الخطاب رضي الله عنه اجتمعوا وتشاوروا فاختلفوا، وانضم طلحة في الرأي إلى عثمان، والزبير إلى علي، وسعد إلى عبدالرحمن. وكان عمر قد أوصى بأن لا تطول مدة الشورى فوق ثلاثة أيام، وأن لا يأتي الرابع إلا وهم أمير وقال: إذا كان خلاف فكونوا مع الفريق الذي فيه عبدالرحمن. فأقبل عبدالرحمن على علي وقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده. فقال علي: أرجو أن أفعل وأعمل على مبلغ علمي وطاقتي؛ ثم دعا عثمان وقال له مثل ذلك، فأجابه بنعم. فرفع عبدالرحمن رأسه إلى سقف المسجد حيث كانت المشورة وقال: اللهم اسمع واشهد. اللهم إني جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان، وصفق بيده في يد عثمان. وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين وبايعه. قالوا: وخرج الامام علي واجدا، فقال المقداد بن الأسود لعبد الرحمن والله لقد تركت عليا وإنه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون. فقال: يا مقداد لقد تقصيت الجهد للمسلمين. فقال المقداد: والله إني لاعجب من قريش، إنهم تركوا رجلا ما أقول ولا أعلم أن رجلا أقضى بالحق ولا أعلم به منه. فقال عبدالرحمن: يا مقداد، إني أخشى عليك الفتنة فاتق الله. ثم لما حدث في عهد عثمان ما حدث من قيام الأحداث من أقاربه على ولاية الأمصار ووجد عليه كبار الصحابة روي أنه قيل لعبد الرحمن: هذا عمل يديك، فقال: ما كنت أظن هذا به! ولكن لله علي أن لا أكلمه أبداً، ثم مات عبدالرحمن وهو مهاجر لعثمان، حتى قيل: إن عثمان دخل عليه في مرضه يعوده فتحول إلى الحائط لايكلمه! والله أعلم، والحكم لله يفعل ما يشاء.

صِرْتُ اقْرَنُ إِلَى هٰذِهِ النَّظَائِرِ[١]!! لٰكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسِفُوا[٢] وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا؛ فَصَغَى رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ[٣] وَمَالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ[٤] مَعَ هَنٍ وَهَنٍ[٥] إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حُضْنَيْهِ[٦] بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضِمُونَ مَالَ اللّٰهِ خَضْمَةَ الإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ[٧] إِلَى أَنِ انْتَكَثَ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ[٨] وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ[٩] فَمَا رَاعَنِي إِلاَّ وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ[١٠] يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ حَتَّى لَقَدْ وُطِِئَ الْحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطْفَايَ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ[١١] فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَقَسَطَ آخَرُونَ[١٢] كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلاَمَ اللّٰهِ حَيْثُ يَقُولُ: «تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَيُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» بَلَى! وَاللّٰهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلٰكِنَّهُمْ حَلِيَتْ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ[١٣] وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا، أَمَا

١) المشابه بعضهم بعضا دونه.

٢) أسف الطائر: دنا من الأرض، يريد أنه لم يخالفهم في شيء.

٣) صغى صغيا وصغا صغوا: مال، والضغن: الضغينة يشير إلى سعد.

٤) يشير إلى عبد الرحمن.

٥) يشير إلى أغراض أخرى يكره ذكرها، وقد أشرنا الى بعضها في باب مناقشة الشورى.

٦) يشير إلى عثمان وكان ثالثا بعد انضمام كل من طلحة والزبير وسعد إلى صاحبه كما تراه في خبر القضية. ونافجا حضنيه: رافعا لهما، والحضن: ما بين الابط والكشح. يقال للمتكبر: جاء نافجا حضنيه. ويقال مثله لمن امتلأ بطنه طعاما والنثيل: الروث. والمعتلف: من مادة علف موضع العلف وهو معروف، أي: لاهم له إلا ما ذكر.

٧) الخضم، على ما في القاموس: الأكل مطلقا، أو بأقصى الاضراس، أو مل. الفم بالمأكول، أو خاص بالشيء الرطب. والقضم: الأكل بأطراف الأسنان أخف من الخضم. والنبتة ــ بكسر النون ــ كالنبات في معناه.

٨) انتكث فتله: انتقض. وأجهز عليه عمله: تمم قتله، تقول: أجهزت على الجريح، وذففت عليه.

٩) البطنة ــ بالكسر ــ البطر والأشر والكظة «أي: التخمة والاسراف في الشبع»، وكبت به: من كبا الجواد إذا سقط لوجهه.

١٠) عرف الضبع: ما كثر على عنقها من الشعر، وهو ثخين، يضرب به المثل في الكثرة والازدحام. وينثالون: يتتابعون مزدحمين، والحسنان: ولداه الحسن والحسين وشق عطفاه: خدش جانباه من الاصطكاك. وفي رواية «شق عطافي» والعطاف الرداء. وكان هذا الازدحام لأجل البيعة على الخلافة.

١١) ربيضة الغنم: الطائفة الرابضة من الغنم، يصف ازدحامهم حوله وجثومهم بين يديه.

١٢) الناكثة: أصحاب الجمل، والمارقة: أصحاب النهروان. والقاسطون ــ أي الجائرون ــ أصحاب صفين.

١٣) حليت الدنيا: من حليت المرأة إذا تزينت بحليها. والزبرج: الزينة من وشي أو جوهر.

وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ[١] لَوْلاَ حُضُورُ الْحَاضِرِ[٢] وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلاَ سَغَبِ مَظْلُومٍ[٣]، لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا[٤]، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، وَلأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ[٥].

قالوا: وقام إليه رجل من أهل السواد[٦] عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا، فأقبل ينظر فيه، قال له ابن عباس رضي الله عنهما: يا أمير المؤمنين، لو اطردت خطبتك من حيث أفضيت.

فَقَالَ: هَيْهَاتَ يَابْنَ عَبَّاسٍ، تِلْكَ شِقْشِقَةٌ[٧] هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ.

قال ابن عباس: فو الله ما أسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد.

نسوا أو تناسوا كل هذه الاقوال من الامام علي وتمسكوا بقول احتج به الامام علي على معاوية لالتزام معاوية ونظرائه به.

رابعا: مناقشة الاستدلال بان الخلافة تقام بالقهر والغلبة

من سبر التاريخ الاسلامي وجد ان حكم الخلافة الى عهد الخلفاء العثمانيين

١) النسمة ــ محركة ــ الروح، وبرأها: خلقها.

٢) من حضر لبيعته، ولزوم البيعة لذمة الامام بحضوره.

٣) والناصر: الجيش الذي يستعين به على إلزام الخارجين بالدخول في البيعة الصحيحة، والكظة: ما يعتري الآكل من امتلاء البطن بالطعام، والمراد استئثار الظالم بالحقوق. والسغب: شدة الجوع، والمراد منه هضم حقوقه.

٤) الغارب: الكاهل، والكلام تمثيل للترك وإرسال الأمر.

٥) عفطة العنز: ما تنثره من أنفها، تقول: عفطت تعفط من باب ضرب، غير أن أكثر ما يستعمل ذلك في النعجة. والأشهر في العنز النفطة بالنون، يقال: ماله عافط ولا نافط، أي: نعجة ولا عنز. كما يقال: ماله ثاغية ولا راغية. والعفطة الحبقة أيضا، لكن الأليق بكلام أمير المؤمنين هو ما تقدم.

٦) السواد: العراق، وسمي سواداً لخضرته بالزرع والأشجار، والعرب تسمى الأخضر أسود. قال الله تعالى «مدهامتان» يريد الخضرة، كما هو ظاهر.

٧) الشقشقة ــ بكسر فسكون فكسر ــ شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج، وصوت البعير بها عند إخراجها هدير، ونسبة الهدير إليها نسبة إلى الآلة، قال في القاموس: والخطبة الشقشقية العلوية، وهي هذه.

الأتراك كان يقوم على اساس القسر، وشذّ قيامه خلاف ذلك مثل حكم الامام علي عليه السلام وهذا هو الصحيح في الأمر ولا مناقشة لنا في ذلك.

امّا ما قالوا: «من غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أميرالمؤمنين فلا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الاخر ان يبيت ولا يراه اماما براً كان أو فاجراً.»

لست أدري عم يتكلم هؤلاء الاعلام: عن شريعة الله في اقامة الحكم في المجتمع الاسلامي، أم عن شريعة الغاب لمجتمع الاسود والفهود، ولكي لا يؤاخذنا البعض على ايراد أقوال السابقين باعتقاد أن أهل هذا العصر لا يوافقونهم في أرائهم ومعتقداتهم ويقول الاخرون: «فلنكن اليوم في حاضر الاسلام»[1].

نثبت هنا صورة غلاف كتاب طبع لمدارس بلد فيه الكعبة البيت الحرام ومسجد الرسول وحرمه، والكتاب يثني على يزيد ويروي الحديث في مدحه، يزيد الذي رمى الكعبة بالمنجيق وأباح مسجد الرسول وحَرَمه لجيشه ثلاثة أيام يقتلون الناس ويقعون على النساء، كما سيأتي تفصيله في باب «جيش الخلافة يستبيح حرم الرسول» وباب «مسير جيش الخلافة الى مكة» ينشر في الحرمين الشريفين للدفاع عن يزيد والثناء عليه هذا الكتاب:

١) مجلة الازهر، مجلد ٣٢، باب الكتب من جلد ١٠، سنة ١٣٨٠ ص ١١٥٠ ــ ١١٥١ في نقده لكتاب عبدالله بن سبأ.

المملكة العربية السعودية

وزارة المعارف

المكتبات المدرسية

حقائق عن أمير المؤمنين

يزيد بن معاوية

خلاصة البحث

كان المنطق السائد يوم السقيفة في الافعال والاقوال هو المنطق القبلي سواءاً كان لدى المهاجرين او الانصار، وكانت بيعة ابي بكر يومذاك فلتة حسب تقييم الخليفة عمر لها.

ولم يستند الخليفة عمر الى اي دليل من الكتاب والسنة في ما طرحه من اقامة الخلافة بالشورى وانما اعتمد اجتهاده الخاص.

اجتهد فجعل تعيين ولي الامر من بعده بين ستة اشخاص لا أكثر من ذلك.

واجتهد فجعلهم من المهاجرين دون الانصار.

واجتهد فجعل الترشيح بيد عبدالرحمن بن عوف دون الاخرين وقال: اذا اتفق اثنان على واحد واثنان على واحد، كونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن.

واجتهد وقال: اذا صفق عبدالرحمن باحدى يديه على الاخرى فاتبعوه، فمن اتخذ من اجتهاد الخليفة عمر في عداد كتاب الله وسنة رسوله صلّى الله عليه وآله مصدرا للتشريع الاسلامي، قال: بان الامامة تقام بالشورى بين ستة، يبايع خمسة منهم الواحد منهم، واما ما استشهد به اتباع مدرسة الخلفاء بآية وأمرهم شورى بينهم فان الاية لا تدل على اكثر من رجحان الشورى في الامر، لان الله سبحانه كلما اراد الفرض في امر قال: كتب الله عليكم كذا، او فرض كذا، او جعل او وصى، او غيرها من الالفاظ الدالة على الوجوب، وأما آية: «وشاورهم في الامر» في الخطاب للرسول صلّى الله عليه وآله فان القصد المشاورة في الغزوات، ومن اجل تربية نفوس المسلمين او ايجاد الشك والخلاف بين المشركين، وكلها كانت من اجل تعيين اجراء الحكم الشرعي، وليس من اجل معرفة الحكم الشرعي، ثم انهم لم يعينوا كيف تكون الشورى من اجل تعيين الامام، وقد رأينا كيف تمت الشورى لاقامة خلافة عثمان، هذا من الشورى.

وأما البيعة فانها لا تنعقد بالاجبار وحد السيف، ولا تنعقد للقيام بمعصية، ولا لمن يعصي الله.

وأما سيرة الاصحاب، فان اتخذت في عداد الكتاب والسنة مصدرا للتشريع الاسلامي، صحّ الاستدلال بها، والا فلا.

وما استشهد به في هذا المقام، من كلام الامام علي عليه السلام، فانه كان

لمحاججة الخصم بما التزم به، وهذا متعارف لدى العقلاء، ثم ان اجماع الصحابة بما فيهم الامام علي والامام الحسن والامام الحسين يدل على رضا الله كما عبّر عنه الامام، اما قولهم من غلب بالسيف فهو اميرالمؤمنين تجب طاعته برّا كان او فاجرا فهو الواقع الذي دأبوا عليه، كما يظهر ذلك لمن يدرس تاريخ الخلفاء في الاسلام.

كانت هذه آراء مدرسة الخلفاء وأدلتهم عليها أما مدرسة اهل البيت فسندرس آراءهم وادلتهم في البحث الاتي بحوله تعالى.

الفصل الثالث

بحوث مدرسة اهل البيت (ع) فى الامامة

في البحث السابق ذكرنا آراء مدرسة الخلفاء في الامامة وادلتهم عليها، اما اتباع مدرسة اهل البيت فانهم يشترطون في الامام بعد النبي ان يكون معصوما من الذنوب، منصوبا من قبل الله عزوجل، منصوصا عليه من قبل نبيه صلّى الله عليه وآله، لقوله تعالى لخليله ابراهيم (ع):

«اني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين»[1].

اذا فالامامة عهد من الله يخبر نبيه عمن عهد الله اليه كما يخبر عن سائر اوامر الله وأحكامه، وانه لاينال عهد الامامة من الله من كان ظالما، وان كل من لم يتصف بالظلم الى نفسه ولا الى غيره فهو معصوم، وعلى هذا فالامامة عهد وتعيين من الله، والرسول مبلغ اياها ويلزمها العصمة، وقد تحقق هذان الشرطان في ائمة اهل البيت (ع) كما يلي بيانهما.

١) سورة البقرة ٢/١٢٤.

عصمة أهل البيت عليهم السلام

أخبر الله سبحانه وتعالى بأن اهل البيت وهم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم معصومون من الذنوب في قوله تعالى:

«إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»[1].

روى عبدالله بن جعفر بن ابي طالب[2] قال:

«لمّا نظر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الرحمة هابطة، قال: «ادعوا لي، ادعوا لي» فقالت صفيّة: من يا رسول الله؟ قال: «أهل بيتي عليّاً وفاطمة

١) الاحزاب ــ ٣٣.

٢) بمستدرك الصحيحين ج ١٤٧/٣.

وعبدالله بن جعفر ذى الجناحين: ابن عم النبى أبى طالب وامه أسماء بنت عميس الخثعمية، ولد بأرض الحبشة في هجرة ابويه اليها وهاجر أبوه به الى المدينة، وكان حليماً كريماً يقال له بحر الجود، توفي بالمدينة سنة ثمانين عام الجحاف ــ عام جاء فيه سيل عظيم ببطن مكة جحف الحاج وذهب بالابل عليها أحمالها، وروى عنه أصحاب الصحاح ٢٥ حديثا. ترجمته باسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٨٢.

وصفية بنت حى بن اخطب: من سبط هارون بن عمران من بنى اسرائيل، وامها برة بنت السموأل من بنى قريظة، كانت زوجة كنانة بنت الربيع من يهود بنى النضير فقتل عنها يوم خيبر فاصطفاها النبى وقال لها: «ان اخترت الاسلام امسكتك لنفسى وأن اخترت اليهودية فعسى أن اعتقك فتلحق بقومك»، فقالت يا رسول الله لقد هويت الاسلام وصدقت بك قبل ان تدعونى حيث صرت الى رحلك، ومالى فى اليهودية ارب ومالى فيها والد ولا أخ، وخيرتنى الكفر والاسلام فالله ورسوله احب الى من العتق وأن ارجع الى قومى، فاعتدت ثم تزوجها النبى وتوفيت فى سنة ٥٢ هـ وروى عنها اصحاب الصحاح ١٠ أحاديث، ترجمتها بطبقات ابن سعد ج ١٢٠/٨ ــ ١٢٩ وجوامع السيرة ص ٢٨٥.

والحسن والحسين»[١] فجيء بهم فألقى عليهم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كساءه ثم

١) فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وامها ام المؤمنين خديجة سلام الله عليها.

في ترجمتها باسد الغابة والاصابة: أن كنيتها ام أبيها وانه انقطع نسل رسول الله الامنها، وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لفاطمة «ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك» أخرجه ـ ايضا ـ الحاكم فى مستدركه ج ١٥٣/٣ وبميزان الاعتدال ج ٧٧/٢ وتهذيب التهذيب ج ٤٤١/١٢ وفى باب مناقب فاطمة بصحيح البخارى ج ٢٠٠/٤ و ٢٠١ و ٢٠٥: قال رسول الله: «فاطمة بضعة منّي، من أغضبها أغضبني».

وفى رواية اخرى فيه بباب ذب الرجل عن ابنته من كتاب النكاح ج ١٧٧/٣، وباب فضائل فاطمة من صحيح مسلم، والترمذى، و بمسند احمد ج ٤١/٤ و ٣٢٨ ومستدرك الصحيحين، ج ١٥٣/٣ «يؤذينى ما آذاها، أو يؤذيها».

وكان آخر الناس عهداً برسول الله اذا سافر فاطمة، واذا قدم من سفر كان اول الناس عهداً به فاطمة، كما فى مستدرك الصحيحين ج ١٥٦/٣ و ١٥٥ وج ٤٨٩/١، ومسند أحمد ج ٢٧٥/٥، وسنن البيهقى ج ٢٦/١.

وفى باب فرض الخمس من صحيح البخارى ج ١٢٤/٢، عن عائشة ان فاطمة سألت أبابكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله ان يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله مما أفاء الله عليه، فقال ابوبكر: ان رسول الله قال «لا نورث ماتركنا صدقة»، فغضبت فاطمة بنت رسول الله فهجرت أبابكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله ستة اشهر.

وفى باب غزوة خيبر منه ج ٣٨/٣، فلما توفيت دفنها زوجها على ليلاً، ولم يؤذن بها أبوبكر، وصلى عليها، وكان لعلى وجه حياة فاطمة فلما توفيت استنكر على وجوه الناس فالتمس مصالحة أبى بكر...

ورواه مسلم كذلك فى صحيحه بكتاب الجهاد ج ١٥٤/٥، ومسند احمد ج ٩/١، وسنن البيهقى ج ٣٠٠/٦.

وبترجمتها في اسد الغابة وأوصت الى أسماء أن تغسلها ولا تدخل عليها احد، فلما توفيت جاءت عائشة فمنعتها أسماء.

قال العسكرى: ولم يعرف موضع قبرها حتى اليوم.

وروى عنها أصحاب الصحاح ١٨ حديثاً، جوامع السيرة ص ٢٨٣، والحسنان سبطا رسول الله وابنا علي وفاطمة.

ولد الحسن في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة وولد الحسين لثلاث خلون من شعبان سنة اربع من الهجرة.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وأبوهما خير منهما، فى سنن ابن ماجة باب فضائل اصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله ومستدرك الصحيحين ج ١٦٧/٣، ومصادر كثيرة غيرهما.

بايع المسلمون الحسن بعد وفاة أبيه سنة أربعين وبقى اكثر من ستة اشهر فى الخلافة، ثم اقتضت مصلحة الاسلام العليا ان يصالح معاوية، ولما أراد معاوية ان يأخذ البيعة لابنه يزيد دس اليه السم فقتله سنة خمسين ـ احاديث عائشة ج ١ ص ٢٥١ ـ ٢٦٦.

←

رفع يديه ثم قال: «اللهم هؤلاء آلي فصلّ على محمّد وآل محمّد» وأنزل الله عزّوجل «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا».

وفي رواية امّ المؤمنين عائشة انّ الكساء كانّ مرطاً مرحّلا من شعر أسود[١].

وفي رواية الصحابي واثلة بن الأسقع أنّ رسول الله أدني عليّاً وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه... الحديث[٢].

وفي رواية امّ المؤمنين امّ سلمة قالت: نزلت هذه الآية في بيتي: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس...» وفي البيت سبعة جبريل وميكائيل (ع) وعليّ وفاطمة والحسن والحسين (رض) وأنا على باب البيت، قلت: يا رسول الله ألست من أهل البيت؟ قال: «إنك إلى خير، انك من أزواج النبي»[٣].

وفي سنة ستين ابى الحسين ان يبايع يزيد وقال «وعلى الاسلام السلام اذا بليت الامة براع مثل يزيد» فقتله جيش يزيد بكربلاء عاشوراء سنة احدى وستين (اللهوف لابن طاووس).

روى اصحاب الصحاح عن الحسن ١٣ حديثاً، عدا البخارى ومسلم وعن الحسين ٨ أحاديث، جوامع السيرة ص ٢٨٤ و٢٨٦، وتقريب التهذيب ج ١٦٨/١.

١) المرط: كساء من صوف او خز والمرحل من الثياب: ما اشبهت نقوشه رحال الابل.

وعائشة بنت ابى بكر وامها ام رومان، ولدت فى السنة الرابعة بعد البعثة، بنى بها الرسول بعد ثمانية عشر شهراً من هجرته الى المدينة، وتوفيت سنة ٥٧ أو ٥٨ أو ٥٩ وصلى عليها ابوهريرة وروى عنها اصحاب الصحاح ٢٢١٠ احاديث، راجع كتابنا احاديث عائشة.

وروايتها فى شأن نزول آية التطهير فى صحيح مسلم ج ١٣٠/٧، باب فضائل اهل بيت النبي، ومستدرك الصحيحين ج ١٤٧/٣، وبتفسير الاية فى تفسير ابن جرير والدر المنثور للسيوطى وآية المباهلة فى تفسير الزمخشرى والرازى وسنن البيهقى ج ١٤٩/٢.

٢) واثلة به الاسقع الليثي: أسلم والنبي يتجهز الى تبوك، وقيل انه خدم النبى ثلاث سنوات ومات سنة خمس وثمانين اوثلاث وثمانين بدمشق اوبالبيت المقدس، وروى عنه أصحاب الصحاح ٥٦ حديثاً، ترجمته باسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٧٩ وروايته فى شأن آية التطهير بسنن البيهقى ١٥٢/٢، ورواية اخرى منه بمسند احمد ج ١٠٧/٤، ومستدرك الصحيحين ج ٤١٦/٢ وج ١٤٧/٣، ومجمع الزوائد ج ١٦٧/٩. وابن جرير والسيوطى فى تفسير الاية من تفسيريهما واسد الغابة ج ٢٠/٢.

٣) رواية ام سلمة في تفسير الاية بتفسير السيوطى ج ١٩٨/٥ و ١٩٩.

ورواية اخرى فى صحيح الترمذى ج ٢٤٨/١٣، ومسند أحمد ج ٣٠٦/٦، واسد الغابة ج ٢٩/٤، وج ٢٩٧/٢، وتهذيب التهذيب ج ٢٩٧/٢.

واخرى بمستدرك الصحيحين ج ٤١٦/٢ وج ١٤٧/٣، وسنن البيهقى ج ١٥٠/٢، واسد الغابة ٥٢١/٥ و٥٨٩، وفى تاريخ بغداد ج ١٢٦/٩.

وقد روى غير من ذكرنا شأن نزول آية التطهير كلّ من:

أ) عبدالله بن عباس

ب) عمر بن ابي سلمة ربيب النبي صلّى الله عليه وآله

ج) ابوسعيد الخدري

د) سعد بن ابي وقاص

هـ) انس بن مالك وغيرهم[١].

واستشهد بها الحسن السبط على المنبر[٢] وعليّ بن الحسين في الشام[٣].

←

واخرى: بمسند أحمد ج ٢٩٢/٦.

أ ــ رواية ابن عباس بمسند أحمد ج ٣٣٠/١، وخصائص النسائي ص ١١، والرياض النضرة ج ٢٦٩/٢، ومجمع الزوائد ج ١١٩/٩ و ٢٠٧، وتفسير الاية بالدر المنثور.

ب ــ عمر بن أبي سلمة بن عبدالاسد أبوحفص المخزومي: ربيب رسول الله، امه ام سلمة ولد في الحبشة شهد مع علي الجمل، واستعمله على البحرين وعلى فارس، توفي سنة ٨٣ هـ روى عنه اصحاب الصحاح ١٢ حديثاً، ترجمته باسد الغابة وجوامع السيرة ٢٨٤، وحديثه بشأن آية التطهير بالرياض النضرة ج ٢٦٩/٢، ومجمع الزوائد ج ١١٩/٩ و ٢٠٧، وتفسير الاية في الدر المنثور.

ج ــ رواية ابي سعيد في تفسير الاية بتفسير ابن جرير والسيوطي وتاريخ بغداد ج ٢٧٨/١٠، ومجمع الزوائد ج ١٦٧/٩ و ١٦٩.

د ــ سعد بن ابي وقاص مالك بن اهيب القرشي الزهري وامه حمنة بنت سفيان بن امية: اسلم قديماً وشهد مع الرسول مشاهده، ولي فتح العراق حتى جلولاء، ومصر الكوفة وأبى أن يبايع علياً، وأبى على معاوية ان يسب عليا، ودس اليه معاوية السم لما اراد ان يبايع ليزيد، فمات، وروى عنه اصحاب الصحاح ٢٧١ حديثاً، ترجمته باسد الغابة وصحيح مسلم ج ١٢٠/٧، واحاديث عائشة ج ٢٦٥/١، ورواية بشأن آية التطهير في خصائص النسائي ص ٤ ــ ٥، وصحيح الترمذي ج ١٧١/١٣ ــ ١٧٢.

هـ ــ رواية انس بن مالك في صحيح الترمذي ج ٢٤٨/١٣، ومجمع الزوائد ٢٠٦/٩.

١) مثل قتادة في تفسير الاية عند ابن جرير والسيوطي وعطية بترجمته باسد الغابة ج ٤١٣/٣، ومعقل بن يسار راجع صحيح الترمذي ج ٢٤٨/١٣.

٢) روى استشهاد السبط بمستدرك الصحيحين ج ١٧٢/٣، ومجمع الزوائد ١٤٦/٩ و ١٧٢.

٣) علي بن الحسين: امه بنت يزدجرد كما في الباب العاشر من ربيع الابرار للزمخشري راجع ج ٢ ورقة ٤٤، مصورة مكتبة أمير المؤمنين في النجف تسلسل ٢٠٥٩، أدب، وماتت في نفاسها به فكفله بعض امهات ولد أبيه وزوّجها علي بن الحسين بعد أبيه (عيون اخبار الرضا ج ١٢٨/٢) ويبدو انها كانت تسمى غزالة، توفي علي بن الحسين بالمدينة سنة خمس وتسعين وروى عنه اصحاب الصحاح بعض الاحاديث واستشهاده بآية التطهير ورد في تفسير الاية بتفسير الطبري.

ترجمته بوفيات الاعيان ج ٤٢٩/٢ وتاريخ اليعقوبي ج ٣٠٣/٢.

كان رسول الله بعد نزول هذه الآية عدة اشهر يأتي إلى باب دار عليّ وفاطمة يسلّم عليهم ويقرأ الآية. قال ابن عباس:

«شهدت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تسعة أشهر يأتي كلّ يوم باب عليّ بن ابي طالب عند وقت كلّ صلاة فيقول: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اهل البيت، إنّما يريد الله... الصلاة رحمكم الله» كلّ يوم خمس مرّات[١].

وعن أبي الحمراء، قال: حفظت رسول الله ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرّة يخرج إلى صلاة الغداة إلاّ أتى باب عليّ فوضع يده على جنبتي الباب ثم قال «الصلاة إنّما يريد الله...»[٢].

وقال ابوبرزة انّه صلّى مع رسول الله سبعة أشهر، فاذا خرج من بيته أتى باب فاطمة...[٣].

وعن انس بن مالك ستّة اشهر[٤] وروى ــ ايضاً ــ غيرهم في ذلك فى هذه الآية، أخبر الله عن المعصومين في عصر رسول الله خاصّة، وعيّنهم الرسول بما فعل من نشر الكساء عليهم وقراءة الآية في ملأ من أصحابه عدّة شهور على باب بيتهم.

ان هذه الاية، وما ورد عن رسول الله (ص) من قول وفعل في تفسيرها تكفي دليلا لاثبات عصمة اهل البيت (ع).

ومن الناحية العملية، لم يسجل التاريخ عن ائمة اهل البيت (ع) ما ينافي عصمتهم، على ان التاريخ الاسلامى دون من قبل علماء مدرسة الخلفاء، وغالبا ما دونوا في كتب التاريخ الاسلامي ما يجلبون به رضا الخلفاء مدى العصور، وكان الخلفاء مدى العصور جادّين لاطفاء نور ائمة اهل البيت (ع) خشية ميل المسلمين اليهم (ع) ومبايعتهم بالخلافة، ولهذا السبب قتلوا منهم من قتلوا، وسجنوا منهم من سجنوا،

١) رواية ابن عباس فى تفسير الاية وآية «وأمر اهلك» من الدر المنثور.

٢) ابوالحمراء: مولى رسول الله، اسمه هلال بن الحارث او ابن ظفر، والحديث بترجمته فى الاستيعاب ج ٢/٥٩٨، واسد الغابة ٥/١٧٤، ومجمع الزوائد ٩/١٦٨.

٣) ابوبرزة الاسلمى اختلفوا فى اسمه، توفى فى البصرة سنة ستين او اربع وستين، روى عنه اصحاب الصحاح ٢٠ او ٤٦ حديثا، ترجمته باسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٨٠ و ٢٨٣ وحديثه المذكور فى مجمع الزوائد ٩/١٦٩، لفظه سبعة عشر شهرا ونراه من غلط النساخ.

٤) رواية انس بمسند أحمد ج ٣/٢٥٢، والطيالسى ج ٧/٢٧٤، الحديث ٢٥٠٩ واسد الغابة ٥/٥٢١، وتفسير الاية عند ابن جرير والسيوطى.

وشردوا منهم من شردوا، وخاصة بنو امية الذين امروا بلعن الامام علي (ع) في خطب صلاة الجمعة على منابر المسلمين، ولم ينج من عذابهم ومطاردتهم محبو ائمة اهل البيت وشيعتهم ومن اعتقد بامامتهم مع كل ذلك لانجد في التاريخ المدون اية صغيرة او هفوة نسبت الى ائمة اهل البيت (ع)، وكفى بهذا دليلا على ان الله عصمهم من الرجس وطهرهم تطهيرا.

كان هذا أهم أدلة مدرسة اهل البيت على عصمة اهل البيت (ع)، وفي مايأتي بيان بعض النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في امامتهم، وقد قال الله تعالى في حق رسوله:

«وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى»[1].

١) سورة النجم، الاية ٣ ــ ٤.

اهتمام الرسول صلّى الله عليه وآله
بامر تعيين اولى الامر من بعده

قبل ان ندرس النصوص الواردة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله في تعيين اولي الامر من بعده، ندرس شيئا من اهتمام الرسول صلّى الله عليه وآله بهذا الامر في ما يأتي:

ان امر الامامة بعد الرسول صلّى الله عليه وآله كان من الامور الهامة التي لم تغب عن بال الرسول صلّى الله عليه وآله، ومن كان حوله، بل كانوا يفكرون فيه منذ البدء، فقد رأينا بجيرة من بني عامر بن صعصعة يشترط على رسول الله صلّى الله عليه وآله لاسلامهم ان يكون لهم امر من بعد الرسول صلّى الله عليه وآله، ورأينا هوذة الحنفي يطلب من الرسول صلّى الله عليه وآله منحه شيئا من الامر.

وكذلك ــ ايضاً ــ كان الرسول صلّى الله عليه وآله فانه كان يفكر في الامر من بعده ويدبر له منذ اول يوم دعا الى الاسلام، واول يوم اخذ فيه البيعة لاقامة المجتمع الاسلامي.

اما تدبيره في اول يوم اخذ فيه البيعة لاقامة المجتمع الاسلامي، فقد كان ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيها، والنسائي وابن ماجة في سننهما ومالك في الموطأ واحمد في المسند، وغيرهم في غيرها، واللفظ للاول، قال:

قال عبادة بن الصامت: بايعنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على السمع والطاعة والعسر واليسر والمنشط والمكره. وان لا ننازع الامر اهله...[1]

١) صحيح البخاري، كتاب الاحكام، باب كيف يبايع الامام الناس، ح ــ ١؛ صحيح مسلم كتاب ←

وعبادة هذا كان احد النقباء الاثني عشر على الانصار يوم بيعة العقبة الكبرى[١] حين قال النبي صلّى الله عليه وآله للنيف والسبعين من الانصار الذين بايعوه اخرجوا الي اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم، فأخرجوا من بينهم اثنى عشر نقيبا، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله للنقباء: انتم على قومكم بما فيهم، كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم عليه السلام...[٢]

انّ عبادة بن الصامت احد اولئك النقباء الاثنى عشر روى من بنود البيعة التي بايعوا الرسول عليها: «ان لا ينازعوا الامر أهله».

* * *

وانما اراد رسول الله صلّى الله عليه وآله من «امر» الوارد في هذا الحديث الصحيح، والذي يذكر فيه اخذ البيعة من اثنين وسبعين رجلا وامرأتين من الانصار ان لا ينازعوا اهله، هو الامر الذي تنازعوا عليه في سقيفة بني ساعدة[٣] وأهل الامر هم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله «أطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم»[٤].

وان رسول الله صلّى الله عليه وآله وان لم يشخص هناولي الامر من بعده، لانه لم يكن من الحكمة ان يعرف ولي الامر من بعده وهو من غير قبيلة الانصار، ولعل نفوس بعض المبايعين لم تكن تتحمل ذلك يومئذ، غير انه اخذ البيعة منهم ان لا ينازعوه حين يعينه لهم بعد ذلك.

وقد عين الرسول صلّى الله عليه وآله ولي الامر من بعده وشخص وصيه وخليفته في مجتمع اصغر من هذا المجتمع، وذلك في اول يوم دعا الاقربين اليه للاسلام،

→

الامارة، باب وجوب طاعة الامراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، الحديث: ٤١ و ٤٢؛ وسنن النسائي كتاب البيعة، باب البيعة على ان لاتنازع الامر اهله؛ وسنن ابن ماجة، كتاب الجهاد، باب البيعة، الحديث: ٢٨٦٦؛ وموطأ مالك كتاب الجهاد، باب: الترغيب في الجهاد، الحديث: ٥؛ ومسند احمد ٣١٤/٥ و ٣١٦ و ٣١٩ و ٣٢١، وراجع ٤١١/٤ منه.

وترجمة عبادة بسير اعلام النبلاء ٣/٢ وتهذيب ابن عساكر ٢٠٧/٧ ــ ٢١٩.

١) ترجمة عبادة في الاستيعاب ج ٤١٢/٢، واسد الغابة ١٠٦/٣ ــ ١٠٧.

٢) الطبري ٧ ط. اوروبا ١٢٢١/١.

٣) راجع نزاع الانصار القبلي مع المهاجرين في: فصل السقيفة وبيعة أبي بكر، بأول الكتاب.

٤) النساء ٥٩. ويأتي تفسيرها والاحاديث الواردة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله حوله في بحوث الكتاب إن شاء الله تعالى.

كما رواه جمع من اهل الحديث والسير مثل: الطبرى وابن عساكر، وابن الاثير، وابن كثير والمتقي، وغيرهم، واللفظ للاول[1]، قال: عن علي بن ابي طالب عليه السّلام قال: لمّا نزلت هذه الاية على رسول الله صلّى الله عليه وآله «وأنذر عشيرتك الاقربين» دعاني رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال لي:

يا علي انّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الاقربين فضقت بذلك ذرعا، وعرفت أنّي متى بادءتهم بهذا الامر أرى ما أكره فصمت عليه حتّى جاءني جبرئيل فقال يا محمد إن لاتفعل ما تؤمر به يعذبك ربّك، فاصنع لنا صاعا من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عسا من لبن، ثمّ اجمع لي بني عبدالمطلب حتّى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرني به، ثمّ دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أم ينقصونه، فيهم أعمامه أبوطالب، وحمزة، والعباس، وأبولهب، فلمّا اجتمعوا اليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به، فلمّا وضعته تناول رسول الله صلّى الله عليه وآله حذية (اى قطعة) من اللحم فشقها باسنانه، ثمّ القاها في نواحي الصحفة، ثمّ قال: خذوا بسم الله، فأكل القوم حتّى ما لهم بشئ من حاجة، وما أرى الاموضع أيديهم، وأيم الله الذي نفس عليّ بيده ان كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم، ثمّ قال: اسق القوم فجئتهم بذاك العس فشربوا منه حتّى رووا منه جميعا، وأيم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلمّا اراد رسول الله صلّى الله عليه وآله ان يكلمهم بدره ابولهب الى الكلام فقال: لشدما سحركم صاحبكم، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: الغديا عليّ إن هذا الرجل سبقني الى ماقد سمعت من القول، فتفرق القوم قبل أن اكلمهم، فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثمّ اجمعهم الي، قال: ففعلت ثمّ جمعتهم، ثمّ دعاني بالطعام فقرّبته لهم، ففعل كما فعل بالأمس فاكلوا حتّى ما لهم بشئ حاجة، ثمّ قال: اسقهم فجئتهم بذاك العس فشربوا حتّى رووامنه جميعا، ثمّ تكلم رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: يا بني عبدالمطلب اني والله ما أعلم شابافي العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، انّي

١) تاريخ الطبري ط. اوربا ١١٧١/١ ــ ١١٧٢، وابن عساكر تحقيق المحمودي ج ١ من ترجمة الامام، وتاريخ ابن الأثير ٢٢٢/٢، وشرح ابن أبي الحديد ٢٦٣/٣، وفي تاريخ ابن كثير ٣٩/٣، وقد حذف الالفاظ وقال: كذا وكذا، وكنز العمال للمتقي ج ١٥/١٠٠ ص ١١٥ و ١١٦ منه، وفي ص ١٣٠ يكون: أخي وصاحبي ووليّكم بعدي. والسيرة الحلبية نشر المكتبة الاسلاميه ببيروت، ٢٨٥/١.

قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة، وقد أمرني الله تعالى ان ادعوكم اليه، فأيكم يؤازرني على هذا الامر على ان يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعا وقلت ــ وانّي لأحدثهم سنا، وأرمصهم عينا، وأعظمهم بطنا، وأحمشهم ساقا ــ أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثمّ قال: انّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد أمرك ان تسمع لابنك وتطيع.

* * *

كانت هذه الدعوة في السنة الثالثة من البعثة وهي اول مرة اظهر فيها الرسول صلّى الله عليه وآله الدعوة الى الاسلام، وشخص فيها الامام من بعده وعرفه للاقربين اليه، وانما فعل ذلك هنا ولم يفعله بعده بعشر سنوات ويوم اخذ البيعة من الانصار لاقامة المجتمع الاسلامي لان الامام كان من غير قبائل الانصار وكان بناء المجتمع عندهم على اساس قبلي ولم يكن من الحكمة ان يأخذ البيعة منهم لمن يلي الامر بعده وهو ليس من قبائل الانصار فاكتفى في ذلك المقام باخذ البيعة منهم ان لا ينازعوه في الامر.

وهنا ايضا شخصه للاقربين اليه في محاورة شبيهة بمشاورة اصحابه في غزوة بدر، فانه مع علمه في غزوة بدر بعاقبة الامر كما اخبر بها اصحابه بعد الانتهاء من المشاورة وأراهم مصارع المشركين، مع ذلك استشارهم اول الامر في ما يفعل، وكذلك فعل هنا، فانه مع علمه بالعاقبة وان الذي يقبل مؤازرته هو الامام علي، مع ذلك علق تعيين الوزير والوصي والخليفة من بعده على قبول المؤازرة في التبليغ وليتقدم بالقبول ايهم شاء ولمّا ابى كلّهم ذلك وبادر بالقبول ابن عمه علي اخذ برقبته وقال فيه ما مرّ وأمرهم بطاعته.

* * *

رأينا في ما مرّ بنا الى هنا اهتمام الرسول بامر الامامة من بعده، يشخصه في مكان ويأخذ البيعة ان لا ينازعوه في مكان آخر ويقابل طمع الطامعين بالرفض في غيرهما.

ومن أجل أن ندرك مدى اهتمام الرسول صلّى الله عليه وآله بأمر من يستخلفه من بعده ندرس في ما يأتي ما كان يعمله صلّى الله عليه وآله وسلم عندما يغيب عن المدينة أيّاما معدودات في الغزوات وكيف كان يعين خليفة عليهم من بعده.

باب ذكر من استخلف الرسول صلّى الله عليه وآله على المدينة في غزواته

في السنة الثانية من الهجرة:

اذن لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بالقتال في صفر من السنة الثانية، فغزا بالمهاجرين يعترض عيرا لقريش فبلغ ودان والابواء[١].

١) استخلف سعد بن عبادة سيد الخزرج من الانصار خمس عشرة ليلة مدة غيبته عن المدينة.

٢) استخلف في غزوة بواط[٢] سعد بن معاذ من سادة الاوس من الانصار في ربيع الاول.

٣) استخلف مولاه زيد بن حارثة في غزوته لطلب كرز بن جابر الفهري ــ وكان اغار على سرح المدينة ــ فبلغ صلّى الله عليه وآله وسلم سفوان وفاته كرز والسرح[٣].

٤) استخلف ابا سلمة المخزومي في غزوة ذي العشيرة، حين ذهب في جمادى الاولى او الثانية يعترض عيرا لقريش ذاهبة الى الشام ففاتته وكان القتال ببدر في رجوعها من الشام[٤].

٥) استخلف ابن ام مكتوم الضرير في غزوة بدر الكبرى وغاب عن المدينة

١) الابواء قرية من اعمال فراض على بعد ٢٣ ميلا من المدينة، فيها قبر آمنة أم النبي صلّى الله عليه وآله.

وودّان: قرية على مرحلة من الجحفة بينها وبين الابواء ستة أميال. معجم البلدان.

٢) بواط: في معجم البلدان بمادة بواط «بواط من جبال جهينة من طريق الشام، وبين بواط والمدينة ثمانية برد، وبرد: جمع البريد ويبلغ البريد اثني عشر ميلا.»

يبدو جليا مراعاة رسول الله صلّى الله عليه وآله في الغزوتين الاوليين مشاعر الانصار القبلية حين استخلف في الاولى سيد الخزرج وفي الثانية سيداً من الاوس.

٣) كانت هذه الغزوة ايضا في ربيع الاول وبعد بواط وسفوان: واد بناحية بدر.

كرز بن جابر بن حسل الفهري قتل يوم الفتح مع رسول الله صلّى الله عليه وآله راجع جمهرة انساب العرب لابن حزم في ذكر نسب بني محارب ابن فهر، وبترجمته من الاصابة.

٤) ذو العشيرة كما في التنبيه، بناحية ينبع يبعد عن المدينة تسعة برد.

وابوسلمة: عبدالله بن عبد الاسد أمه برة عمة الرسول صلّى الله عليه وآله وابنة عبدالمطلب، هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة، حضر بدرا وخرج في احد ومات منه في جمادى الاخرة سنة ثلاث من الهجرة راجع ترجمته في اسد الغابة.

تسعة عشر يوما[١].

٦) استخلف ابا لبابة الانصاري الاوسي في غزوة بني قينقاع[٢].

٧) استخلف ايضا ابالبابة في غزوة السويق، وكان خروجه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في طلب ابي سفيان حين اقبل في مائتي راكب ليبرّ بنذره ان لا يمس الطيب والنساء حتى يثأر لاهل بدر، وانتهوا الى عريض، فبلغهم خروج النبي صلّى الله عليه وآله، فجعلوا يلقون جرب السويق تخففا فسميت غزوة السويق[٣].

في السنة الثالثة:

٨) استخلف ابن ام مكتوم في غزوة قَرْقَرَةِ الكُدْرِ، وسار صلّى الله عليه وآله وسلم للنصف من المحرم يريد سليم وغطفان ــ قبيلتين من قيس عيلان ــ فانجفلوا، وغنم من اموالهم، ورجع ولم يلق كيدا[٤].

٩) استخلف ابن ام مكتوم في غزوة بفَران وغاب عن المدينة عشرة ايام من جمادى الاخرة، فتفرقوا ولم يلق كيدا[٥].

١٠) استخلف عثمان بن عفان في غزوة ذي أمَر بنجد، سار صلّى الله عليه وآله يريد غطفان، فانجفلوا من بين يديه ولم يلق كيدا، وغاب فيها عن المدينة عشرة أيام.

١١) استخلف ابن أم مكتوم في غزوة أحد، وقاتل المشركين في سفح جبل أحد ــ على بعد ميل من المدينة ــ غاب فيها عن المدينة يوما واحدا.

١) خرج الرسول صلّى الله عليه وآله من المدينة لثلاث خلون من شهر رمضان ووقع القتال يوم الجمعة السابع عشر منه.

٢) قال اهل السيرة: لما قدم اليهود المدينة نزلوا السافلة منها، فاستوخموها فأتوا العالية فنزل بنوالنضير بطحان ونزلت بنو قريظة مهزورا ــ وهما واديان يهبطان من حرة هناك ــ فاتخذ بنوالنضير الحدائق والآطام وأقاموا فيها، وأقاموا بها الى ان غزاهم النبي صلّى الله عليه وآله وأخرجهم منها. راجع مادة (بطحان) و (مهزور) من (معجم البلدان).

وابولبابة: بشير أو رفاعة بن عبد المنذر، اشتهر بكنيته، احد النقباء في بيعة العقبة، راجع ترجمة بشير ورفاعة وأبي لبابة في اسد الغابة.

٣) العريض: وادي المدينة، معجم البلدان، مادة «عريض».

٤) قرقرة الكدر: ناحية معدن بني سليم مما يلي حارة العراق الى مكة وهي على بعد ثمانية آيام من المدينة. معجم البلدان، مادة «قرقرة» سار اليها النبي في النصف من المحرم.

٥) بفران: معدن بني سليم بناحية الفرع من الحجاز. معجم البلدان، مادة «بفران».

١٢) استخلف ابن أم مكتوم في غزوة حمراء الاسد ــ على بعد عشرة آميال من المدينة ــ سار في طلب أبي سفيان حين بلغه أنه يريد الكر على المدينة، ففاته أبوسفيان ومن معه فأقام فيها ثلاثة أيام، ثم عاد الى المدينة.

في السنة الرابعة:

١٣) استخلف ابن أم مكتوم في غزوة بني النضير بناحية الغرس حصرهم خمسة عشر يوما، ثم أجلاهم عنها[١].

١٤) استخلف عبدالله بن رواحة الانصاري في غزوة بدر الثالثة ستة عشر يوما، وأقام فيها ثمانية أيام لموعد أبي سفيان اياهم في أحد أنه سيقاتلهم العام القادم في بدر، وخرج أبوعسفان، ثم عاد منها الى مكة[٢].

في السنة الخامسة:

١٥) استخلف في غزوة ذات الرقاع عثمان بن عفان خمس عشر ليلة وخرج لعشر خلون من المحرم، فأجفلت العرب من بين يديه ولحقوا برؤوس الجبال وبطون الاودية[٣].

١٦) استخلف ابن أم مكتوم في غزوة دومة الجندل حين سار الى اكيدر بن عبدالملك النصراني ــ وكان يعترض سفر المدينة وتجارتهم ــ فهرب وتفرق أهلها، فلم يجد بها أحدا، فأقام أيام وعاد الى المدينة وهي أول غزواته الى الروم[٤].

١٧) استخلف مولاه زيد بن حارثة في غزوة بني المصطلق على ماء المُرَيسيع: ثمانية عشر يوما خرج فيها لليلتين خلتامن شعبان[٥].

١) كانت منازل بني النضير من اليهود ببئر غرس بقبا وماوالاها، وقبا قرية على ميلين من المدينة، واصله اسم بئر هناك عرفت القرية به، معجم البلدان: مادة غرس وقبا.

٢) عبدالله بن رواحة الانصاري الخزرجي: كان نقيب بني الحارث في بيعة العقبة، شهد المشاهد مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وكان أحد الامراء الثلاثة الذين استشهدوا في مؤتة. ترجمته في (الاستيعاب) و (أسد الغابة).

٣) ذات الرقاع: جبل قريب من النخيل مما يلي السعد والشقرة مختلفة ألوانه فيه بقع حمر وسود وبيض. راجع ترجمة الغزوة من التنبيه والاشراف للمسعودي.

٤) دومة الجندل كانت حصنا مبنيا بالجندل في متسع من الارض خمسة فراسخ، وهي على سبع مراحل من دمشق، بينها وبين مدينة الرسول صلّى الله عليه وآله خمس عشرة ليلة. راجع مادة (دومة) بمعجم البلدان وترجمة الغزوة في (التنبيه والاشراف) للمسعودي.

٥) ماء المريسيع: على طريق الفرع والفرع ثمانية برد من المدينة.

١٨) استخلف في غزوة الخندق ابن أم مكتوم، وهو يقاتل الاحزاب دون الخندق من داخل المدينة في شهر شوال او ذي القعدة.

١٩) استخلف أبارهم الغفاري في غزوة بني قريضة، وهم على بعض يوم من المدينة، حصرهم خمسة عشر يوما أو أكثر، بدأهم بسبع بقين من ذي القعدة[١].

في السنة السادسة:

٢٠) استخلف في غزوة بني لِحيان من هذيل، بالقرب من عسفان، ابن أم مكتوم، أربع عشرة ليلة ورجع ولم يلق كيدا[٢].

٢١) استخلف ابن أم مكتوم، خمس ليال في غزوة ذي قَرَدَ ، على ليلتين من المدينة[٣].

٢٢) استخلف ابن أم مكتوم في غزوة الحديبية[٤].

السنة السابعة:

٢٣) استخلف سِباع بن عُرفُطَة في غزوة خيبر، وهي على بعد ثمانية برد من المدينة، وبعد فتح قلاعها عنوة وصلحا سار الى وادي القرى فحصرهم أياما حتى افتتحها عنوة ثم صالح أهل تيماء وهي على ثمانية مراحل من الشام، ووادي القرى بينها وبين المدينة[٥].

٢٤) واستخلف أيضا سباع بن عرفطة في عمرة القضاء[٦].

في السنة الثامنة:

٢٥) استخلف على المدينة أبارهم الغفاري في غزوة مكة.

١) أبو رهم: كلثوم بن الحصين أسلم بعد قدوم النبي صلّى الله عليه وآله المدينة، شهد أحدا فرمي بسهم في نحره فبصق عليه النبي فبرأ. انظر ترجمته في أسد الغابة.

٢) بنو لحيان، نسبهم في جمهرة أنساب ابن حزم ط. مصر سنة ١٣٨٢، ص ١٩٦ ــ ١٩٨.

وعسفان بين مكة والمدينة، اختلفوا في تعيين موضعه. معجم البلدان مادة: عسفان.

٣) ذي قرد: من طريق خيبر، وكان عيينة بن حصين الفزاري أغار على لقاحه وهو بالغابة وهي على بريد من المدينة أو أكثر. فخرج صلّى الله عليه وآله يوم الاربعاء لثلاث أو لاربع خلون من شهر ربيع الاول فاستنقذ بعضها وعاد الى المدينة. التنبيه والاشراف، ذكر السنة السادسة.

٤) خرج الرسول صلّى الله عليه وآله يوم الاثنين هلال ذي الحجة للعمرة فصده المشركون عن دخول مكة فأقام بالحديبية على تسعة أميال من مكة ثم وقع الصلح بين الرسول وقريش على أن يعتمر في السنة القادمة.

٥) سباع بن عرفطة الغفاري استعمله النبي على المدينة لما سار الى خيبر وتيماء. ترجمته بأسد الغابة.

٦) سار النبي صلّى الله عليه وآله لستّ ليال خلون من ذي القعدة.

٢٦) سار بعد غزوة مكة الى هوازن لغزو حنين وحنين واد الى جانب ذي المجاز يبعد ثلاث ليال عن مكة، وبقي ــ أيضا ــ أبورهم كذلك واليا على المدينة في هذه الغزوة.

٢٧) واستخلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك ــ على بعد تسعين فرسخا من المدينة ــ.

وهي آخر غزواته، وكانت غزواته ثمانية وعشرين غزوة ان اعتبرنا خيبر ووادي القرى غزوتين، والا فهي سبع وعشرون غزوة.

* * *

رجعنا في ذكر اسماء من استخلفهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم على المدينة في غيابه عنها الى التنبيه والاشراف للمسعودي في ذكره التأريخ من السنة الثانية الى السنة الثامنة من الهجرة وقد يختلف في ذكر اسماء من ولاّه رسول صلّى الله عليه وآله على المدينة مع غيره احيانا اما ما ذكره في استخلاف الامام علي على المدينة في غزوة تبوك فقد قال ذلك ايضا امام الحنابله في مسنده فيما رواه عن سعد بن ابي وقاص قال:

انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم حين خرج في غزوة تبوك استخلف عليها علي رضي الله عنه على المدينة فقال عليّ: يا رسول الله ما كنت احب ان تخرج وجها الاّ وانا معك فقال أو ما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى الاّ انه لا نبي بعدي[1].

ويؤيّد ذلك ايضا ما رواه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق باب غزوة تبوك حيث روى عن سعد بن ابي وقاص ايضا انّه قال:

انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم خرج الى تبوك واستخلف عليا فقال أتخلفني في الصبيان والنساء قال: ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى الاّ انّه ليس نبي بعدي[2].

وما رواه مسلم أيضا في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص انّه قال:

سمعت رسول صلّى الله عليه وسلم يقول له وقد خلّفه في بعض مغازيه فقال

١) مسند احمد ج ١/١٧٧.

٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب غزوة تبوك ج ٣/٥٨.

له علي يا رسول الله خلّفتني مع الصبيان والنساء؟ فقال له رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوّة بعدى[١].

* * *

هكذا لم يغب الرسول صلّى الله عليه وآله في غزواته عن المدينة اياما معدودات دون ان يستخلف عليهم من يرجعون اليه مدة غيابه عن المدينة، بل انه لم يغب يوما عن المدينة او بعض يوم دون ان يستخلف عليهم من يرجعون اليه، كما كان الشأن في غزوة احد، وكان جبل احد على بعد ميل من المدينة، فانه صلّى الله عليه وآله قد عيّن خليفته عليهم مدة غيابه عنهم، بل وفي غزوة الخندق أيضاً حيث كان يقاتل في المدينة واستقر دون الخندق، عيّن لاهل المدينة المرجع لانشغاله عنهم في الحرب، اذا كان هذا دأب الرسول صلّى الله عليه وآله في غيابه عن المدينة بعض يوم، وكذلك في حال انشغاله عنهم بالحرب داخل المدينة، فماذا فعل لامّته من بعده وهو يتركهم ابد الدهر؟ هل تركهم هملا، ولم يعيّن لهم المرجع من بعده؟ هذا ما سندرسه في ما يأتي من فصول هذا الكتاب ان شاء الله تعالى.

١) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضل علي بن ابي طالب، الحديث ٣٢، وراجع ايضا مسند ابي داود الطيالسي ج ٢٩/١، وحلية الاولياء لأبي نعيم ج ١٩٥/٧ و ١٩٦، ومسند احمد ج ١٧٣/١، ١٨٢، ١٨٤، ٣٣٠ وج ١٥٣/٤، وتاريخ بغداد للخطيب ج ٤٣٢/١١، وخصائص النسائي ص: ٨، ١٦، وطبقات ابن سعد ج ٣ / ق ١٥/١.

النصوص الواردة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله
في تعيين ولي الامر من بعده

عيّن رسول الله صلّى الله عليه وآله الامام من بعده بالفاظ مختلفة وفي أماكن متعددة، فمنها ما خص بالذكر الامام من بعده ومنها ما ذكر فيه جميع الائمة، ومما خصّ بالذكر فيه الامام الاول علي بن أبي طالب عليه السلام الاحاديث الاتية:

أ: وزير الرسول صلّى الله عليه وآله وولي عهده وخليفته من بعده:

اوردنا في اول الباب قصة انذار بني هاشم وفي ذلك اليوم وبمحضر من رجال بني هاشم قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السّلام: «ان هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا» وبهذا القول عيّن الرسول صلّى الله عليه وآله وصيّه وخليفته فيهم وأمرهم باطاعته «وما أتاكم الرسول فخذوه» وكان مشهورا في العصر الاسلامي الاول ان الامام عليا هو وصيّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وانتشر ذلك في شعر الشعراء منذ عصر الصحابة مثل قول حسّان بن ثابت شاعر النبّي في قصيدته بعد وفاة النبّي صلّى الله عليه وآله:

جزى الله عنّا والجزاء بكفّه ... أبا حسن عنّا ومن كأبي حسن
حفظت رسول الله فينا وعهده ... اليك ومن اولى به منك من ومن
ألست أخاه في الهدى ووصيّه ... واعلم منهم بالكتاب والسنن

وقول نعمان بن عجلان شاعر الانصار في قصيدته ايضا بعد وفاة النبّي صلّى الله عليه وآله:

وكان هوانا في عليّ وأنه ... لاهل لها يا عمرو من حيث لا تدري

وصيّ النبي المصطفى وابن عمه وقاتل فرسان الضلالة والكفر

قال ذلك في جواب عمرو بن العاص حين أغاظ الانصار في حوادث السقيفة وانتصار الامام علي للانصار من مهاجرة قريش[١].

وروى الزبير بن بكار في الموفقيات عن بعض شعراء قريش في مدح عبدالله بن عباس قوله:

والله ما كلّم الاقوام من بشر بعد الوصيّ علي كابن عباس[٢]

ب: وليّ المسلمين بعد الرسول صلّى الله عليه وآله:

نص رسول الله صلّى الله عليه وآله على ان الامام علياً ولي امر المسلمين في أماكن متعددة منها ما في الاحاديث الاتية:

اولا: حديث الشكوى

في مسند احمد وخصائص النسائي، ومستدرك الحاكم، وغيرها، واللفظ للاول:

«عن بريدة قال: بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعثين الى اليمن، على احدهما علي بن أبي طالب (عليه السّلام)، وعلى الاخر خالد بن الوليد، فقال: اذا التقيتم فعلي على الناس، وان افترقتما فكل واحد منكما على جنده، قال: فلقينا بني زيد من اهل اليمن، فاقتتلنا، فظهر المسلمون على المشركين، فقتلنا المقاتلة وسبينا الذريّة، فاصطفى علي عليه السّلام امرأة من السبي لنفسه، قال بريدة: فكتب معي خالد بن الوليد الى رسول الله صلّى الله عليه وآله يخبره بذلك، فلما اتيت النبي صلّى الله عليه وآله رفعت الكتاب فقرىء عليه، فرأيت الغضب في وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله هذا مكان العائذ، بعثتني مع رجل وأمرتني أن اطيعه، ففعلت ما ارسلت به، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لاتقع في علي فانه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي، وانّه منّي وانا منه وهو وليكم بعدي[٣].

١) الموفقيات للزبير بن بكار ط. بغداد سنة ١٩٧٢م، ص ٥٩١ ــ ٥٩٨ وورد شعر حسان في تاريخ اليعقوبي ج ١٢٨/٢ مع اختلاف في اللفظ.

٢) الموفقيات ص ٥٧٥.

٣) مسند احمد ٣٥٦/٥، وخصائص النسائي ص ٢٤، باختلاف يسير ومستدرك الصحيحين ١١١/٣

وفي رواية:

«فقلت: يا رسول الله، بالصحبة الآ بسطت يدك فبا يعتني على الاسلام جديدا، قال: فما فارقته حتّى بايعته على الاسلام»[١].

وفي صحيح الترمذي، ومسندي احمد والطيالسي، وغيرها، واللفظ للاوّل، عن عمران بن حصين:

«أن اربعة من اصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم تعاقدوا ــ في هذه الغزوة ــ أن يشكو عليا اذا لقوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فلمّا قدموا عليه، قام احدهم فقال: يا رسول الله: الم تر الى عليّ بن ابي طالب صنع كذا وكذا فاعرض عنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

وفعل الثاني منهم والثالث والرابع مثل اوّلهم، وفي كلّ مرة يعرض الرسول عن الشاكي. قال:

فأقبل رسول الله صلّى الله عليه وآله والغضب يعرف في وجهه، فقال: «ما تريدون من علي؟! ما تريدون من علي؟! ما تريدون من علي؟! انّ عليا مني وانا منه، انّ عليا مني وانا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي»[٢].

شكوى ثانية

في اسد الغابة، ومجمع الزوائد، وغيرهما، واللفظ للاوّل:

«عن وهب بن حمزة، صحبت عليا (عليه السّلام) من المدينة الى مكة فرأيت منه بعض ما اكره فقلت: لئن رجعت الى رسول الله صلّى الله عليه وآله لا شكونك اليه فلمّا قدمت لقيت رسول الله صلّى الله عليه وسلم، فقلت: رأيت من عليّ كذا وكذا: فقال: لا تقل هذا فهو اولى الناس بكم بعدي.»[٣]

مع اختلاف في اللفظ، ومجمع الزوائد ١٢٧/٩، وفي كنز العمال ٢٠٧/١٢ مختصراً عن ابن أبي شيبة، وفي ٢١٠/١٢ منه عن الديلمي؛ وراجع كنوز الحقائق للمناوي ص ١٨٦.

١) مسند احمد ٣٥٠/٥ و ٣٥٨ و ٣٦١، ومجمع الزوائد ١٢٨/٩، عن الطبراني في الاوسط عن بريدة ولفظه: «من كنت وليّه فعليّ وليّه».

٢) صحيح الترمذي ١٦٥/١٣ باب مناقب علي بن ابي طالب ومسند احمد ٤٣٧/٤ ومسند الطيالسي ١١١/٣ ح ٨٢٩، ومستدرك الحاكم ١١٠/٣، وخصائص النسائي ص ١٩ و ١٦، وحلية ابي نعيم ٢٩٤/٦، والرياض النضرة ١٧١/٢، وكنز العمال ٢٠٧/١٢ و ١٢٥/١٥.

٣) اسد الغابة ٩٤/٥، ومجمع الزوائد ١٠٩/٩.

زمان الشكوى

ذكر المؤرخون وكتّاب السير خرجتين للامام علي الى اليمن، ونراها ثلاث خرجات كما يأتي بيانها ان شاء الله تعالى في باب الاجتهاد، وعلى كلا التقديرين، فانّ آخرها كانت في السنة العاشرة للهجرة، حيث التحق الامام برسول الله صلّى الله عليه وآله في حجة الوداع قبل يوم التروية، والشكوى المذكورة في خرجاته لليمن ان كانت قدّمت لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم مرّتين فانّ اولاهما وقعت في المدينة وقبل العام العاشر، والثانية في مكة وبعد وصول صحب الإمام الى النبي صلّى الله عليه وسلّم قبل يوم التروية، حيث انهم وصلوامكة قبل ايام الحج، وعلى هذا فقد توهم من العماء من قال: انّ قصة الغدير وقعت من أجل هذه الشكوى وذلك لان قصة الغدير وقعت بعد الحج وفي الجحفة وبمحضر من جماهير المسلمين، وحديث الرسول صلّى الله عليه وآله هنا كان مع الشاكين خاصة وفي نفس المجلس وبعد اظهارهم الكشوىٰ مباشرة.

اما الشكوى الثانية، فصريح الحديث انها كانت بعد رجوعها الى المدينة.

ثانيا: نصوص اخرى لم يعين زمانها

عن ابن عباس:

«ان النبي قال لعلي انت وَليّ كلّ مؤمن بعدي»[1].

وعن علي:

ان النبي قال له: ؟انّك وليّ المؤمنين بعدي»[2].

ج: من النصوص على امامته ما وردت في يوم الغدير

كما روى الحاكم الحسكاني:

«عن ابن عباس وجابر قالا: أمر الله محمدا ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ أن ينصب عليا للناس ليخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ان يقولوا حابا ابن عمه وأن يطعنوا في ذلك عليه، فاوحى الله اليه (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) المائدة ــ ٦٧

١) مسند الطيالسي ١١/٣٦٠ ح ٢٧٥٢، والرياض النضرة ٢/٢٠٣.

٢) تاريخ بغداد للخطيب ٤/٢٣٩، وكنز العمال ١٥/١١٤ و ١٢/٢٢١.

فقام رسول الله صلّى الله عليه وآله بولايته يوم غدير خمّ »[١].

وروى عن زياد بن المنذر انّه كان يقول: «كنت عند ابي جعفر محمد بن علي (عليه السّلام) وهو يحدث الناس اذ قام اليه رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الاعشى ــ كان يروي عن الحسن البصري ــ فقال له يا ابن رسول الله جعلني الله فداك ان الحسن يخبرنا انّ هذه الاية نزلت بسبب رجل، ولا يخبرنا من الرجل «يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربّك...» فقال: لو اراد أن يخبر به لا خبر به، ولكنه يخاف، ان جبرئيل هبط الى النبي صلّى الله عليه وآله الى قوله ــ فقال: انّ الله يامرك أن تدل امتك على وليهم على مثل ما دللتهم عليه من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وحجهم، ليلزمهم الحجة من جميع ذلك، فقال رسول الله: يا ربّ انّ قومي قريبوا عهد بالجاهلية، وفيهم تنافس وفخر، وما منهم رجل الاّ وقد وتره وليهم، وانّي أخاف ــ اى من تكذيبهم ــ فانزل الله تعالى «يا ايها الرسول بلّغ ما انزل اليك من ربّك وان لم تفعل فما بلّغت رسالته ــ يريد فما بلّغتها تامة ــ والله يعصمك من الناس «فلمّا ضمن الله له بالعصمة وخوفه اخذ بيد علي...»[٢].

وروى الحاكم الحسكاني:

«عن ابن عباس في حديث المعراج، انّ الله عزّ اسمه قال لنبيه في ما قال: وانّي لم ابعث نبيا الاّ وجعلت له وزيرا، وانّك رسول الله صلّى الله عليه وآله وانّ عليا وزيرك».

قال ابن عباس: [فهبط][٣] رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فكره أن يحدث الناس بشيء منها اذ كانوا حديثوا العهد بالجاهلية الى قوله: فاحتمل رسول الله حتّى اذا كان اليوم الثامن عشر أنزل الله عليه «يا ايها الرسول بلّغ ما انزل اليك...» الى قوله: فقال: يا ايها الناس، انّ الله أرسلني اليكم برسالة، وانّي ضقت بها ذرعا،

١) الحافظ عبيدالله بن عبدالله بن احمد المعروف بالحاكم الحسكاني، الحذاء الحنفي النيسابوري، من اعلام القرن الخامس الهجري، ترجمته في تذكرة الحفاظ ط. الهند ٤/٣٩٠، وط. مصر ٣/١٢٠٠، بآخر الطبقة ١٤ وقد رجعنا الى كتابه شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الايات النازلة في أهل البيت، تحقيق محمد باقر المحمودي ط. بيروت عام ١٣٩٣ هـ والحديث في ج ١/١٩٢ ورقم الحديث ٢٤٩.

٢) شواهد التنزيل ١/١٩١.

٣) كذا وردت.

مخافة أن تتهموني وتكذبوني، حتّى عاتبني ربي فيها بوعيد انزله عليّ ...[١].

وروى الحسكاني وابن عساكر:

عن ابي هريرة: أنزل الله عزّوجلّ «يا ايها الرسول بلّغ ما انزل اليك ــ في علي بن ابي طالب ــ وان لم تفعل فما بلّغت رسالته ...»[٢].

قصد ابو هريرة أن المقصود ان يبلغ ما نزل في علي.

روى الحسكاني:

«عن عبدالله بن أبي أوفىٰ، قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول يوم غدير خمّ وتلاهذه الاية (يا ايها الرسول بلّغ ما انزل اليك...) ثمّ رفع يديه حتّى يرى بياض ابطيه ثمّ قال: ألا من كنت مولاه...»[٣].

وروى الواحدي في اسباب النزول والسيوطي في الدرّ المنثور عن ابي سعيد الخدري قال:

نزلت هذه الاية في علي بن ابي طالب:

«يا ايها الرسول بلّغ ما انزل اليك من ربّك...»[٤].

وفي تفسير السيوطي:

«عن ابن مسعود قال كنّا نقرأ على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله يا ايها الرسول بلّغ ما نزل اليك من ربّك ــ انّ عليا مولى المؤمنين ــ وان لم تفعل فما بلّغت رسالته...»[٥].

١) شواهد التنزيل للحسكاني ١/١٩٢ــ١٩٣ وفي ص ١٨٩ منه نزول الاية فقط.

٢) شواهد التنزيل للحسكاني ١/١٨٧، ورواها ابن عساكر بترجمة الامام على من تاريخ دمشق بطرق كثيرة في الحديث ٤٥٢.

٣) الحسكاني ١/١٩٠، وعبدالله بن أبي اوفى: علقمة بن خالد الحارث الاسلمي، صحابي شهد الحديبية، وعمّر بعد النبي صلّى الله عليه وآله، مات سنة ست او سبع وثمانين وهوآخرمن مات بالكوفة من الصحابة، واخرج حديثه جميع اصحاب الصحاح، ترجمته بتقريب التهذيب ١/٤٠٢، واسد الغابة ٣/١٢١.

٤) اسباب النزول ص ١٣٥ والدرّ المنثور ٢/٢٩٨، وأراه هو الحديث المرقم ٢٤٤ من شواهد التنزيل، وراجع فتح القدير ٢/٥٧، وتفسير النيسابوري ٦/١٩٤.

الواحدي، هو ابوالحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ)، ورجعنا الى كتابه اسباب النزول ط. بيروت سنة ١٣٩٥ هـ.

٥) الدرّ المنثور ٢/٢٩٨، ويقصد من «كنّا نقرأ» انهم كانوا يقرؤن تفسيرها كذا.

قصد ابن مسعود انهم كانوا على عهد رسول الله يقرؤن في تفسير الاية هكذا. وكان نزول هذه الآية في غدير خم وفي مايلي تفصيل الخبر.

خبر يوم الغدير

لمّا صدر رسول الله من حجة الوداع[١] نزلت عليه في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة[٢] آية «يا ايها الرسول بلّغ ما انزل اليك...»[٣]. فنزل غدير خمّ من الجحفة[٤] وكانت جحفة تتشعب منها طريق المدينة ومصر والشام[٥] ووقف هناك حتى لحقه من بعده ورد من كان تقدّم[٦] ونهى اصحابه عن سمرات متفرقات بالبطحاء أن ينزلوا تحتهنّ، ثمّ بعث اليهنّ فضمّ ما تحتهن من الشوك[٧] ونادى بالصلاة جامعة[٨] وعمد اليهنّ[٩] وظل بثوب على شجرة سمرة من الشمس[١٠]، فصلى الظهر بهجير[١١] ثمّ قام خطيبا فحمد الله واثنى عليه، وذكر ووعظ وقال ما شاء الله ان يقول، ثمّ قال اني أوشك ان أُدعى فاجيب، واني مسؤول وانتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا نشهد انك بلّغت ونصحت فجزاك الله خيرا؛ قال: أليس تشهدون ان لا اله الاّ الله وانّ محمدا عبده ورسوله وانّ الجنة حق وانّ النار حق قالوا: بلى نشهد ذلك قال: اللهم اشهد ثمّ قال الا تسمعون؟ قالوا: نعم، قال: يا ايها الناس انّي فرط وانتم واردون عليّ الحوض وان عرضه ما بين بصرى الى صنعاء[١٢] فيه عدد النجوم قدحان من فضة، وأنيّ سائلكم عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فنادى مناد وما الثقلان يا رسول الله؟ قال:

١) مجمع الزوائد ١٦٣/٩ ــ ١٦٥، وانقل عن هذه الصفحات في مايلي.
٢) رواه الحاكم الحسكاني في ج ١٩٢/١ ــ ١٩٣.
٣) سبق ذكر مصادره.
٤) مجمع الزوائد ١٦٣/٩ ــ ١٦٥، وابن كثير ٢٠٩/٥ ــ ٢١٣.
٥) مادة الجحفة من معجم البلدان.
٦) بتاريخ ابن كثير ٢١٣/٥.
٧) مجمع الزوائد، والسمر: نوع من الشجر، وقريب منه لفظ ابن كثير ٢٠٩/٥.
٨) مسند احمد ٢٨١/٤، وسنن ابن ماجة باب فضل علي وتاريخ ابن كثير ٢٠٩/٥، و ٢١٠/٥.
٩) مجمع الزوائد ١٦٣/٩ ــ ١٦٥.
١٠) مسند احمد ٣٧٢/٤، و ابن كثير ٢١٢/٥.
١١) مسند احمد ٢٨١/٤، سنن ابن ماجة باب فضل علي، وابن كثير ٢١٢/٥.
١٢) كانت بصرى اسم لقرية بالقرب من دمشق، واخرى بالقرب من بغداد.

كتاب الله طرف بيدالله وطرف بايديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي وقد نبأني اللطيف الخبير انهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض سألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهما فهم أعلم منكم[١].

ثمّ قال: ألستم تعلمون انّي اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا: بلى يا رسول الله![٢]

قال: الستم تعلمون او تشهدون انّي اولى بكلّ مؤمن من نفسه قالوا بلى يا رسول الله[٣].

ثمّ أخذ بيد علي بن ابي طالب بضبعيه فرفعها حتى نظر الناس الى بياض ابطيهما[٤]، ثمّ قال:

ايها الناس! الله مولاي وانا مولاكم[٥]، فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه[٦] اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه[٧] وانصر من نصره واخذل من خذله[٨]، واحبّ من احبّه وابغض من ابغضه[٩].

ثمّ قال: اللهم اشهد[١٠].

١) مجمع الزوائد وبعض الفاظه في روايات الحاكم ١٠٩/٣ ــ ١١٠، وابن كثير ٢٠٩/٥.

٢) مسند احمد ١١٨/١ و ١١٩، و ٢٨١/٤، وسنن ابن ماجة ٤٣/١ ح ١١٦، وورد «نعم» في مسند احمد ٢٨١/٤ و٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢، وابن كثير ٢٠٩/٥، ولدى ابن كثير ٢١٠/٥: «ألست اولى بكلّ امرئ من نفسه».

٣) مسند احمد ٢٨١/٤ و ٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢، و ابن كثير ٢٠٩/٥ و ٢١٢.

٤) في رواية الحاكم الحسكاني ١٩٠/١، فرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه وفي ص ١٩٣ منه: حتى بان بياض ابطيهما.

٥) الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١٩١/١، وعند ابن كثير ٢٠٩/٥: وانا مولى كلّ مؤمن.

٦) في جميع المصادر التي ذكرناها الى هنا في جميع روايات الباب.

٧) مسند احمد ١١٨/١ و ١١٩ و ٢٨١/٤ و ٣٧٠ و ٣٧٢ و ٣٧٣ و ٣٤٧/٥ و ٣٧٠، ومستدرك الحاكم ١٠٩/٣، وسنن ابن ماجة والحاكم الحسكاني ١٩٠/١ و ١٩١، وتاريخ ابن كثير ٢٠٩/٥ و ٢١٠ ــ ٢١٣، وقال ابن كثير في ٢٠٩/٥: فقلت لزيد هل سمعته من رسول الله؟ فقال: ما كان في الدوحات احد الاّ رآه بعينه وسمعه باذنيه. ثمّ قال ابن كثير: قال شيخنا ابوعبدالله الذهبي: وهذا حديث صحيح.

٨) مسند احمد ١١٨/١ و ١١٩، ومجمع الزوائد ١٠٤/٩ و ١٠٥ و ١٠٧، شواهد التنزيل ١٩٣/١، وتاريخ ابن كثير ٢١٠/٥ و ٢١١.

٩) شواهد التنزيل للحسكاني ١٩١/١، وتاريخ ابن كثير ٢١٠/٥.

١٠) شواهد التنزيل ١٩٠/١.

ثمّ لم يتفرقا ــ رسول الله وعلي ــ حتّى نزلت هذه الاية «اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا».

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: الله اكبر على اكمال الدين واتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي والولاية لعلي[١].

وفي باب ما نزل من القرآن بالمدينة من تاريخ اليعقوبي:

«انّ اخر ما نزل عليه «اليوم اكملت...» وهي الرواية الصحيحة الثابتة، وكان نزولها يوم النصّ على اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب صلوات الله عليه بغدير خمّ»[٢].

فلقيه عمر بن الخطاب بعد ذلك فقال له: هنيئا لك يا ابن ابي طالب، اصبحت وامسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة[٣].

وفي رواية قال له: بخّ بخّ لك يا ابن ابي طالب[٤].

وفي رواية اخرى، هنيئا لك يا ابن ابي طالب اصبحت وامسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة[٥].

تتويج الامام

وكانت لرسول الله عمامة، تسمّى السحاب كساها علياً[٦]، وكانت سوداء اللون[٧]، وكان الرسول يلبسها في ايام خاصة[٨]، مثل يوم فتح مكة[٩]، ورووا في كيفية تتويج الامام بها يوم الغدير كما يلي:

١) رواه الحاكم الحسكاني عن ابي سعيد الخدري ١/١٥٧ ــ ١٥٨ ح ٢١١ و ٢١٢، وعن ابي هريرة ص ١٥٨ ح ٢١٣، وفي تاريخ ابن كثير ٥/٢١٤ بايجاز.

٢) اليعقوبي ٢/٤٣.

٣ و ٤) شواهد التنزيل ١/١٥٧.

٥) مسند احمد ٤/٢٨١، وسنن ابن ماجة باب فضائل علي والرياض النضرة ٢/١٦٩، ولفظ «بعد ذلك» في تاريخ ابن كثير ٥/٢١٠.

٦) في زاد المعاد لابن القيم (فصل في ملابسه) اى الرسول بهامش شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ج ١/١٢١.

٧) ورد ذكر لون العمامة التي توج بها الامام في رواية عبدالله بن بشر الاتية والامام نفسه.

٨) اشير الى ذلك في كتب الحديث.

٩) صحيح مسلم كتاب الحج ح ٤٥١ ــ ٤٥٢، وسنن ابي داود ٤/٥٤ باب في العمائم، وشرح المواهب ٥/١٠، عن معرفة الصحابة لابي نعيم.

عن عبد الاعلى بن عدي البهراني قال:

دعا رسول الله صلّى الله عليه وآله عليا يوم غدير خمّ فعمّمه وارخى عذبة العمامة من خلفه[١].

وعن علي عليه السّلام قال:

عمّمني رسول الله صلّى الله عليه وآله يوم غدير خمّ بعمامة سوداء طرفها على منكبي[٢].

وفي مسند الطيالسي وسنن البيهقي قال:

عمّمني رسول الله صلّى الله عليه وآله يوم غدير خمّ بعمامة سدلها خلفي ثمّ قال: انّ الله عزّوجلّ أمدني يوم بدر وحنين بملائكة يعتمون هذه العمة... وقال: انّ العمامة حاجزة بين المسلمين والمشركين...[٣].

وعن عليّ عليه السّلام:

انّ النبي صلّى الله عليه وآله عمّمه بيده، فذنّب العمامة من ورائه ومن بين يديه، ثمّ قال له النبي صلّى الله عليه وآله: ادبر فادبر، ثمّ قال له: اقبل فاقبل، واقبل على اصحابه فقال النبي صلّى الله عليه وآله: هكذا تكون تيجان الملائكة[٤].

وعن ابن عباس قال:

لمّا عمّم رسول الله صلّى الله عليه وآله عليا بالسحاب قال له: يا عليّ العمائم تيجان العرب...[٥].

وعن عبدالله بن بشر قال:

بعث رسول الله صلّى الله عليه وآله (يوم غدير خمّ) الى عليّ فعمّمه واسدل العمامة بين كتفيه وقال وهكذا امدّني ربّي يوم حنين بالملائكة معمّمين وقد اسدلوا العمائم وذلك حجز بين المسلمين والمشركين[٦].

١) الرياض النضرة ٢/٢٨٩ في ذكر تعميمه اياه (ص) بيده، واسد الغابة ٣/١١٤.

٢) في ترجمة عبدالله بن بشر من الاصابة ٢/٢٧٤ قال: اخرجه البغوي.

٣) كنز العمال ٢٠/٤٥، ومسند الطيالسي ١/٢٣، والبيهقي ١٠/١٤.

٤) كنز العمال ٢٠/٤٥ عن مشيخة ابن باذان.

٥) كنز العمال عن الديلمي.

٦) هكذا رواه ابن طاووس في امان الاخطار، غير أنها في ترجمة عبدالله بن بشر بالاصابة ٢/٢٧٤، رقم الترجمة ٤٥٦٦، ليس فيها لفظ «يوم غدير خمّ».

المناشدة

جمع علي الناس في رحبة مسجد الكوفة[١]، ثمّ قال لهم:

«أنشد الله كلّ امرئ مسلم سمع رسول الله يقول يوم غدير خمّ ما سمع الاقام[٢] ولا يقوم الاّ من قد رآه[٣]، فقام ثلاثون من الناس ــ وفي رواية ــ فقام ناس كثير[٤] وقال عبدالرحمن: فقام اثناعشر بدرياً، كأني انظر الى أحدهم[٥] فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس: «اتعلمون اني أولى بالمؤمنين من انفسهم» قالوا: نعم يا رسول الله[٦] قال: «من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»[٧]، «وانصر من نصره واخذل من خذله»[٨].

قال عبدالرحمن: فقام الا ثلاثة لم يقوموا فاصابتهم دعوته[٩].

قال ابوالطفيل: فخرجت وكأنّ في نفسي شيئا فلقيت زيد بن ارقم فقلت له: انّي سمعت عليا (رض) يقول كذا وكذا، قال: فما تنكره قد سمعت رسول الله يقول ذلك له[١٠].

١) تاريخ ابن كثير ٥/٢١١.

٢) رواه ابوالطفيل، عامر او عمرو بن واثلة الليثي، ولدعام أحد، ورأى النبي وعمر الى أن مات سنة عشر ومائة، وهو آخر من مات من الصحابة، روى عنه جميع اصحاب الصحاح، التهذيب ٣٨٩/١.

وروايته بمسند احمد ٣٧٠/٤، وفي ج ١١٨/١ منه بثلاث اسانيد:

أ) عن ابي الطفيل، عن زيد بن ارقم.

ب) عن سعيد بن وهب الهمداني الجنواني، وهو كوفي ثقة مخضرم مات سنة خمس اوست وسبعين، ترجمته في تهذيب التهذيب وقد رواها احمد عنه مختصرا في ج ٣٦٦/٥.

ج) عن زيد بن يثيع الهمداني الكوفي، ثقة مخضرم من الطبقة الثانية من الرواة، ترجمته بتهذيب التهذيب ٢٧٧/١.

٣) في رواية عبدالرحمن بن ابي ليلى الانصاري المدني الكوفي، ثقة من الثانية روى عنه جميع اصحاب الصحاح، ومات سنة نيف وثمانين ترجمته بتقريب التهذيب ٤٩٦/١ والرواية في مسند احمد ١١٩/١ الحديث رقم

٤) مسند احمد ٣٧٠/٤ في حديث ابي الطفيل وابن كثير ٢١٢/٥.

٥) حديث عبدالرحمن بمسند احمد ج ٩٦١/١، وفي ٣٧٠/٥، وابن كثير ٢١١/٥.

٦) في مسند احمد ١١٨/١ و ٣٧٠/٤ وابن كثير ٢١١/٥ ومجمع الزوائد ١٠٥/٩.

٧) في مسند احمد ١١٨/١ و ١١٩ و ٣٧٠/٤ و ٣٧٠/٥، وابن كثير ٢١١/٥.

٨) مسند احمد ١١٨/١، وتاريخ ابن كثير ٢١٠/٥.

٩) مسند احمد ١١٩/١ الحديث ٩٦٤.

١٠) مسند احمد ٣٧٠/٤.

وفي رواية فقام ثلاثون من الناس[١].

وفي رواية جاء رهط من الانصار الى علي في الرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا قال: كيف اكون مولاكم وأنتم قوم عرب، قالوا سمعنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم خمّ يقول من كنت مولاه فان هذا مولاه قال الراوي فلمّا مضوا تبعتهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الانصار منهم ابوأيوب .

وفي رواية فقال: من القوم.قالوا:مواليك يا أميرالمؤمنين[٢].

١) مسند احمد ٤/٢٧٠ والرياض النضرة ٢/١٦٢ وابن كثير ٥/٢١٢.

٢) مسند احمد ٥/٤١٩ وابن كثير ٥/٢١٢.

الولاية واولوا الامر في القرآن الكريم

أ) ولاية عليّ في القرآن الكريم

نصّت الاحاديث السابقة على ولاية الامام عليّ على المؤمنين بعد رسول الله وهذا بعينه ما عنته الاية الكريمة «انّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» الاية ٥٥ من سورة المائدة.

ويؤيد ذلك الروايات الاتية:

في تفسير الطبري، واسباب النزول للواحدي وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني وانساب الاشراف للبلاذري وغيرها[1].

عن ابن عباس وابي ذر وانس بن مالك والامام علي وغيرهم ما خلاصته:

«انّ فقيرا من فقراء المسلمين دخل مسجد الرسول وسأل وكان عليّ راكعا في صلاة غير فريضة[2]، فاوجع قلب عليّ كلام السائل، فأوما بيده اليمنى الى خلف ظهره، وكان في اصبعه خاتم عقيق يماني أحمر يلبسه في الصلاة، وأشار الى السائل بنزعه

١) تفسير الطبري ١٨٦/٦، واسباب النزول للواحدي ص ١٣٣ ــ ١٣٤، وفي شواهد التنزيل ١٦١/١ ــ ١٦٤ خمس روايات عن ابن عباس وفي ص ١٦٥ ــ ١٦٦ روايتان عن انس بن مالك، وستّ روايات اخرى في ص ١٦٧ ــ ١٦٩، وانساب الاشراف للبلاذري ح ١٥١ من ترجمة الامام ١ / الورقة ٢٢٥، وغرائب القرآن للنيسابوري بهامش الطبري ١٦٧/٦ ــ ١٦٨، واخرج السيوطي كثيراً من رواياتها في تفسيره ٢٩٣/٢ ــ ٢٩٤، وقال في لباب النقول في اسباب النزول ص ٩٠ ــ ٩١ بعد ايراد الروايات: «فهذه شواهد يقوّي بعضها بعضا».

٢) يستفاد ذلك من رواية انس حيث قال: خرج النبي الى صلاة الظهر فاذا هو بعلي يركع، ونظيرها رواية ابن عباس، وكلتاهما في شواهد التنزيل ١٦٣/١ ــ ١٦٤.

فنزعه ودعاله، ومضى فما خرج احد من المسجد حتّى نزل جبرئيل عليه السّلام بقول عزّوجل «انما وليكم الله...» الاية[١]، فأنشأ حسان بن ثابت يقول ابياتا منها قوله:

ابا حسن تفديك نفسي ومهجتي ... وكلّ بطيء في الهدى ومسارع
فانت الذي اعطيت اذانت راكع ... فدتك نفوس القوم ياخير راكع
فانزل فيك الله خير ولاية ... فاثبتها في محكمات الشرائع[٢]

ايراد على دلالة الاية

اورد بعضهم على مفاد الروايات السابقة انّ لفظ الاية «والذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» جمع فكيف يعبر بلفظ الجمع ويراد به الواحد وهو الامام علي؟

قال المؤلف: توهم من قال ذلك فانّ الذي لا يجوز انّما هو استعمال اللفظ المفرد وارادة الجمع منه، امّا العكس فجايز وشايع في المحاورات وقد ورد نظائرها في موارد متعددة في القرآن الكريم مثل التعابير التي وردت في سورة المنافقين:

«بسم الله الرحمن الرحيم، اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد انّ المنافقين لكاذبون» الى قوله تعالى «واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون» الى قوله: «هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتّى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون، يقولون لئن رجعنا الى المدينة لنخرجنّ الاعزّ منها الاذل، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون. الايات ١ ــ ٨.

قال الطبري في تفسير السورة:

انّما عني بهذه الايات كلّها عبدالله بن ابي سلول... وأنزل الله فيه هذه السورة من اولها الى اخرها وبالنحو الذي قلنا، قال اهل التأويل وجاءت الاخبار[٣].

وروى السيوطي بتفسير الايات عن ابن عباس انّه قال: وكلّ شئ أنزله في المنافقين ــ في هذه السورة ــ فانما أراد عبدالله بن أبي[٤].

١) الى هنا اوردنا ملخصة من شواهد التنزيل.
٢) نقلا عن كفاية الطالب الباب ٦١ ص ٢٢٨، وبقية مصادر الحديث في تاريخ ابن كثير ٣٥٧/٧.
٣) تفسير الطبري ٢٧٠/٢٨.
٤) تفسير السيوطي ٢٢٣/٦.

وموجز القصة كما نقلها اهل السير وورد في التفاسير:

«انّ اجير عمر بن الخطاب، جهجاه الغفاري، ازدحم بعد غزوة بني المصطلق مع سنان الجهني حليف بني الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني: يا معشر الانصار!، وصرخ الجهجاه يا معشر المهاجرين! فغضب عبدالله بن أبي ومعه رهط من قومه وفيهم زيد بن أرقم، غلام حديث السن فقال: أقد فعلوها؟ قد نافرونا و كاثرونا في بلادنا، والله ما اعدّنا وجلابيب قريش هذه الاكما قال القائل: سمّن كلبك يأكلك! أما والله لئن رجعنا الى المدينة لنخرجنّ الاعزّ منها الاذل، ثمّ أقبل على من حضره من قومه، فقال: هذا ما فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم اموالكم، اما والله لو أمسكتم عنهم ما بايديكم لتحوّلوا الى غير بلادكم، فسمع ذلك زيد بن ارقم ومشى به الى رسول الله وأخبره وعنده عمر بن الخطاب»[١].

فقال عمر بن الخطاب: دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال إذاً ترعد له آنف كثيرة بيثرب قال عمر فان كرهت يا رسول الله ان يقتله رجل من المهاجرين، فمر به سعد بن معاذ ومحمد بن مسلمة فيقتلانه فقال: انّي اكره ان يتحدث الناس انّ محمدا يقتل اصحابه[٢].

فذهب عبدالله الى رسول الله، وحلف انّه لم يكن شيٌ من ذلك فلام الانصار زيدا على قوله، وقالوا لعبد الله: لو رأيت رسول الله يستغفر لك فلوّى رأسه وقال: أمرتموني ان اومن فامنت وامرتموني ان اعطي زكاة مالى فاعطيت فما بقي لي الا ان اسجد لمحمد، فنزلت السورة فيه وهو المقصود بقوله تعالى: «هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتّى ينفضوا»[٢].

وهو المقصود من قوله تعالى «واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤوسهم...»[٣].

* * *

في هذه السورة عبّر الله عن عبدالله بن أبي القائل الواحد، بقوله تعالى: «هم

١) تفسير الطبري ٢٨/٧٥.

٢) تفسير الطبري ٢٨/٧٤.

٣) لخّصنا روايات متعددة وردت في تفسير الطبري ٢٨/٧١ فما بعدها وتفسير السيوطي ٦/٢٢٢ فما بعدها الى غير ذلك ممّا ورد في التفاسير والسير.

الذين يقولون» وبقوله عزّ اسمه «واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤوسهم» القائل والفاعل واحد كما اجمع على ذلك المفسرون وأطبقت الروايات على ذلك وانما اوردنا هذا على سبيل المثال والاّ فنظائرها متعددة في القران الكريم مثل قوله تعالى:

«ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن» التوبة: ٦١.

«الذين قال لهم الناس انّ الناس جمعوا لكم...» آل‌عمران: ١٧٣.

«يقولون هل لنا من الامر شئ...» آل‌عمران: ١٥٤.

هذه الى غيرها ممّا عُبّر فيها بلفظ الجمع وأريد بها الواحد تعدد نظائرها في القرآن الكريم.

ب) أولوا الامر: عليّ والأئمة من ولده

أثبتت الروايات المتظافرة المتواترة السابقة أنّ علياً هو مولى المؤمنين وولّي أمرهم بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله، كما انها تفسر المراد من أولي الأمر في الاية الكريمة:

«يا ايّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم»[1].

ودلّت على ذلك أيضا الاحاديث الآتية:

أ) في شواهد التنزيل عن علي أنّه سأل رسول الله عن الاية وقال: يا نبي الله من هم؟ قال: انت اولهم.

ب) وعن مجاهد: «وأولي الأمر منكم» قال: علي بن ابي‌طالب ولاّه الله الأمر بعد محمد في حياته حين خلّفه رسول الله بالمدينة فأمر الله العباد بطاعته وترك الخلاف عليه.»

ج) وعن أبي‌بصير، عن ابي‌جعفر:

«أنّه سأله عن قول الله «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم قال: نزلت في علي بن أبي‌طالب قلت: انّ الناس يقولون: فما منعه أن يسمّي عليا وأهل بيته في كتابه فقال أبوجعفر: قولوا لهم إنّ الله أنزل على رسوله الصلاة ولم يسمّ ثلاثا ولا اربعا حتّى كان رسول الله هو الذي يفسر ذلك، وأنزل الحج فلم ينزل طوفوا أسبوعا

١) سورة النساء: الاية ٥٩.

حتّى فسر لهم ذلك رسول الله، وأنزل «وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم» فنزلت في علي والحسن والحسين وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي انّي سألت الله ان لا يفرق بينهما حتّى يردا عليّ الحوض فأعطاني ذلك.»[١]

١) الاحاديث: أ، ب، ج وردت متواليات في شواهد التنزيل ١٤٨/١ ــ ١٥٠.

الائمة علي وبنوه عليهم السّلام
مبلّغون عن رسول الله صلّى الله عليه وآله

حصر القران الكريم في عدة آيات وظيفة الرسل في التبليغ مثل قوله تعالى: «ما على الرسول الا البلاغ»[1]. وقوله «وما على الرسول الاّ البلاغ المبين»[2] وقوله: «انّما على رسولنا البلاغ المبين»[3]، وقوله «فهل على الرسل الاّ البلاغُ المبين»[4].

وحصر كذلك وظيفة خاتم الرسل خاصة في التبليغ بقوله تعالى «فانّما عليك البلاغ»[5]، وقوله «إن عليك الاّ البلاغ»[6].

وينقسم التبليغ الى تبليغ مباشر وتبليغ بواسطة، والى تبليغ ماحان وقت عمله وما لم يحن، مثل حكم الطائفتين المتقاتلتين من المؤمنين وواجب المسلمين تجاه الحاكم الجائر وينقسم ما يبلغه الرسول الى قسمين:

أ) ما اوحي الى الرسول لفظه ومعناه وهو كتاب الله ويسمّى في هذه الامة بالقرآن الكريم قال سبحانه «وأوحي اليّ هذا القران لانذركم به ومن بلغ»[7].

١) سورة المائدة: الاية ٩٩.
٢) سورة النور: الاية ٥٤ وسورة العنكبوت: الاية ١٨.
٣) سورة المائدة: الاية ٩٢، وسورة التغابن: الاية ١٢.
٤) سورة النحل: الاية ٣٥.
٥) سورة آل‌عمران: الاية ٢٠، وسورة النحل: الاية ٣٥، وسورة الرعد: الاية ١٣.
٦) سورة الشورى: الاية ٤٨.
٧) سورة الانعام: الاية ١٩.

ب) ما أوحي الى الرسول معناه دون لفظه وبلّغه الرسول بلفظه الشريف مثل تبليغه تفصيل احكام الشرع، قال الله سبحانه «شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصيّنا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه»[١].

انّ الرسول عندما يعين عدد ركعات الصلاة واذكارها ويبين سائر احكامها وسائر احكام الشرع الاسلامي، اويبلغ أنباء الامم السابقة والغيوب الاتية في هذه الدنيا او العالم الاخر، انّما يبلّغ ما اوحى اليه في غير القرآن الكريم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ويسمى هذا النوع من التبليغ في هذه الامة بالحديث النبوي الشريف.

* * *

حصرت الايات السابقة وظيفة الرسول بالتبليغ، وعلى هذا فان الصفة المميزة للرسول هي التبليغ، واذا قال الرسول عن شخص (إنّه منّي) يعني انّه منه في أمر التبليغ ولا نقول هذا اعتباطا، بل قد وجدنا الرسول يصرح بذلك في قسم من تلك الاحاديث مثل ما ورد في قصة تبليغ آيات البراءة التالية:

قصة تبليغ آيات البراءة

وردت قصة تبليغ سورة البراءة في صحيح الترمذي وتفسير الطبري وخصائص النسائي ومستدرك الصحيحين وغيرها، عن انس وابن عباس وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر وأبي سعيد الخدري وعمر بن ميمون وعلي بن أبي طالب[٢]، وأبي بكر، ونختار هنا ذكر رواية ابي بكر الواردة في مسند احمد ، الى قوله: قال ابوبكر:

«انّ النبي بعثه ببراءة لاهل مكة، لايحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الاّ نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مدة فأجله الى مدة، والله بريئ من المشركين ورسوله، قال فسار بها ثلاثا ثمّ قال لعلي «الحقه فردّ عليّ أبابكر وبلّغها انت» قال: ففعل، فلمّا قدم على النبي صلّى الله

١) سورة الشورى: الاية ١٣.

٢) صحيح الترمذي ١٦٤/١٣ ــ ١٦٥، ومسند احمد ١٥١/١ و ٣٣٠ و ٢٨٣/٣ وراجع ج ١٥٠/١، وخصائص النسائي ص ٢٨ ــ ٢٩، وتفسير الطبري ٤٦/١٠، ومستدرك الصحيحين ٥١/٣، ومجمع الزوائد ٢٩/٧ و ١١٩/٩.

عليه وسلّم ابوبكر بكى وقال: يا رسول الله حدث فيّ شئ؟ قال: «ما حدث فيك الاّ خير، ولكنّي أمرت ان لا يبلغه الا أنا او رجل مني»[١].

وفي رواية عبدالله بن عمر:
«ولكن قيل لي: أنّه لا يبلّغ عنك الا انت او رجل منك»[٢].
وفي رواية أبي سعيد الخدري:
«لا يبلّغ عني غيري او رجل منّي»[٣].

تدلنا القرائن الحالية والمقالية في المقام، ان القصد من التبليغ في هذه الروايات وما شابهها تبليغ ما اوحى الله الى رسوله من احكام الى المكلفين بها في بادئ الامر، وهذا ما لا يقوم به الا الرسول او رجل من الرسول.

ويقابل هذا التبليغ التبليغ الذي يقوم به المكلفون بتلك الاحكام بعد ما بلغوا بها بواسطة الرسول او رجل من الرسول فان لهم عند ذاك ان يقوموا بتبليغها الى غيرهم، ويطرد جواز هذا التبليغ ورجحانه ويتسلسل مع كلّ من بلغه الحكم الى ابد الدهر.

وواضح أنّ الرسول عنى بقوله «لا يبلغ عنيّ غيري او رجل منّي التبليغ من النوع الاول».

ويفسر ايضا لفظ «منّي» في احاديث الرسول صلّى الله عليه وآله حديث المنزلة الاتي:

علي من النبي بمنزلة هارون من موسى

في صحيح البخاري، ومسلم، ومسند الطيالسي، واحمد، وسنن الترمذي، وابن ماجة وغيرها[٤] واللفظ للأوّل، انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال لعلي:

١) مسند احمد ٣/١ الحديث ٤ من مسند ابي بكر وقال احمد شاكر: «اسناده صحيح» وراجع كنز العمال وذخائر العقبى.
٢) في مستدرك الصحيحين ٥١/٣.
٣) في الدرّ المنثور بتفسير «براءة من الله».
٤) صحيح البخاري ٢٠٠/٢ باب مناقب علي بن ابي طالب وصحيح مسلم ج ١٢٠/٧ باب من فضائل علي بن ابي طالب والترمذي ج ١٧١/١٣ باب مناقب علي والطيالسي ج ٢٨/١ و ٢٩ وح ٢٠٥ و ٢٠٩ و ٢١٣ وابن ماجة باب فضل علي بن ابي طالب ح ١١٥، ومسند احمد ج ١٧٠/١ و ١٧٣ ــ ١٧٥ و ١٧٧ ←

«انت منّي بمنزلة هارون من موسى الا انّه ليس نبي بعدي»
ولفظ مسلم وغيره:
«الاّ انّه لا نبي بعدي».

وفي رواية ابن سعد في الطبقات عن البرّاء بن عازب وزيد بن ارقم قالا: لما كان عند غزوة جيش العسرة وهي تبوك قال رسول الله صلّى عليه وسلم لعلي بن ابي طالب: انّه لابد من ان اقيم او تقيم، فخلّفه، فلما فصل رسول الله صلّى الله عليه وسلم، غازيا قال ناس: ما خلف عليا الاّ لشيىء كرهه منه فبلغ ذلك عليا فاتبع رسول الله صلّى الله عليه وسلم حتى انتهى اليه فقال له: ما جاء بك يا علي؟ قال: لا يا رسول الله الاّ انّي سمعت ناسا يزعمون انّك انّما خلّفتني لشيء كرهته منّي، فتضاحك رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وقال: يا علي اما ترضى ان تكون منّي كهارون من موسى غير انّك لست بنبيّ؟ قال: بلى يا رسول الله، قال فانّه كذلك[1] وقد مرّ بعض الفاظ الحديث فى باب من استخلفه النبي صلّى الله عليه وآله على المدينة في غزواته.

المراد من لفظ «منّي» في أحاديث الرّسول صلّى الله عليه وآله:

إنّ لفظ «منّي» في حديث «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى» يوضّح المراد من هذا اللفظ في احاديث الرسول الاخرى، وذلك انّ هارون لمّا كان شريك موسى في النبوة ووزيره في التبليغ وكان عليّ من خاتم الانبياء بمنزلة هارون من موسى باستثناء النبوة يبقى لعلي الوزارة في التبليغ، وعلى هذا فانّ الرسول فسر لفظ «منّي» في هذه الاحاديث بكل وضوح وجلاء ان القصدمنه انّه منه في مقام التبليغ عن الله الى المكلفين بلا واسطة، ومن ثمّ يتضح معنى «منّي» في احاديث اخرى للرسول صلى الله عليه وآله في حق الامام علي والذي وردفيها غير مفسرة.

→

و ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٤ و ١٨٥ و ٣٣٠ وج ٣/٣٢ و ٣٣٨ وج ٦/٣٦٩ و ٤٣٨، ومستدرك الحاكم ج ٢/٣٣٧، وطبقات ابن سعد ٣/١/١٤ و ١٥، ومجمع الزوائد ج ٩/١٠٩ ــ ١١١، ومصادر اخرى كثيرة.

١) طبقات بن سعد ج ٣/ ق ١/١٥، ومجمع الزوائد للهيثمي ج ٩/١١١ باختلاف يسير.

مثل ما ورد في رواية بريدة في خبر الشكوى انّ الرسول صلّى الله عليه وآله قال له: «لا تقع في علي فأنّه منّي و...»[١].

ورواية عمران بن حصين: «انّ عليا منّي ...»[٢].

* * *

في كل هذه الروايات قصد الرسول (ص) أن علياً والائمّة (ع) من ولده، من رسول الله صلّى الله عليه وآله في حمل أعباء التبليغ الى المكلفين مباشرة كما يقال خاتم من فضة، وعلى هذا فهم منه وهو منهم، يشتركون في التبليغ ويختلفون في أنّه يأخذ الاحكام التي يبلّغها من الله عن طريق الوحي، وهم يأخذونها عن طريق رسول الله صلّى الله عليه وآله فهم مبلّغون عن رسول الله الى الامة وقد أعدهم الله ورسوله لحمل أعباء التبليغ وذلك بما عصمهم الله من الرجس وطهّرهم تطهيرا كما أخبر سبحانه عن ذلك في آية التطهير، وبما أفاض الرسول على الامام علي خاصة ممّا أوحى الله اليه ثمّ ورث الائمة من أبيهم الامام علي ذلك واحدا بعد الاخر كما نصّت على ذلك الروايات الاتية.

حامل علوم الرسول صلّى الله عليه وآله

في تفسير الرازي وكنز العمال قال علي:

«علّمني رسول الله صلّى الله عليه وآله الف باب من العلم وتشعب لي من كلّ باب الف باب»[٣].

وفي تفسير الطبري وطبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب وكنز العمال وفتح الباري واللفظ للاخير:

عن ابي الطفيل قال: شهدت عليا وهو يخطب وهو يقول: سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء يكون الى يوم القيامة الاحدثتكم به، وسلوني عن كتاب الله فوالله مامن آية الا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل...»[٤].

ومن هنا قال في حقّه رسول الله صلّى الله عليه وآله كما رواه جابر بن عبدالله

١ و ٢) مضى ذكر سندهما في باب: ولّي امر المسلمين.

٣) بتفسير الاية «ان الله أصطفى آدم...» وكنز العمال ج ٣٩٢/٦ و ٤٠٥.

٤) تفسير ابن جرير ج ١١٦/٢٦، وطبقات ابن سعد ج ٢/ ق: ١٠١/٢، وتهذيب التهذيب ج ٣٣٧/٧، وفتح الباري ج ٢٢١/١٠، وحلية الاولياء ج ٦٧/١، وكنز العمال ج ٢٢٨/١.

«أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب» قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد[١].

وفي رواية: فمن أراد العلم فليأت الباب[٢].

وفي رواية:

«سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الحديبية وهو آخذ بيد علي (عليه السّلام) يقول: هذا أمير البررة وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، ــ يمدّ بها صوته ــ أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد البيت فليأت الباب»[٣].

ولفظه في رواية ابن عباس:

«آنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»[٤].

وفي رواية الامام علي:

«أنا دار العلم وعلي بابها»[٥].

وقال في حقّه ايضا كما رواه ابن عباس:

«أنا مدينة الحكمة وعلي بابها فمن اراد الحكمة فليأت الباب»[٦].

وفي رواية الامام علي:

«أنا دار الحكمة وعلي بابها»[٧].

وقال في حقّه كما في رواية ابي ذر:

«علي باب علمي ومبين لامتي ما أرسلت به بعدي...»[٨].

١) مستدرك الصحيحين ج ١٢٦/٣. وفي ص: ١٢٧ منه بطريق اخر، وفي تاريخ بغداد ج ٣٤٨/٤ و ج ١٧٢/٧ وج ٤٨/١١ وفي ص ٤٩ منه عن يحيى بن معين أنّه صحيح وفي أسد الغابة ٢٢/٤ ومجمع الزوائد ج ١١٤/٩ وتهذيب التهذيب ٣٢٠/٦ و ٤٢٧/٧، وفي متن فيض القدير ٤٦/٣، وكنز العمال ط ٢، ج ٢٠١/١٢ ح ١١٣٠، والصواعق المحرقة / ٧٣.

٢) مستدرك الصحيحين ١٢٧/٣.

٣) تاريخ بغداد للخطيب ج ٣٧٧/٢.

٤) كنز العمال ط ٢، ج ٢١٢/١٢، ح ١٢١٩، وراجع كنوز الحقائق للمناوي.

٥) الرياض النضرة ج ١٩٣/٢.

٦) تاريخ بغداد للخطيب ج ٢٠٤/١١، وصحيح الترمذي.

٧) صحيح الترمذي ج ١٧١/١٣ باب مناقب علي بن ابي طالب، قال وفي الباب عن ابن عباس، وحلية الاولياء لابي نعيم ج ٦٤/١، وكنز العمال ط. ١، ج ١٥٦/٦.

٨) كنز العمال ط. ١ ج ١٥٦/٦.

وقال كما في رواية انس بن مالك:

انّ النبي (ص) قال لعلي (ع):

«أنت تبين لامتي ما اختلفوا فيه بعدي» قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.[١]

وفي رواية قال له:

«أنت تؤدي عني وتسمعهم صوتي وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي»[٢].

وقد يسر الله لخاتم انبيائه أن يَرزقَ ابن عمه العلم فيما هيأهما من الاجتماع في بيت واحد منذ أن كان الامام علي طفلا كما رواه الحاكم:

«كان من نعم الله على علي بن ابي طالب (ع) ما صنع الله واراده به من الخير، أنّ قريشا اصابتهم أزمة شديدة، وكان ابوطالب في عيال كثير فقال رسول الله (ص): لعمه العباس ــ وكان من ايسر بني هاشم ــ يا ابا الفضل انّ أخاك اباطالب كثير العيال وقد أصاب الناس ماترى من هذه الازمة فانطلق بنا اليه نخفف عنه من عياله آخذ أنا من بنيه رجلا وتأخذ أنت رجلا فنكفلهما عنه، فقال العباس: نعم، فانطلقا حتّى أتيا اباطالب، فقالا: انّا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتّى تنكشف عن الناس ماهم فيه، فقال لهما ابوطالب: اذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما. فأخذ رسول الله (ص) عليا فضمّه اليه وأخذ العباس جعفرا فضمّه اليه فلم يزل علي (ع) مع رسول الله (ص) حتّى بعثه الله نبيا فاتبعه وصدقه وأخذ العباس جعفرا وضمّه اليه ولم يزل جعفر مع العباس حتّى أسلم واستغنى عنه»[٣].

وروى عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده (ع) قال:

«أشرف رسول الله (ص) من بيت ومعه عمّاه العباس وحمزة. وعلي وجعفر وعقيل في أرض يعملون فيها، فقال رسول الله (ص) لعمّيه: اختارا من هؤلاء، فقال أحدهما: اخترت جعفرا، وقال الاخر: اخترت عقيلا، فقال: خيرتكما فاخترتما فاختار الله لي عليا»[٤].

١) مستدرك الصحيحين ج ٣/١٢٢ وكنز العمال ط. ١، ج ٦/١٥٦، وراجع المناوي في كنوز الحقائق ص ١٨٨.

٢) حلية الاولياء ج ١/٦٣

٣) مستدرك الصحيحين ج ٣/٥٧٦.

٤) مستدرك الصحيحين ج ٣/٥٧٦ ــ ٥٧٧.

وقد أخبر الامام بنفسه عن ذلك وقال:

«وقد علمتم موضعي من رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله وسلم ــ بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره، ويضمّني الى صدره، ويكنفني في فراشه ويمسّني جسده ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه، وما وجدلي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله به، صلّى الله عليه وآله، من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن اخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر أمه يرفع لي في كلّ يوم من اخلاقه علما، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلّى الله عليه وآله، وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشمّ ريح النبوة.

ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه، صلّى الله عليه وآله، فقلت يا رسول الله، ما هذه الرنّة؟[1] فقال: «هذا الشيطان أيس من عبادته، انّك تسمع ما اسمع، وترى ما أرى، الا إنّك لست بنبي، ولكنك وزير، وإنّك لعلى خير». ولقد كنت معه، صلّى الله عليه وآله، لمّا أتاه الملأ من قريش، فقالوا له: يا محمد، انّك قد ادعيت عظيما لم يدّعه آباؤك ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمرا ان (انت) أجبتنا اليه وأريتناه علمنا أنّك نبّي ورسول، وان لم تفعل علمنا أنّك ساحر كذّاب. فقال صلّى الله عليه وآله: وما تسألون؟ قالوا: تدعوا لنا هذه الشجرة حتّى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك. فقال صلّى الله عليه وآله وسلم: انّ الله على كلّ شيء قدير، فان فعل الله لكم ذلك أتومنون وتشهدون بالحق؟ قالوا: نعم، قال: فإني سأريكم ما تطلبون، وأنّي لأعلم أنكم لا تفيئون الى خير[2]، وان فيكم من يطرح في القليب[3]، ومن يحزب الاحزاب، ثمّ قال صلّى الله عليه وآله: يا أيتها الشجرة ان كنت تؤمنين بالله واليوم الاخر وتعلمين أنّي رسول الله فانقلعي بعروقك حتّى تقفي بين يدي بأذن الله. والذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقها وجاءت ولهادوي شديد وقصف كقصف أجنحة

١) الرنّة: الصيحة الحزينة.

٢) لا تفيئون: لا ترجعون.

٣) القليب ــ كأمير ــ البئر، والمراد منه قليب بدر طرح فيه نيف وعشرون من أكابر قريش، والاحزاب: طوائف متفرقة من القبائل اجتمعوا على حربه صلّى الله عليه وآله في وقعه الخندق.

الطير[١]، حتّى وقفت بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله مرفرفة، والقت بغصنها الاعلى على رسول الله، صلّى الله عليه وآله وسلم، وببعض أغصانها على منكبي، وكنت عن يمينه صلّى الله عليه وآله وسلم، فلما نظر القوم الى ذلك قالوا علوا واستكبارا: فرها فليأتك نصفها ويبق نصفها، فأمرها بذلك فأقبل اليه نصفها كأعجب اقبال وأشده دويا، فكادت تلتف برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، فقالوا كفرا وعتوا: فر هذا النصف فليرجع الى نصفه كما كان، فأمره، صلّى الله عليه وآله وسلم، فرجع فقلت أنا: لا اله الا الله، فأنّي اول مؤمن بك يا رسول الله، واول من أقرّ بأنّ الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقا بنبوتك واجلالا لكلمتك، فقال القوم كلّهم: بل ساحر كذّاب عجيب السحر خفيف فيه، وهل يصدقك في أمرك الاّ مثل هذا؟ (يعنوني)[٢].

هكذا كان رسول الله (ص) يرفع للامام في صغره كلّ يوم من أخلاقه علما ويأمره بالاقتداء به، ويزقه العلم زقا في كبره ويخصه بمناجاته.

وقد ورد في صحيح الترمذي وغيره واللفظ للترمذي عن جابر قال:

«دعا رسول الله (ص) عليا (ع) يوم الطائف فانتجاه، فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمّه فقال رسول الله (ص): ما انتجيته ولكنّ الله انتجاه»[٣].

وفي رواية:

«لمّا كان يوم الطائف دعا رسول الله (ص) عليا فناجاه طويلا فقال بعض اصحابه...» الحديث[٤].

وفي رواية جندب بن ناجية او ناجية بن جندب:

«لمّا كان يوم غزوة الطائف قام النبي (ص) مع علي (ع) مليا ثمّ مرّ، فقال له ابوبكر: يا رسول الله لقد طالت مناجاتك عليا منذ اليوم، فقال: ما انا انتجيته ولكنّ الله انتجاه»[٥].

١) القصف: الصوت الشديد. و«ريح قاصف» اى: شديدة. و«رعد قاصف» اى: شديد الصوت.

٢) الخطبة ١٩٠ من نهج البلاغة، ج ٢ ص ١٨٢ ــ ١٨٤.

٣) صحيح الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن ابي طالب ج ١٣/١٧٣ وتاريخ بغداد للخطيب ج ٧/٤٠٢.

٤) أسد الغابة ج ٤/٢٧. ٥) كنز العمّال ط ٢ ج ١٢/٢٠٠، ح ١١٢٢، والرياض النضرة ٢/٢٦٥.

وكان الامام عليّ حريصاً على أن يتلقى من رسول الله (ص) ولمّا نزلت «يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة»[١].

قال الطبري:

«نهوا عن مناجات النبي (ص) حتّى يتصدقوا فلم يناجه أحد الاعلي بن ابي طالب»[٢].

وفي اسباب النزول للواحدي وغيره عن الامام علي:

«كان لي دينار فبعته و كنت اذا ناجيت الرسول (ص) تصدقت بدرهم حتّى نفد»[٣].

وفي رواية:

«كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم فكنت اذا جئت الى النبي (ص)»[٤].

و روى الزمخشري في تفسير الاية:

«أنّه تصدق في عشر كلمات سألهنّ رسول الله (ص)».

وفي رواية عن الامام:

انّ في كتاب الله لاية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي:

آية النجوى: «يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم...» الاية[١]، كان عندي دينار... الى قوله: ثمّ نسخت فلم يعمل بها أحد فنزلت «أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات...»[٥].

هكذا كان مع رسول الله (ص) ولم يفارقه حتّى آخر لحظة من حياته.

قالت عائشة:

قال رسول الله (ص): لمّا حضرته الوفاة: «ادعوا لي حبيبي، فدعوا له ابابكر، فنظر اليه ثمّ وضع رأسه ثمّ قال: ادعوا لي حبيبي، فدعوا له عمر فلما نظر اليه، وضع رأسه، ثمّ قال ادعوا لي حبيبي، فدعوا له عليا (ع) فلمّا رآه ادخله في الثوب الذي كان

١) سورة المجادلة: الاية ١٢، تفسير السيوطي ١٨٥/٦.
٢) تفسير الطبري ج ١٤/٢٨، والدّر المنثور ١٨٥/٦.
٣) اسباب النزول للواحدي ص ٣٠٨، الطبري في تفسير الاية.
٤) تفسير الاية في الدرّ المنثور ١٨٥/٦، والرياض النضرة ٢٦٥/٢.
٥) سورة المجادلة: الاية ١٣. وتفسير السيوطي ١٨٥/٦، والرياض النضرة ٢٦٥/٢.

عليه فلم يزل يحتضنه حتى قبض ويده عليه»[١].

وعن ابن عباس:

«انّ النبي ثقل وعنده عائشة وحفصة اذ دخل علي (ع) فلمّا رأه النبي (ص) رفع رأسه ثمّ قال: ادنو منّي، ادنو منّي فاسنده فلم يزل عنده حتى توفي»[٢].

وعن ام سلمة قالت:

«والذي أحلف به ان كان علي (ع) لاقرب الناس عهدا برسول الله (ص) عذّنا رسول الله (ص) غداة وهو يقول: جاء عليّ؟ جاء عليّ؟ مرارا فقالت فاطمة: كأنّك بعثته في حاجة، قالت فجاء بعد، قالت أم سلمة فظننت أن له اليه حاجة فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب وكنت من ادناهم الى الباب، فأكبّ عليه رسول الله (ص) وجعل يسارّه ويناجيه ثمّ قبض رسول الله من يومه ذلك، فكان عليّ أقرب الناس عهدا. (قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد)»[٣].

* * *

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله (ص):

«من سره أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن غرسها ربّي، فليوال عليا من بعدي، وليوال وليّه، وليقتدي بالائمة من بعدي فانهم عترتي خلقوا من طينتي، رزقوا فهما وعلما، وويل للمكذّبين بفضلهم من امتي، القاطعين فيهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي»[٤].

١) الرياض النضرة ٢/١٨٠، وذخائر العقبى ص ٧٢.

٢) مجمع الزوائد ج ٩/٣٦.

٣) مسند احمد ج ٦/٣٠٠، وخصائص النسائي ص ٤٠ ومستدرك الصحيحين ج ٣/١٣٨ ــ ١٣٩.

٤) حلية ابي نعيم ١/٨٦.

ما ورد في حق سبطي رسول الله
صلّى الله عليه وآله

ذكرنا في ما سبق شيئاً ممّا ورد فى حقّ الامام الاول علي بن ابي طالب وفي ما ياتى نذكر ما ورد في حق سبطى رسول الله منها قوله هذان مني وقد عرفنا معنى منّي في البحث السابق.

الحسن والحسين من رسول الله وسبطاه

في مسند احمد عن المقدام بن معدي كرب:

انّ رسول الله وضع الحسن في حجره وقال: «هذان منّي ...»[1].

وعن البراء بن عازب قال:

قال النبي (ص) «للحسن او الحسين هذا منّي»[2].

وروى البخاري والترمذي وابن ماجة واحمد والحاكم عن يعلى بن مرة ان رسول الله (ص) قال:

«حسين منّي وانا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الاسباط»[3].

١) كنز العمال ج ١٦/٢٧٠.

٢) مسند احمد ج ٤/١٢٢ و كنز العمال ج ١٣/٩٩ و ١٠٠ وج ١٦/٢٦٢ ومنتخب الكنز ج ٥/١٠٦ والجامع الصغير بشرح فيض القدير ج ٣/١٤٥.

٣) البخاري في الادب المفرد باب معانقة الصبي ح ــ ٣٦٤، والترمذي ج ١٣/١٩٥ في باب مناقب الحسن والحسين وابن ماجة المقدمة باب ١١، ح ــ ١٤٤، ومسند احمد ج ٤/١٧٢، ومستدرك الحاكم ج ٣/١٧٧، ووصف هو والذهبي الحديث بانه صحيح، وأسد الغابة ج ٢/١٩ وج ٥/١٣٠.

وفي رواية:

«الحسن والحسين سبطان من الاسباط»[١].

وعن ابي رمثة قال رسول الله (ص):

«حسين منّي وأنا منه هو سبط من الاسباط»[٢].

وفي رواية:

«الحسن والحسين سبطان من الاسباط»[٣].

وعن البراء بن عازب قال: قال رسول الله (ص):

«حسين منّي وأنا منه أحب الله من أحبه، الحسن والحسين سبطان من الاسباط»[٤].

انّ قول رسول الله (ص): «منّي» في هذه الروايات بحقّ الحسنين نظير قوله بحقّ أبيهما الامام علي، أراد في جميعها، انهم منه في مقام تبليغ احكام الاسلام.

وكذلك نرى انّ قوله في حقّهما انهما سبطان من الاسباط، لا يعني أنهما حفيدان كما انّ جميع البشر ما عداهما حفدة، فهذا هذر من القول حاشا رسول الله (ص) منه، بل انّ الالف واللام في الاسباط للعهد الذهني من القرآن الكريم، اى انهما من الاسباط المذكورين في كتاب الله في قوله تعالى:

«قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون»[٥].

وقوله تعالى:

«ام تقولون انّ ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى...»[٦].

وقوله تعالى:

١) كنز العمال ج ١٦/٢٧٠.
٢) كنز العمال ج ١٣/١٠٦.
٣) كنز العمال ج ١٣/١٠١ و ١٠٥.
٤) كنز العمال ج ١٦/٢٧٠.
٥) سورة البقرة: الاية ١٣٦.
٦) سورة البقرة: الاية ١٤٠.

«قل آمنا بالله وما انزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ...»[١].

وقوله تعالى:

«انّا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ...»[٢].

وعليه فأنّ الالف واللام في «الاسباط» في حديث رسول الله (ص) بحقّ الحسنين للعهد الذهني عند المسلمين من هذه الايات، وأنّ قول رسول الله (ص) في حقّهما نظير قوله في حق ابيهما: أنّه منه بمنزلة هارون من موسى وقد شرح الله سبحانه تلك المنزلة فيما حكى عن موسى انّه قال:

«واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي آشدد به ازري واشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انّك كنت بنا بصيرا قال: قد أوتيت سؤلك يا موسى ...»[٣].

وقوله تعالى:

«وأخي هارون هو أفصح منّي لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إنّي اخاف أن يكذبون، قال سنشدّ عضدك بأخيك...»[٤].

وقوله تعالى:

«وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ...»[٥].

وفيما أخبر سبحانه عنهما وقال:

«ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا ...»[٦].

وقال:

١) سورة آل عمران ٨٤.
٢) سورة النساء ١٦٣.
٣) سورة طه: الايات ٢٩ ــ ٣٦.
٤) سورة القصص: الاية ٣٣.
٥) سورة الاعراف: الاية ١٤٢.
٦) سورة الفرقان: الاية ٣٥.

«ثمّ أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين...»[١].

في هذه الايات جعل الله هارون ردءاً لموسى ووزيراً وشريكاً في النبوة استخلفه موسى في قومه، فلمّا نصّ خاتم الانبياء أنّ عليا منه بمنزلة هارون من موسى واستثنى من كل ذلك النبوة وأنّه لا نبي بعده، بقي منها للامام علي ردء ووزراة ومشاركة في التبليغ على عهد الرسول (ص)، ومن بعده الخلافة في قومه وحمل أعباء التبليغ، وكذلك الامر مع ولديه الحسنين ونستثني النبوة ممّا كان للاسباط لانّه لا نبي بعد خاتم الانبياء، ويبقى لهما حمل مسؤلية تبليغ الاحكام الاسلامية عن الله.

١) سورة المؤمنون: الاية ٤٥.

بشارات النبي صلّى الله عليه وآله
بظهور المهدي عليه السّلام في آخر الزمان

المهدي عليه السّلام يواطىء اسمه اسم النبي صلّى الله عليه وآله

صحيح الترمذي في باب ما جاء في المهدي عليه السلام وابوداود في كتاب المهدي وغيرهما قال رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم:

«لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطيء اسمه اسمي»[1].

في مستدرك الصحيحين ومسند احمد وغيرهما عن ابي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم:

«لا تقوم الساعة حتى تملأ الارض ظلما وجورا وعدوانا ثم يخرج من اهل بيتي من يملأها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا»[2].

ان المهدي عليه السّلام من اهل بيت النبي صلّى الله عليه وآله

في صحيح ابن ماجه في ابواب الجهاد عن ابي هريرة قال: قال رسول الله صلّى

١) صحيح الترمذي ج ٩ ص ٧٤، ورواه ابوداود في صحيحه في كتاب المهدي ج ٢ ص ٧، وطبعة دار إحياء السنة النبوية (د ـ ت) ج ٤/١٠٦ ـ ١٠٧، ح ٤٢٨٢، وابونعيم في حليته ٥/٧٥، واحمد بن حنبل في مسنده ج ١ ص ٣٧٦، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج ٤ ص ٣٨٨ وكنز العمال (ط. الاولى) ج ٧/١٨٨ بزيادة «وخلقه خلقي». والسيوطي في تفسير سورة محمد صلّى الله عليه وآله في تفسير الآية «فهل ينظرون الا الساعة...» الدر المنثور ج ٦/٥٨.

٢) مستدرك الصحيحين ج ٤/٥٥٧، ورواه ابونعيم في حليته ج ٣ ص ١٠١ باختلاف يسير في اللفظ و حمد بن حنبل في مسنده ج ٣ ص ٣٦ وغيرهم. والسيوطي في تفسير الآيه «فهل ينظرون الا الساعة...» من سورة محمد صلّى الله عليه وآله ج ٦/٥٨.

الله عليه (وآله) وسلم: «لو لم يبق من الدنيا الاّ يوم لطوله الله عزوجل حتى يملك رجل من اهل بيتي، يملك جبل الديلم والقسطنطينية».

وفي صحيح ابن ماجة ــ ايضا ــ في ابواب الفتن في باب خروج المهدي ومسند احمد وغيرهما، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم: «المهدي منا اهل البيت يصلحه الله في ليلة» ورواه آخرون ايضا[١].

وفي مستدرك الصحيحين قال: عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم انّه قال: «المهدي منّا اهل البيت، اشمّ الانف اقنى اجلى يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يعيش هكذا ــ وبسط يساره واصبعين يمينة المسبحة والابهام وعقد ثلاثة» ــ قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ورواه ابوداود ايضا[٢].

المهدي من ولد فاطمة

وفي صحيح ابي داود عن ام سلمة قالت: سمعت رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»[٣].

وفي كنز العمال قال: عن علي عليه السلام قال: «المهدي رجل منّا من ولد فاطمة»[٤].

١) رواه ابونعيم في حليته ج ٣ ص ١٧٧ وزاد فقال: في يومين، ورواه احمد بن حنبل ايضا ج ١ ص ٨٤، وذكر السيوطي في الدر المنثور ج ٦/٥٨ في تفسير سورة محمد (ص) الآية «فهل ينظرون الا الساعة» وقال اخرجه ابن ابي شيبة واحمد وابن ماجة عن علي عليه السلام. كتاب الفتن، باب خروج المهدي ج ٤٠٨٥.

٢) مستدرك الصحيحين ج ٤ ص ٥٥٧، وراه ابوداود في صحيحه ج ٦ ص ١٣٦، كتاب المهدى من سنن ابي داود ج ٤٢٨٥ ج ٤/١٠٧.

٣) كتاب المهدي، ح ٤٢٨٤ ج ٤/٧ باب خروج المهدى من كتاب الفتن ج ٢/١٣٦٨، صحيح ابي داود ج ٧ ص ١٣٤، ورواه ابن ماجه في صحيحه في ابواب الفتن في باب خروج المهدي وقال: المهدي من ولد فاطمة، ورواه الحاكم ايضا في مستدرك الصحيحين ج ٤ ص ٥٥٧ وقال: هو حق ــ يعني المهدي عليه السلام ــ وهو من بني فاطمة وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٤ وقال: المهدي من ولد فاطمة، وذكره السيوطي في الدرّ المنثور في تفسير سورة محمد (ص) من تفسير الآية فهل ينظرون الا الساعة، ج ٦/٥٨ وقال: اخرجه ابوداود وابن ماجة والطبراني والحاكم عن ام سلمة.

٤) كنز العمال ط. الاولى ج ٧ ص ٢٦١.

المهدي من ولد الحسين

وفي ذخائر العقبى عن ابي ايوب الانصاري قال: قال رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم: «يولد منها ــ يعنى الحسن والحسين عليهما السلام ــ مهدي هذه الامة»[١].

وفي ذخائر العقبى ــ ايضا ــ قال: عن حذيفة ان النبي صلّى الله عليه (وآله) وسلم قال: «لو لم يبق من الدنيا الاّ يوم واحد لطوّل ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلا من ولدي اسمه كاسمى، فقال سلمان من اىّ ولدك يا رسول الله؟ قال من ولدي هذا وضرب بيده على الحسين عليه السلام».

* * *

اكد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في رواياته على امامة الامام الاول عليّ بن أبي طالب (ع) اكثر من سائر الائمة وعلى البشارة بآخرهم المهدي وعلى أنّ عددهم اثناعشر لانّه اذا ثبت الاول والآخر والعدد لا يبقى مجال للتشكيك من هم الائمة الذين عددهم اثناعشر واولهم الامام علي وآخرهم المهدي سلام الله عليهم أجمعين.

١) ذخائر العقبى ص ١٣٦.

نصوص على امامة أئمة اهل البيت

النصوص الواردة عن رسول الله (ص) على امامة اهل البيت على الامة من بعده كثيرة، منها ما ورد في حقّ جميع ائمة اهل البيت، واخرى تخصّ بعضهم، ومما ورد في عامّتهم حديث الثقلين.

حديث الثقلين

أ) في حجة الوداع

روى الترمذى عن جابر قال:

رأيت رسول الله في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصوى يخطب فسمعته يقول:

«يا ايّها الناس انّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي».

قال الترمذى وفي الباب عن ابي سعيد وزيد بن ارقم وحذيفة بن اسيد[1].

ب) في غدير خم

في صحيح مسلم ومسند احمد وسنن الدارمي والبيهقي وغيرها واللفظ للاوّل عن زيد بن ارقم قال:

«إنّ رسول الله قام خطيبا بماء يدعى خمّا بين مكة والمدينة... ثمّ قال:

١) الترمذي ١٣/١٩٩ باب مناقب اهل بيت النبي وراجع كنز العمال ١/٤٨.

«الا يا ايّها الناس فانما انا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، واني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به... وأهل بيتي...»[١].

وفي صحيح الترمذى ومسند احمد واللفظ للاوّل:

«انّي تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى، احدهما اعظم من الاخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[٢].

وفي مستدرك الصحيحين:

«كأني قد دعيت فأجبت، انّي تركت فيكم الثقلين احدهما اكبر من الاخر كتاب الله وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض...»[٣].

وفي رواية: ايها الناس انّي تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما، وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي... .

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين[٤].

وقد ورد هذا الحديث بألفاظ أخرى في مسند احمد وحلية الاولياء وغيرهما[٥] عن زيد بن ثابت.

* * *

في الحديث السابق اخبر الرسول في آخر سنة من حياته: أنه بشر، أو شك أن

١) صحيح مسلم باب فضائل علي بن ابي طالب ومسند احمد ٣٦٦/٤، وسنن الدارمي ٤٣١/٢ باختصار، وسنن البيهقي ١٤٨/٢ و٣٠/٧ منه باختلاف يسير في اللفظ. وراجع الطحاوى في مشكل الاثار ٣٦٨/٤.

٢) الترمذى ٢٠١/١٣، واسد الغابة ١٢/٢ في ترجمة الامام الحسن، والدرّ المنثور في تفسير آية المودة من سورة الشورى.

٣) مستدرك الصحيحين وتلخيصه ١٠٩/٣، وخصائص النسائي ص ٣٠، وفي مسند احمد ١٧/٣: «انّي اوشك ان ادعى فأجيب وفي ص ١٤ و ٢٦ و ٥٩ منه اكثر تفصيلا، وطبقات ابن سعد ٢ ق ٢/٢ وكنز العمال ٤٧/١ و ٤٨ وفي ٩٧ موجزاً.

٤) مستدرك الصحيحين ١٠٩/٣ بطريقين وقريب منه ما في ١٤٨/٣.

٥) مسند احمد ٣٦٧/٤ و ٣٧١ وفي ١٨١/٥، وتاريخ بغداد للخطيب ٤٤٢/٨، وحلية الاولياء ٣٥٥/١ و ٦٤/٩، وأسد الغابة ١٤٧/٣، ومجمع الزوائد للهيثمي ١٦٣/٩ و ١٦٤.

يأتيه رسول ربّه، ويدعى فيجيب ويلتحق بربه، وقال: «انّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الاخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يرد اعليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما.»

قاله مرة في عرفة واخرى في غدير خمّ، وهذا النصّ من رسول الله في تعيين مرجع الأمّة من بعده عمّ جميع الائمة من عترته، وفي الروايات التالية.

نصّ الرسول (ص) على عددهم:

حديث عدد الائمة:

أخبر الرسول أن عدد الائمة الذين يلون من بعده اثناعشر كما روى عنه ذلك اصحاب الصحاح والمسانيد الاتية:

أ) روى مسلم عن جابر بن سمرة أنه سمع النبيّ يقول:

«لا يزال الدين قائما حتّى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثناعشر خليفة كلّهم من قريش».

وفي رواية: «لايزال أمر الناس ماضيا...».

وفي حديثين منها: «الى اثني عشر خليفة...».

وفي سنن ابي داود «حتّى يكون عليكم اثناعشر خليفة».

وفي حديث: «الى اثني عشر»[1].

وفي البخاري، قال: «سمعت النبي (ص) يقول: يكون اثناعشر اميرا فقال كلمة لم اسمعها. فقال أبي، قال: كلّهم من قريش».

وفي رواية: «ثمّ تكلم النبي (ص) بكلمة خفيت عليّ فسألت أبي ماذا قال

١) صحيح مسلم ج ٣/٦ ــ ٤ بباب (الناس تبع لقريش من كتاب الامارة) واخترنا هذا اللفظ من الرواية لأن جابر كان قد كتبها، وفي صحيح البخارى ج ١٦٥/٤، كتاب الاحكام، وصحيح الترمذى باب ما جاء في الخلفاء من ابواب الفتن، وسنن أبي داود ج ١٠٦/٣، كتاب المهدي، ومسند الطيالسي الحديث ٧٦٧ و ١٢٧٨، ومسند احمد ج ٨٦/٥ ــ ٩٠ و ٩٢ ــ ١٠١ و ١٠٦ ــ ١٠٨، وكنز العمال ٢٦/١٣ ــ ٢٧، وحلية أبي نعيم ٣٣٣/٤ وجابر بن سمرة بن جنادة العامري ثمّ السوائي، ابن اخت سعد بن أبي وقاص، وحليفهم مات بالكوفة بعد السبعين، وروى عنه اصحاب الصحاح ١٤٦ حديثا، ترجمته بأسد الغابة وتقريب التهذيب وجوامع السير، ص ٢٧٧.

رسول الله (ص)؟ فقال: كلهم من قريش.»[١].

وفي رواية: «لاتضرهم عداوة من عاداهم»[٢].

ب) وفي رواية: «لاتزال هذه الأمة مستقيما أمرها، ظاهرة على عدوّها، حتّى يمضي منهم اثناعشر خليفة كلّهم من قريش، ثمّ يكون المرج أو الهرج»[٣].

ج) وفي رواية: «يكون لهذه الأمة اثناعشر قيمًا لا يضرهم من خذلهم كلّهم من قريش»[٤].

د) «لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثناعشر رجلا»[٥].

هـ) وعن أنس: «لن يزال هذا الدين قائما الى اثني عشر من قريش فاذا هلكوا ماجت الارض باهلها»[٦].

و) وفي رواية: «لا يزال أمر هذه الأمة ظاهرا حتّى يقوم اثناعشر كلّهم من قريش»[٧].

ز) وروى احمد والحاكم وغيرهم واللفظ للاوّل عن مسروق قال: «كنا جلوسا ليلة عند عبدالله (ابن مسعود) يقرئنا القرآن، فسأله رجل فقال: يا أبا عبدالرحمن هل سألتم رسول الله (ص) كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبدالله: ما سألني عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك، قال: سألناه فقال: اثناعشر عدّة نقباء بني اسرائيل.»[٨].

١) فتح الباري ٣٣٨/١٦، ومستدرك الصحيحين ٦١٧/٣.

٢) فتح الباري ٣٣٨/١٦.

٣) منتخب الكنز ٣١٢/٥، تاريخ ابن كثير ٢٤٩/٦، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠، كنز العمال ٢٦/١٣، الصواعق المحرقة ص ٢٨.

٤) كنز العمال ٢٧/١٣، ومنتخبه ٣١٢/٥.

٥) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠٢/١٢، الصواعق المحرقة ص ١٨، وتاريخ الأسلام للسيوطي ص ١٠.

٦) كنز العمال ٢٧/١٣.

٧) كنز العمال ٢٧/١٣ عن ابن النجار.

٨) مسند احمد ٣٩٨/١ و ٤٠٦ قال احمد شاكر في هامش الاول اسناده صحيح ومستدرك الحاكم وتلخيصه للذهبي ٥٠١/٤ وفتح الباري ٣٣٩/١٦ مختصرا، ومجمع الزوائد ١٩٠/٥، والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٢، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠، والجامع الصغير له ٧٥/١، وكنز العمال للمتقي ج ٢٧/١٣، وقال اخرجه الطبراني ونعيم بن حمّاد في الفتن، وفيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ٤٥٨/٢، واورد الخبرين ابن كثير في تاريخه عن ابن مسعود باب ذكر الائمة الاثني عشر الذين كلّهم من قريش ٢٤٨/٦ ــ ٢٥٠.

ح) وفي رواية قال ابن مسعود قال رسول الله:

«يكون بعدى من الخلفاء عدّة اصحاب موسى»[١].

قال ابن كثير: «وقد روى مثل هذا عن عبدالله بن عمر وحذيفة وابن عباس»[٢]. ولست أدرى هل قصد من رواية ابن عباس ما رواه الحاكم الحسكاني عن ابن عباس أو غيره.

نصّت الروايات الآنفة أنّ عدد الولاة اثناعشر وأنهم من قريش، وقد بيّن الامام علي في كلامه المقصود من قريش وقال:

«انّ الائمة من قريش في هذا البطن من هاشم لاتصلح على سواهم ولا يصلح الولاة من غيرهم»[٣]. وقال:

«اللهمّ بلى لا تخلو الارض من قائم لله لحجّة امّا ظاهرا مشهورا أو خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته...»[٤].

وقال ابن كثير:

«وفي التوراة التي بأيدى أهل الكتاب ما معناه: أنّ الله تعالى بشّر ابراهيم باسماعيل وأنّه ينميه ويكثره ويجعل من ذريته اثني عشر عظيما».

وقال: «قال ابن تيمية: وهؤلاء المبشر بهم في حديث جابر بن سمرة وقرّر أنهم يكونون مفرّقين في الأمّة ولا تقوم الساعة حتّى يوجدوا».

وغلط كثير ممّن تشرف بالاسلام من اليهود فظنوا أنهم الذين تدعو اليهم فرقة الرافضة فأتبعوهم[٥].

قال المؤلف:

و البشارة المذكورة، أعلاه في سفر التكوين الاصحاح (١٧ / الرقم: ١٨ ــ ٢٠).

١) ابن كثير ٦/٢٤٨، و كنز العمال ١٣/٢٧، وراجع شواهد التنزيل للحسكاني ج ١/٤٥٥، ح ٦٢٦.

٢) ابن كثير ٦/٢٤٨.

٣) نهج البلاغة الخطبة ١٤٢.

٤) ينابيع المودة للشيخ سليمان الحنفي في الباب المائة ص ٥٢٣، وراجع احياء العلوم للغزالي ج ١/٥٤، وفي حلية الاولياء ١/٨٠ بايجاز.

٥) تاريخ ابن كثير ٦/٢٤٩ ــ ٢٥٠.

خلاصة الاحاديث الآنفة

نستلخص ممّا سبق ونستنتج: أنّ عدد الائمة في هذه الامّة اثناعشر على التوالي، وانّ بعد الثاني عشر منهم ينتهي عمر هذه الدنيا.

فقد ورد في الحديث الاوّل:

«لا يزال هذا الدين قائما حتّى تقوم الساعة او يكون عليكم اثناعشر خليفة...».

فان هذا الحديث يعين مدة قيام الدين ويحددها بقيام الساعة ويعين عدد الائمة في هذه الامّة باثني عشر شخصا.

وفي الحديث الخامس:

«لن يزال هذا الدين قائما الى اثني عشر من قريش فاذا هلكوا ماجت الارض بأهلها».

ويدل هذا الحديث على تأبيد وجود الدين بامتداد الاثني عشر وأن بعدهم تموج الارض».

وفي الحديث الثامن: حصر عددهم باثني عشر بقوله:

«يكون بعدى من الخلفاء عدّة اصحاب موسى».

ويدل هذا الحديث على انّه لا خليفة بعد الرسول عدا الاثني عشر.

وأنّ الفاظ هذه الروايات المصرحة بحصر عدد الخلفاء بالاثني عشر وأنّ بعدهم يكون الهرج وتموج الارض وقيام الساعة تبين الفاظ الاحاديث الاخرى التي قد لايفهم من الفاظها هذا التصريح.

وبناءاً على هذا لابدّ ان يكون عمر احدهم طويلا خارقاً للعادة في اعمار البشر كما وقع فعلاً في مدة عمر الثاني عشر من الائمة أوصياء النبي (ص).

حيرتهم في تفسير الحديث

لقد حار علماء مدرسة الخلفاء في بيان المقصود من الاثني عشر في الروايات المذكورة وتضاربت اقوالهم.

فقد قال ابن العربي في شرح سنن الترمذي:

«فعددنا بعد رسول الله (ص) اثني عشر اميرا فوجدنا ابابكر. عمر. عثمان. علي. الحسن. معاوية. يزيد. معاوية بن يزيد. مروان. عبدالملك بن مروان. الوليد. سليمان. عمر بن عبد العزيز. يزيد بن عبدالملك. مروان بن محمد بن مروان. السفاح...».

ثم عدّ بعده سبعا وعشرين خليفة من العباسين الى عصره، ثمّ قال:

«واذا عددنا منهم اثنى عشر انتهى العدد بالصورة الى سليمان واذا عددناهم بالمعني كان معنا منهم خمسة، الخلفاء الأربعة وعمر بن عبدالعزيز ولم أعلم للحديث معنى.»[١].

وقال القاضي عياض في جواب القول: أنّه ولي اكثر من هذا العدد:

«هذا اعتراض باطل، لأنه (ص) لم يقل: لايلي الا اثناعشر، وقد ولي هذا العدد، ولا يمنع ذلك من الزيادة عليهم»[٢].

ونقل السيوطي في الجواب:

«أنّ المراد: وجود اثناعشر خليفة في جميع مدة الاسلام الى القيامة يعملون بالحق وان لم يتوالوا.»[٣].

وفي فتح الباري:

«وقد مضى منهم الخلفاء الاربعة ولابدّ من تمام العدة قبل قيام الساعة»[٤].

وقال ابن الجوزي:

«وعلى هذا فالمراد من (ثمّ يكون الهرج): الفتن المؤذنة بقيام الساعة من خروج الدجال وما بعده»[٥].

قال السيوطي:

«وقد وجد من الاثني عشر الخلفاء الاربعة والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبدالعزيز، هؤلاء ثمانية، ويحتمل ان يضم اليهم المهدى العباسي لانّه في العباسيين كعمر بن عبدالعزيز في الامويين، والظاهر العباسي ايضا لما أوتيه من العدل ويبقى

١) شرح ابن العربي على صحيح الترمذي ٦٨/٩ ــ ٦٩.

٢) شرح النووي على مسلم ٢٠١/١٢ ــ ٢٠٢ وفتح الباري ٣٣٩/١٦ واللفظ منه وكرره في ص ٣٤١.

٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٢.

٤ و ٥) فتح الباري ٣٤١/١٦، وتاريخ السيوطي ص ١٢.

الاثنان المنتظران احدهما المهدي لانّه من أهل البيت»[١].

وقيل:

«المراد: ان يكون الاثناعشر في مدة عزة الخلافة وقوة الاسلام واستقامة اموره، ممّن يعزّ الاسلام في زمنه، ويجتمع المسلمون عليه»[٢].

وقال البيهقي:

«وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة الى وقت الوليد بن يزيد بن عبدالملك ثمّ وقع الهرج والفتنة العظيمة ثمّ ظهر ملك العباسية، وانما يزيدون على العدد المذكور في الخبر، اذا تركت الصفة المذكورة فيه، أوعدّ منهم من كان بعد الهرج المذكور»[٣].

وقالوا:

والذين اجتمعوا عليه: الخلفاء الثلاثة ثمّ علي الى ان وقع امر الحكمين في صفين فتسمّى معاوية يومئذ بالخلافة، ثمّ اجتمعوا على معاوية عند صلح الحسن، ثمّ اجتمعوا على ولده يزيد ولم ينتظم للحسين أمر بل قتل قبل ذلك، ثمّ لمّا مات يزيد اختلفوا الى أن اجتمعوا على عبدالملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير، ثمّ اجتمعوا على اولاده الاربعة: الوليد ثمّ سليمان ثمّ يزيد، ثمّ هشام، وتخلل بين سليمان ويزيد عمر بن عبدالعزيز، والثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبدالملك اجتمع الناس عليه بعد هشام تولى اربع سنين[٤].

بناء على هذا فان خلافة هؤلاء الاثنى عشر كانت صحيحة لاجماع المسلمين عليهم وكان الرسول قدبشّرَ المسلمين بخلافتهم له في حمل الاسلام الى الناس.

قال ابن حجر عن هذا الوجه: «انّه أرجح الوجوه».

وقال ابن كثير:

«انّ الذي سلكه البيهقي ووافقه عليه جماعة من أن المراد هم الخلفاء المتتابعون الى زمن الوليد بن يزيد بن عبدالملك الفاسق الذي قدمنا الحديث فيه بالذم والوعيد فانّه

١) الصواعق المحرقة ص ١٩، وتاريخ السيوطي ص ١٢. وعلى هذا يكون لاتباع مدرسة الخلفاء، امامان منتظر ان أحدهما المهدي في مقابل منتظر واحد لاتباع مدرسة أهل البيت.

٢) اشار اليه النووي في شرح مسلم ٢٠٢/١٢ ــ ٢٠٣، وذكره ابن حجر في فتح الباري ٣٣٨/١٦ ــ ٣٤١ والسيوطي في تاريخه ص ١٢.

٣) نقله ابن كثير في تاريخه ٢٤٩/٦ عن البيهقي.

٤) تاريخ الخلفاء ص ١١، والصواعق ص ١٩، وفتح الباري ٣٤١/١٦.

مسلك فيه نظر، وبيان ذلك انّ الخلفاء الى زمن الوليد بن يزيد هذا اكثر من اثنى عشر على كلّ تقدير، وبرهانه انّ الخلفاء الاربعة، ابوبكر وعمر وعثمان وعلى خلافتهم محققة... ثمّ بعدهم الحسن بن على كما وقع لانّ عليا أوصى اليه، وبايعه أهل العراق... حتّى اصطلح هو ومعاوية... ثمّ ابنه يزيد بن معاوية ثمّ ابنه معاوية بن يزيد، ثمّ مروان بن الحكم ثمّ ابنه عبدالملك بن مروان ثمّ ابنه الوليد بن عبدالملك، ثم سليمان بن عبدالملك، ثمّ عمر بن عبدالعزيز، ثمّ يزيد بن عبدالملك، ثمّ هشام بن عبدالملك، فهؤلاء خمسة عشر، ثمّ الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فان اعتبرنا ولاية ابن الزبير قبل عبدالملك صاروا ستة عشر، وعلى كلّ تقدير فهم اثناعشر قبل عمر بن عبدالعزيز، وعلى هذا التقدير يدخل في الاثني عشر يزيد بن معاوية ويخرج عمر بن عبدالعزيز، الذي اطبق الائمة على شكره وعلى مدحه وعدوّه من الخلفاء الراشدين، واجمع الناس قاطبة على عدله، وانّ ايّامه كانت من أعدل الايام حتّى الرافضة يعترفون بذلك، فان قال: أنا لا اعتبر الاّ من اجتمعت الامّة عليه لزمه على هذا القول ان لا يعدّ علي بن ابي طالب ولا ابنه، لانّ الناس لم يجتمعوا عليهما وذلك انّ أهل الشام بكاملهم لم يبايعوهما.

وذكر:

أنّ بعضهم عدّ معاوية وابنه يزيد وابن ابنه معاوية بن يزيد، ولم يقيد بأيام مروان ولا ابن الزبير، لأنّ الامة لم تجتمع على واحد منهما، فعلى هذا نقول في مسلكه هذا عاد للخلفاء الثلاثة، ثمّ معاوية، ثمّ يزيد، ثمّ عبدالملك، ثمّ الوليد بن سليمان، ثمّ عمر بن عبدالعزيز، ثمّ يزيد، ثمّ هشام، فهؤلاء عشرة، ثمّ من بعدهم الوليد بن يزيد بن عبدالملك الفاسق، ويلزمه منه اخراج علي وابنه الحسن وهو خلاف ما نصّ عليه أئمة السنة بل الشيعة[1].

ونقل ابن الجوزي في «كشف المشكل» وجهين في الجواب:

اولا:

«انّه (ص) اشار في حديثه الى ما يكون بعده وبعد اصحابه، وان حكم اصحابه مرتبط بحكمه، فأخبر عن الولايات الواقعة بعدهم فكأنّه اشار بذلك الى عدد الخلفاء من بني امية، وكأنّ قوله: «لا يزال الدين» اى الولاية الى أن يلي اثناعشر

١) تاريخ ابن كثير ٦/٢٤٩ ــ ٢٥٠.

خليفة، ثمّ ينتقل الى صفة أخرى أشد من الاولى، واوّل بني أمية يزيد بن معاوية واخرهم مروان الحمار، وعدتهم ثلاثة عشر، ولا يعد عثمان ومعاوية ولا ابن الزبير لكونهم صحابة، فاذا أسقطنا منهم مروان بن الحكم للاختلاف في صحبته، أو لانّه كان متغلبا بعد ان اجتمع الناس على عبدالله بن الزبير صحت العدّة، وعند خروج الخلافة من بني أمية وقعت الفتن العظيمة والملاحم الكثيرة حتّى استقرت دولة بني العباس، فتغيرت الاحوال عما كانت عليه تغييراً بيّنا»[١].

وقد ردّ ابن حجر في «فتح الباري» على هذا الاستدلال.

ونقل ابن الجوزي الوجه الثاني عن الجزء الذي جمعه ابوالحسين بن المنادى في المهدي، وأنّه قال:

«يحتمل أن يكون هذا بعد المهدي الذي يخرج في آخر الزمان، فقد وجدت في كتاب دانيال: اذا مات المهدي ملك بعده خمسة رجال من ولد السبط الاكبر، ثمّ خمسة من ولد السبط الاصغر، ثمّ يوصي آخرهم بالخلافة لرجل من ولد السبط الاكبر، ثمّ يملك بعده ولده فيتم بذلك اثناعشر ملكا كلّ واحد منهم امام مهدي، قال: وفي رواية... ثمّ يلي الامر بعده اثناعشر رجلا: ستة من ولد الحسن وخمسة من ولد الحسين، وآخر من غيرهم، ثمّ يموت فيفسد الزمان.»

علق ابن حجر على الحديث الاخير في صواعقه وقال:

«انّ هذه الرواية واهية جدا فلا يعول عليها.»[٢]

وقال قوم:

«يغلب على الظن انّه عليه الصلاة والسلام اخبر ــ في هذا الحديث ــ باعاجيب تكون بعده من الفتن حتّى يفترق الناس في وقت واحد على اثني عشر أميرا، ولو اراد غير هذا لقال: يكون اثناعشر أميرا يفعلون كذا فلمّا أعراهم عن الخبر عرفنا أنّه أراد انهم يكونون في زمن واحد...»[٣].

قالوا:

«وقد وقع في المائة الخامسة، فانّه كان في الاندلس وحدها ستة أنفس كلّهم

١) فتح الباري ١٦/٣٤٠.
٢) فتح الباري ١٦/٣٤١، والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٩.
٣) فتح الباري ١٦/٣٣٨.

يتسمّى بالخلافة ومعهم صاحب مصر والعباسية ببغداد الى من كان يدعى الخلافة في اقطار الارض من العلوية والخوارج»[١].

قال ابن حجر:

«وهو كلام من لم يقف على شئ من طرق الحديث غير الرواية التي وقعت في البخاري هكذا مختصرة...»[٢].

وقال:

«انّ وجودهم في عصر واحد يوجد عين الافتراق فلا يصح ان يكون المراد»[٣].

* * *

في الاحاديث السابقة ونظائرها نصّ رسول الله على مرجع الامّة من بعده وانّهم عترته أهل بيته وأنّ عددهم اثناعشر.

١) شرح النووي ٢٠٢/١٢، وفتح الباري ٣٣٩/١٦، واللفظ للاخير.

٢) فتح الباري ٣٣٨/١٦.

٣) فتح الباري ٣٣٩/١٦.

الفصل الرابع

خلاصة بحث الامامة لدى المدرستين

الواقع التاريخي لاقامة الخلافة في صدر الاسلام

ينبغي أن ندرس الواقع التاريخي لاقامة الخلافة قبل البدء بعرض أراء المدرستين في الخلافة والامامة.

بداية الامر:

عقد رسول الله في مرض وفاته لواء بيده لمولاه أسامة بن زيد وأمره على جيش فيه المهاجرين والانصار، مثل أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسعد بن أبي وقاص، فعسكر بالجرف وغضب عليهم لما تكلموا في تأميره أسامة عليهم وقال: انه لخليق بالامارة، فذهبوا الى معسكرهم وثقل رسول الله فجاء أسامة وودعه، وقال الرسول انفذوا بعث أسامة، وفي ما هموا بالرحيل يوم الاثنين جاءهم الخبر أن الرسول قد حُضر[1]، فأقبلوا الى المدينة، وحضروا في بيت الرسول فقال هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا. فقال عمر انّ النبي غلبه الوجع وعندكم كتاب الله، فحسبنا كتاب الله، فلما أكثروا اللغط والاختلاف قال: قوموا عني، لا ينبغي عند نبي التنازع.

قال ابن عباس: فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي التنازع، فقالوا هجر رسول الله، وبكى ابن عباس حتى خضب دمعه الحصباء.

موقف الخليفة عمر:

توفي الرسول وأبوبكر غائب بالسنح فأخذ عمر يقول: ما مات رسول الله

١) حُضِرَ: حضره الموت.

ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى وغاب عن قومه أربعين ليلة، والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال يزعمون انه مات. وقال: من قال انه مات علوت رأسه بسيفي، فتلوا عليه الاية «وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على أعقابكم».

وقال له العباس: ان رسول الله قد مات، هل عند أحدكم عهد من رسول الله في وفاته فليحدثنا.

لم ينته عمر من كلامه وتهديده حتى ازبد شدقاه، ولما أقبل الخليفة أبوبكر وتلا الاية سكت عمر.

سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر

اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة وجثمان رسول الله (ص) بين أهله يغسلونه، وأخرجوا سعد بن عبادة ــ وكان مريضا ــ فذكر سابقة الانصار وقال: استبدوا بهذا الأمر، فأجابوا قد وفقت في الرأي ولن نعدو ما رأيت، نوليك هذا الأمر، فسمع بذلك أبوبكر وعمر فأسرعا مع جماعتهم الى السقيفة، وذكر أبوبكر سابقة المهاجرين وقال: هم أولياؤه وعشيرته وأحقّ الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك الا ظالم.

فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الأنصار أملكوا عليكم أمركم، فان الناس في فيئكم ولن يجترىء مجترىء على خلافكم فان أبى هؤلاء الا ما سمعتم، فمنا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر: هيهات لا يجتمع اثنان في قرن... لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم.

وهدد أحدهما الاخر بالقتل.

فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع الا عليا، فتخوف عمر من الاختلاف وقال لأبي بكر ابسط يدك أبايعك وسبقه بشير بن سعد وبايع فناداه الحباب بن المنذر: عققت عقاق أنفست على ابن عمك الامارة؟

وبايع عمر وأبوعبيدة، وقالت الأوس لئن وليتها الخزرج مرة لازالت لهم الفضيلة عليكم وما جعلوا لكم فيها نصيبا، فبايعوا أبا بكر، فانكسر على سعد بن عبادة

والخزرج وكادوا يطؤون سعد بن عبادة، فقال أصحابه اتقوا سعدا لا تطؤوه.

فقال عمر: اقتلوه قتله الله.

ثم قام على رأسه فقال لقد هممت أن أطأك حتى تندرّ[1] عضُوك فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر فقال والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة.

فقال أبوبكر: مهلا يا عمر الرفق هاهنا أبلغ، فأعرض عنه عمر.

فحمل سعد الى بيته.

وأخرج أبوبكر من السقيفة، وجاءت قبيلة أسلم فبايعت فانتصر بهم أبوبكر، وأقبلت الجماعة تزفه الى مسجد رسول الله فصعد المنبر، وشغلوا عن دفن رسول الله حتى كان يوم الثلاثاء، فجاؤا الى المسجد ثانية فجلس أبوبكر على منبر رسول الله ووقف عمر وقال: ان قوله بالامس لم يكن من كتاب الله ولا عهدا من رسوله ولكنّه كان يرى أن الرسول صلّى الله عليه وآله سيدبر أمرهم ويكون آخرهم، وان الله أبقى فيهم القرآن يهتدون به وقد جمع أمركم على صاحب رسول الله، قوموا فبايعوه، فبايعه الناس عندئذ بعد بيعة السقيفة ثم خطب أبوبكر فقال قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني...

شغلوا عن رسول الله بقية الاثنين وليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء، وصلى المسلمون على رسول الله زمرا زمرا، وخلى أصحاب رسول الله بين جثمانه وبين أهله، فولوا أجنانه[2] ولم يشهد أبوبكر وعمر غسل الرسول صلّى الله عليه وآله وتكفينه ودفنه.

قالت عائشة: ما علمنا بدفن الرسول حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل.

وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والانصار وبني هاشم ومالوا مع علي بن أبي طالب.

فذهبوا الى العباس ليستميلوه فجابههم بالرد.

وتحصن في دار فاطمة جماعة من بني هاشم وجمع من المهاجرين والانصار، فبعث اليهم أبوبكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة وقال له: ان أبوا فقاتلهم. فأقبل بقبس نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيتهم فاطمة فقالت يا بن

١) تندر عضوك: حتى تسقط اعضاؤك.

٢) تولوا دفنه.

الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟ قال: نعم أو تدخلوا في ما دخلت فيه الامة.

واليه أشار أبوبكر في مرض موته حين قال:

«أما اني لا آسي على شيء في الدنيا الا على ثلاث فعلتهن وددت اني لم أفعلهن... فوددت أني لم أكشف عن بيت فاطمة ولو أغلق على حرب...»

ثم ان علياً حمل فاطمة ليلا الى بيوت الانصار يسألهم النصرة وتسألهم فاطمة الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو كان ابن عمك سبق الينا أبابكر ما عدلنا به، فيقول علي: أفكنت أترك رسول الله (ص) في بيته لم أجهزه وأخرج الى الناس أنازعهم في سلطانه؟ وتقول فاطمة ما صنع أبوالحسن الا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسبهم.

وكان معاوية يعير أميرالمؤمنين عليا بهذا الموقف ويقول: «وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلا على حمار ويداك في يدي ابنيك الحسن والحسين يوم بويع أبوبكر الصديق، فلم تدع أحدا من أهل بدر والسوابق الا دعوتهم الى نفسك ومشيت اليهم بامرأتك وأدللت اليهم بابنيك واستنصرتهم على صاحب رسول الله... فلم يجبك منهم الا أربعة أو خمسة... ومهما نسيت فلا أنسى قولك لابي سفيان لما حركك وهيّجك: لو وجدت أربعين ذوي عزم لناهضتهم.

وروى البخاري مادار بين ابنة رسول الله صلّى الله عليه وآله وأبي بكر وقال:

فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى توفيت بعد ستة أشهر، ودفنها زوجها ولم يؤذن بها أبابكر، وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة فلما توفيت انصرفت وجوه الناس عن علي فلم يبايع علي ستة أشهر ولا أحد من بني هاشم حتى بايعه علي، فلما رأى علي انصراف وجوه الناس عنه ضرع الى مصالحة أبي بكر.

وقال البلاذري ولم يخرج أحد الى قتال العدو قبل أن يبايع علي.

وممن تخلف عن بيعة أبي بكر: فروة بن عمرو، وخالد وأبان وعمر بنوسعيد الاموي، فلما بايع بنوهاشم بايعوا.

وسعد بن عبادة لم يبايع، وأشار الانصار أن يتركوه فانه لا يبايع حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته فتركوه، فقال له عمر في أول خلافته من كره جوار جار تحول عنه، فذهب الى الشام، فبعث عمر رجلا، فقال: ادعه الى البيعة واحتل له فان أبى فاستعن الله عليه، فذهب الرجل الى الشام

ووجد سعدا بحوارين من قرى حلب فدعاه الى البيعة فأبي فرماه بسهم فقتله.

بيعة عمر

لما حضر[١] أبوبكر دعا عثمان خاليا فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبوبكر بن أبي قحافة الى المسلمين، أما بعد ــ فأغمي عليه ــ فكتب عثمان: فاني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيرا، ثم أفاق أبوبكر فقرأها عليه فأقرها أبوبكر.

ثم جاء عمر مع الكتاب الى مسجد الرسول (ص) وقال للناس: اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله (ص) انه يقول: اني لم آلكم نصحا.

وهكذا بايع الناس عمر.

الشورى وبيعة عثمان

لما طعن عمر قيل له: لواستخلفت، قال: لوكان سالم حيا لاستخلفته، ولو كان أبوعبيدة حيا لاستخلفته، ثم قال: لاجعلنها شورى بين ستة، وعينهم من قريش، وولى أبوطلحة زيد بن سهل الخزرجي على خمسين من الانصار، وأمر صهيبا أن يصلي بالناس ثلاثة أيام، فاذا انتهت الايام الثلاثة واتفقوا على واحد فليضرب أبوطلحة عنق الذي يخالف، وان اجتمع ثلاثة على رجل وثلاثة على رجل كانوا مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف، وان صفق عبدالرحمن باحدى يديه على الاخرى، عليهم أن يتبعوه ومن أبى ضربوا عنقه، فلما توفي الخليفة قال عبدالرحمن: اني أخرج نفسي منها وسعدا على أن أختار أحدكم فأجابوا الا عليا وأحلف عبدالرحمن أن لايميل الى هوى وأن يؤثر الحق وأن لايحابي ذا قرابة، فحلف له فقال: اختر مسددا.

ثم اجتمعوا في مسجد الرسول فمد يده الى علي وقال:

امدد يدك أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين، فقال: أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت.

ثم مديده الى عثمان فوافق على ذلك.

ثم مديده الى علي فقال مثل مقالته الاولي فأجابه مثل الجواب الاول.

ثم قال لعثمان مثل المقالة الاولى فأجابه مثل ما كان أجابه، ثم اتجه الى علي

١) حضر: حضرته الوفاة.

فقال له مثل المقالة الاولى.

فقال الامام على ان كتاب الله وسنة نبيه لا يحتاج معهما الى طريقة أحد، أنت مجتهد أن تزوي هذا الامر عني.

فاتجه عبد الرحمن الى عثمان وأعاد عليه القول فأجا به مثل بذلك الجواب، فصفق على يده وبايعه، فقال الامام علي لعبد الرحمن حبوته حبوة دهر، ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، والله ما وليت عثمان الا ليرد الامر اليك، والله كل يوم في شأن.

وبايع أصحاب الشورى عثمان، وكان علي قائما فخرج مغضبا فقال له عبد الرحمن بايع والا ضربت عنقك، ولم يكن يومئذ سيف مع أحد، ولحقه أصحاب الشورى فقالوا: بايع والا جاهدناك ، فأقبل معهم حتى بايع عثمان.

بيعة الامام علي

لما قتل عثمان ورجع الى المسلمين أمرهم وانحلوا من كل بيعة سابقة تهافتوا على الامام علي، اجتمع المهاجرون والانصار فيهم طلحة والزبير فاتوا عليا فقالوا: هلم نبايعك فقال: لا حاجة لي في امركم انا معكم، إنْ اخترتم فقد رضيت به فقالوا: والله ما نختار غيرك فاختلفوا اليه مرارا ثم أتوه في آخر ذلك فقالوا: انه لا يصلح الناس الا بامرة وقد طال الامر «لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك، قال ففي المسجد فان بيعتي لا تكون خفيا ولا تكون الا عن رضى المسلمين، فاجتمعوا في المسجد يهرعون اليه، واول من صعد اليه فبايعه طلحة ثم تتابع المهاجرون والانصار ثم سائر الناس فبايعوا عليا.

* * *

بعد هذا العرض ندرس في ما يأتي اراء المدرستين في امر الامامة والخلافة.

أقوال مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة

اولا ــ الخليفة ابوبكر، قال يوم السقيفة: لن يعرف هذا الامر الا لهذا الحي من قريش هم اوسط العرب نسبا ودارا وقال: رضيت لكم عمر وأبا عبيدة فبايعوا ايهما شئتم[1].

وفي رواية قال:

هم اولياؤه وعشيرته واحق الناس بهذا الامر من بعده ولا ينازعهم ذلك الاظالم[2].

ثانيا ــ قال عمر في السقيفة مخاطبا للانصار:

«والله لاترضى العرب ان يؤمروكم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لاتمتنع ان تولي امرها من كانت النبوة فيهم وولي امورهم منهم، ولنا بذلك على من ابىٰ الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وامارته ونحن اولياؤه وعشيرته الا مدل بباطل او متجانف لاثم او متورط في هلكة؟[3]

وقال في آخر شهر من عمره عندما بلغه ان احدهم يقول:

لوقد مات امير المؤمنين بايعت فلانا.

١) البخاري، كتاب الحدود، باب: رجم الحبلى، ١٢٠/٤.
٢) تاريخ الطبري، ط / اوروبا، ج ١٨٤٠/١.
٣) تاريخ الطبري، ط / اوروبا، ج ١٨٤١/١.

فقال عمر:

«من بايع رجلا من المسلمين على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرّة أن يقتلا»[١].

وقال عند ما طعن وعين الستة للشورى:

لو أدركني أحد رجلين فجعلت هذا الامر اليه لوثقت به، سالم مولى أبي حذيفة، وأبي عبيدة الجراح[٢].

وقال:

لو كان سالم حيا ما جعلتها شورى[٣].

ثالثا ــ أتباع مدرسة الخلفاء قالوا:

تنعقد الامامة بعهد الامام من قبل لان أبا بكر عهد بها لعمر ولم تتوقف على رضا الصحابة، وتنعقد أيضاً باختيار أهل الحل والعقد واختلفوا في عددهم، فمن قائل تنعقد ببيعة خمسة لان الذين بايعوا أبا بكر ايضاً كانوا خمسة، ولان عمر جعلها في ستة ليبايع خمسة منهم السادس.

وقال الاكثر منهم تنعقد بواحد، لان العباس قال لعلي امدد يدك أبايع ولانه حكم، وحكم حاكم واحد نافذ.

وقالوا:

«ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين فلا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الاخر ان يبيت ولا يراه اماما برا كان أو فاجرا فهو أمير المؤمنين.

ورووا أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: تسمع وتطيع للامير وان ضرب ظهرك وأخذ مالك.

وان الخليفة لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك بل يجب وعظه وتخويفه للاحاديث الواردة بذلك.

كانت هذه أراء أتباع مدرسة الخلافة وينبغي لنا أن ندرس المصطلحات التي

١) البخاري، باب رجم الحبلى، ٤/١٢٠.

٢) طبقات ابن سعد ٣/٣٤٣.

٣) بترجمة سالم من الاستيعاب واسد الغابة ٢/٢٤٦.

تدور في هذا البحث أولا ثم نناقش الاراء المذكورة.

تعريف المصطلحات

اوّلا : الشورى

التشاور والمشاورة في لغة العرب: استخراج الرأي بمراجعة البعض البعض الاخر وبهذا المعنى ورد في قوله تعالى «وأمرهم شورى بينهم» أي يتشاورون في أمورهم فالكلمة ليست مصطلحا شرعيا.

ثانيا : البيعة

أ) البيعة في لغة العرب: الصفقة على ايجاب البيع، وصفق يده وعلى يده بالبيعة والبيع: ضرب بيده على يده عند وجوب البيع، وتصافقوا: تبايعوا.

وكانت العرب تعقد الحلف والعهد بأساليب مختلفة، مثل انهم كانوا يضعون أيديهم في جفنة مملوءة طيبا ويتعاهدون على أمر، أو في جفنة مملوءة دما.

ب) البيعة في الاسلام علامة على معاهدة المبايع المبايع له أن يبذل له الطاعة في ما تقر بينهما ويقال بايعه عليه مبايعة أي عاهده عليه، قال الله تعالى «والذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم...».

وأول بيعة أخذها رسول الله من المسلمين في العقبة الاولى كانت على الاسلام.

والثانية: البيعة الثانية الكبرى أيضا بالعقبة بايعهم على الحرب لاقامة المجتمع الاسلامي، وسميت البيعة الاولى بيعة النساء لان البيعة كانت على الاسلام دونما قتال.

والبيعة الثالثة: أخذها تحت الشجرة في الحديبية عندما ندب الناس الى العمرة، فخرجوا محرمين للعمرة، ولما صدتهم قريش عن البيت وتهيأت للقتال، تبدلت السفرة من العمرة الى القتال وكانت الحالة الثانية مخالفة لما انتدبهم عليها اقتضت الحالة أن يأخذ منهم البيعة على العمل الجديد وغير المعهود، وفعل ذلك وأعطت البيعة ثمرها في ارعاب أهل مكة، وعلى ما ذكرنا قامت البيعة الاولى على الاسلام دونما قتال، والثانية على اقامة الدولة الاسلامية والقتال من أجلها، والثالثة البيعة على

القتال في تلك السفرة، هذا ما كان في سيرة رسول الله في أمر البيعة. وورد في حديثه (ص) أنه كان يأخذ البيعة على الطاعة في ما يستطيعون ولم يكن يبايع الغلام غير البالغ شرعا.

ويتضح لنا من دراسة سيرة الرسول صلّى الله عليه وآله أن للبيعة ثلاثة أركان:

أ) المبايع.

ب) المبايع له.

ج) المعاهدة على الطاعة.

وتقوم البيعة على تفهم ما يطلب الطاعة بالقيام به ثم تنعقد المعاهدة بضرب المبايع على يد المبايع له والبيعة على هذا مصطلح شرعي وشروط تحقق البيعة وفق الشرع الاسلامي غير واضحة للكثير من المسلمين وهي:

أ) أن يكون المبايع ممن تصح منه البيعة فلا تصح من صبي أو من مجنون لانهما غير مكلفين شرعا، وأن يكون مختارا لان البيعة كالبيع لا ينعقد بأخذ المال من صاحبه قهرا ودفع الثمن له، ولا تنعقد البيعة بأخذها بالجبر وبحد السيف.

ب) أن لا يكون المبايع له من المتجاهرين بالمعصية لان الرسول (ص) قال «لا طاعة لمن عصى الله تبارك وتعالى»[1].

ج) لا تصح البيعة للقيام بما نهى الله عنه وخلافا لاوامره وأوامر الرسول لان الرسول قال «فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[2].

ثالثا ورابعا: الخليفة وأمير المؤمنين

أ) الخلافة في لغة العرب: النيابة عن الغير، والخليفة: من يقوم مقام الغير ويسد مسده.

وبهذا المعنى ورد في القرآن الكريم مثل: «يا داود إنّا جعلناك خليفة في الارض» وفي حديث الرسول: «اللهم ارحم خلفائي» وقال في تعريف الخلفاء: «الذين يأتون بعدي يروون حديثي وسنتي».

اذا فالخليفة في القرآن والحديث ليست اسما للذي يحكم باسم النيابة عن

١ و ٢) راجع فصل المصطلحات، خامسا: البيعة.

رسول الله (ص)، وكذلك كان الامر الى زمان الخليفة عمر حيث كان يقال له: خليفة خليفة رسول الله، ثم قيل له: أميرالمؤمنين، وبقي الامر كذلك الى عصر العباسيين وعلى عهدهم كانوا يصفونهم بخليفة الله الى جنب تسميتهم بأميرالمؤمنين وفي عصر العثمانين سموا الحاكم الاسلامي الاعلى بالخليفة وبقيت هذه التسمية متداولة بين المسلمين حتى اليوم.

اذا فان لفظ الخليفة من مصطلحات المسلمين وليست مصطلحا شرعيا وكذلك أميرالمؤمنين.

خامسا: الامام

الامام في اللغة: من يأتم به الناس، وبهذا المعنى ورد في القرآن الكريم غير أنه قيد الامامة بشروط ذكرها في قوله تعالى لابراهيم: «انا جعلناك للناس اماما» وقوله «لاينال عهدي الظالمين».

اذا فالامامة جعلٌ من الله وعهد لاينالاه من اتصف بالظلم سواء أكان ظالما لنفسه أو لغيره وبذلك أصبح «الامام» مصطلحا شرعيا وتسمية اسلامية.

سادسا: الأمر واولوا الأمر

انّ الأمر استعمل في لغة العرب وعرف المسلمين والنصوص الاسلامية بمعنى الولاية على الناس والحكم. امّا أولوا الأمر فيصحّ اعتباره مصطلحاً اسلامياً لوروده في القرآن بمعنى الولاية على الناس في قوله تعالى: «اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم»[1] وتختلف المدرستان في تشخيص اولى الأمر ووليّ الأمر بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله، فانّ مدرسة أهل البيت ترى أنّ تعيين الامام وليّ الأمر بعد الرسول إلى الله، يعيّن من يشاء ويبلّغ الرسول امّته بذلك وترى مدرسة الخلافة انّه يتعين بالبيعة وبالاستيلا وعلى الحكم بالقهر والغلبة، وبعد استيلائه على الحكم كيف ما كان يجب طاعته. ومن ثمّ أطاعوا الخليفة يزيد وقتلوا وسبوا ذريّه الرسول وأباحوا مدينة الرسول وقتلوا البقية من أصحابه والتابعين ورموا الكعبة بالمنجنيق، وبعد كل تلكم الافعال لايزالون يسمّونه بأميرالمؤمنين إلى عصرنا الحاضر.

١) النساء / ٥٩.

مناقشة آراء مدرسة الخلفاء في امر الخلافة والامامة

اوّلاً: الشورى

ان اوّل من ذكر الشورى لاقامة الخلافة هو الخليفة عمر بن الخطّاب، ولم يستند في ذلك الى دليل من الكتاب والسنّة بل اعتمد اجتهاده الخاصّ فمن اتّخذ سيرة الصحابة واقوالهم في عداد كتاب الله وسنّة رسوله من مصادر الشريعة الاسلاميّة فله ان يتخذ من السنّة العمرية هذه سنداً لهذا الحكم في اقامة الخلافة. على ان سنّته هذه مخالفة لسنّته وسنّة الخليفة الاوّل ابي بكر في اقامة حكم الخليفة الاوّل ابي بكر فانها كانت فلتة حسب تعبير الخليفة عمر وتقييمه لها و كذلك مخالفة ــ ايضا ــ لسنّتها في اقامة حكم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فان الخليفة الاوّل ولّى الخليفة عمر على المسلمين من بعده وكلاهما لم يستشيرا المسلمين في كلا المقامين؛ ومخالفة ــ ايضا ــ لقول الخليفة عمر: لوكان ابوعبيدة حيا لاستخلفته ولو كان سالم مولى ابي حذيفة حيّا لاستخلفته، فانّ هذا القول يخالف الالتزام بالشورى!

وعلى فرض صحة اقامة الخلافة على اساس الشورى العمرية، فكيف ينبغي ان تكون الشورى؛ وكم ينبغي ان يكون عدد المتشاورين في الاغلب قالوا ينحصر عدد المتشاورين في ستة، يبايع خمسة منهم السادس، أضف الى ماسبق السؤال عن المبرّر لاعطاء عبدالرحمن بن عوف خاصّة حقّ اتخاذ القرار النهائي دون الآخرين في تلك الشورى ثمّ ما المبرّر لقتل من خالف قرار عبدالرحمن ورأيه! ثم من الّذي كان يخشى منه المخالفة لرأي عبدالرحمن دون الآخرين واخيرا هل اتبعت مدرسة الخلافة الشورى

العمرية مرّة واحدة و اقامت الخلافه كذلك لواحد من الخلفاء طوال القرون.

هذه اسئلة تتوارد على الشورى العمرية.

امّا ما استدّل بها اتباع مدرسة الخلفاء فى هذا الصدد فا كان من استدلالهم بالآية الكريمة: «وأمرهم شورى بينهم» فانّه لا يستفاد منها اكثر من رجحان التشاور بين المؤمنين في امورهم، فان سبحانه وتعالى لوأراد الوجوب في هذا الآمر لقال: كتب الله على المؤمنين او قال: فرض عليهم الى ما شابهها من الالفاظ الدالّة على وجوب الفعل على المؤمنين.

وما كان من استدلالهم بآية «وشاورهم في الأمر» فقد اوضحنا في ما سبق بانّ الآية في مقام توجيه الرسول ان يدعو المسلمين الى القتال باسلوب المشاورة؛ وليس باسلوب الملوك الجبابرة الّذين يلقون اوامرهم الى الناس بقولهم مثلا: اصدرنا امرنا الملكى بكذا. وقد صرّح الجليل سبحانه بعد هذه الجملة بأنّ رأى المسلمين ليس ملزما لرسول الله صلّى الله عليه وآله حيث قال: «واذا عزمت فتوكّل» اذاً فالقيام بالعمل يكون على اساس عزم الرسول وليس على ما يرتأيه المؤمنون ويوضح ذلك بجلاء الامثلة التى ذكرناها من مشاورة الرسول مع المسلمين فى موارد كانت عاقبة الأمر معلومة لرسول الله مسبقا مثل مشاورته اياهم للقتال في غزوة بدر.

ثمّ انّ مشاوراته (ص وآله) كانت في مقام استجلاء رأى المسلمين في كيفية تنفيذ الاحكام الاسلامية وليست في مقام استنباط الحكم الشرعى بالتشاور، أضف الى كلّ ذلك انّ الله تعالى قال: «وما كان لمؤمن ولا لمؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعصى الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا» اذاً فان رجحان المشاورة ينحصر بمورد لم يقض الله ورسوله فيه أمراً وفي ما قضى الله ورسوله فيه امراً تكون المشاورة معصية لله ورسوله وضلالا مبينا.

ثانيا : البيعة

عرفنا ممّا سبق: انّ البيعة لا تنعقد للقيام بمعصية الخالق ولا لمتجاهر بمعصية الخالق ولا بالاكراه وحدّ السيف.

امّا اصحاب مدرسة الخلافة فانّهم قالوا: تنعقد الخلافة ببيعة خمسة وقال بعضهم: تنعقد ببيعة واحد وحضور شاهدين، واستدلوا بعمل الصحابة.

ثالثا : عمل الصحابة

يصحّ الاستدلال بعمل الصحابة في ما اذا اعتقدنا ان سيرة الصحابة مثل كتاب الله وسنّة رسوله مصدر للتشريع الاسلامي، ثم انّ عمل الصحابة يخالف بعضه البعض الآخر كما رأينا في ماسبق ومن ثمّ وقع الخلاف في اراء اتباع مدرسة الخلافة كما شاهدنا في ماسبق وعلى هذا بعمل اي من الصحابة نقتدى وقول من منهم ومن الاتباع نأخذ!؟

الاستدلال بكلام الامام علي:

امّا ما استدلّوا به من كلام للامام علّي فانّه كان في مقام الاحتجاج على معاوية وجماعته بما التزموا به. على انّ اجماع الصحابة بما فيهم الامام علي وسبطي الرسول الحسن والحسين حجة. وهذا هومفهوم كلام الامام المذكور.

وجوب طاعة الحاكم وعدم عزله بالفسق واعلان المعصية:

قالوا: لا ينعزل الحاكم الّذي سمّوه بالامام بالفسق والفجور واعلان المعصية.

وقالوا: على المسلم السمع والطاعة للامام الفاسق وان ضرب ظهره واخذ ماله، ولا يجوز الخروج عليه.

وقالوا: ان يزيد بن معاوية المتجاهر بالفسق والفجور بالبيعة أصبح أميرالمؤمنين، ونتيجة لاعتقادهم بصحة بيعته استطاع ان يجهز جيشا من المعتقدين بصحة بيعته ويقتل بهم ذريّة الرسول بكربلاء ويسبيهم ويسير بهم اسرى من كربلاء الى عاصمة ملكه الشام.

وبنتيجة تلك البيعة استطاع ان يجهز جيشا آخر من المعتقدين بصحة بيعته ويغزو بهم مدينة الرسول ويبيحها لجيشه ثلاثة ايام فقتلوا جمعا من اصحاب الرسول وتابعيهم وأخذوا البيعة من الآخرين على انهم عبيد قنّ ليزيد وهتكوا أعراضهم وفعلوا ما شاءوا من جرائم لم يشهد المسلمون نظيرها في تاريخهم الطويل ثمّ غزا بهم مكة فضربوا بيت الله الحرام والكعبة بالمنجنيق. وبعد كل تلك الجرائم يلقبونه باميرالمؤمنين حتى اليوم ويكتبون في مدحه الكتب وينشرون وانا الله وانا إليه راجعون.

الامامة لدى مدرسة اهل البيت (ع)

كانت تلكم اراء مدرسة الخلفاء في الامامة والخلافة واذلتهم، امّا مدرسة اهل البيت فانّها تستدل بخطاب الله لابراهيم وقوله له: «انّا جعلناك للناس اماما» وجواب الله لطلب ابراهيم حين قال «ومن ذريّتي قال لاينال عهدى الظالمين» على انّ الامامة عهد من الله لاينـاله الظالم لنفسه أو لغيره وتستدل بقوله تعالى في حق اهل البيت «انّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهرّكم تطهيرا» على عصمة اهل البيت محمد واهل بيته صلوات الله عليهم اجمعين من الذنوب، وكذلك تستشهد بسيرة اهل البيت التى لم يسجل منهم في التاريخ امر مخالف للعصمة. امّا الادلة على امامتهم فاننا اذا درسنا سيرة الرسول في أمر تعيين وليّ الأمر من بعده نجد انّه لم يغب عن بال الرسول ومن حوله امر الامامة من بعده فانّ بعضهم طلب من الرسول ان يكون لهم الأمر من بعده فاجابه الرسول: الأمر الى الله يضعه حيث يشاء واخذ منهم البيعة في اقامة المجتمع الاسلامى «ان لاينازعوا الأمر أهله» وعيّن الامام عليّا في اوّل يوم دعا الى الاسلام وزيرا له وخليفة من بعده وشاهدناه ــ ايضا ــ يستخلف على المدينة كلّما غاب عنها لأمرما وان كانت المسافة ميلا اواقلّ من ذلك.

وكذلك لم يترك امّته هملا ابد الدهر بل عيّن وليّ الأمر من بعده فى اماكن مختلفة وازمنة متعدّدة باقوال تواترت عنه مثل قوله صلّى الله عليه وآله:

علي ولي كلّ مؤمن بعدى.

علي وليكم من بعدي.

علي بمنزلة هارون من موسى الاّ انّه لا نبي بعدي.

وفي غدير خم لمّا امره الله ان يعين ولي الأمر من بعده ونزلت آية «يا ايّها الرسول بلغ ما انزل اليك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس» صعد منبراً من احداج الابل ورفع عليا وقال: الله مولاي وانا مولاكم فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاراه، وتوّج عليّاً بعمامته السحاب فنزلت آية «اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا».

ونزلت فيه «انّما وليكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون».

وقال في حق الحسنين:

هذ ان منيّ.

وقال:

الحسن والحسين سبطان من الاسباط.

وفي حق الأئمة من بعده: الامام علي والاحد عشر بنيه:

اخبر الرسول انهم اولوالأمر في اية «يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم».

وفيهم قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

مثل اهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق.

وجعلهم اعدال القران وقال:

«اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلّوا من بعدى وقد انبأنى اللطيف الخبير انّهما لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض».

ويظهر من قول الرسول هذا: أن احد الائمه لابد ان يطول عمره يبقى مع القرآن منهم أحد الى يوم القيامة.

وعيّن عددهم في قوله:

لا يزال هذا الدين قائما حتى تقوم الساعة اويكون عليكم اثناعشر.

وفي رواية:

لا يزال امر الناس ماضيا الى اثنى عشر.

وفى رواية بعدها: «ثم يكون المرج والهرج».

وفي رواية:

فاذا هلكوا ماجت الارض بأهلها.

وفي رواية قال عن عددهم انّهم اثناعشر عدّة نقباء بني اسرائيل.

ولا تصدق هذه الروايات على غير الأئمة الاثنى عشر من اهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله الذى طال عمر آخرهم وبعدهم يكون فناء الدنيا وبما ان علماء مدرسة الخلافة لم يرتضوا ائمة اهل البيت حاروا في تفسير هذه الروايات الصحيحة ولم يستطيعوا تأويلها بما يرضون به انفسهم.

اتجاه السلطة الحاكمة زهاء ثلاثة عشر قرناً

اقتصرنا في ما أوردنا من الادلة على امامة ائمة اهل البيت الاثنى عشر عليهم السلام في ماسبق بما ورد في اوثق مصادر الدراسات الاسلامية بمدرسة الخلفاء وبالاضافة الى ذلك قد ورد في مصادر الدراسات الاسلامية بمدرسة اهل البيت النصوص الكثيرة المتواترة الواردة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله في النصّ على امامة الائمة الاثنى عشر عليهم السلام بأسمائهم وصفاتهم ومشخصاتهم.

ويقول اتباع مدرسة اهل البيت (ع) ينبغي ان لا يغرب عن بالنا انّ صحة خلافة الخلفاء امويين وعباسيين وعثمانيين وغيرهم من الخلفاء ومن تبعهم من الامراء والولاة والقضاة وائمة الجمعة والجماعة في البلاد الاسلامية زهاء ثلاثة عشر قرنا كانت متوقفة على كتمان ماورد في امامة الامام علي بن ابي طالب والائمة من ولده عليهم السلام.

فانّه مثلا في زمن الخلفية هارون الرشيد اصبح ابو يوسف قاضي قضاة المسلمين بتعيين الخليفة هارون الرشيد ومشروعية منصبه متوقفة على صحة خلافة هارون الرشيد وصحة خلافة الرشيد متوقفة على عدم وجود نصّ على امامة الائمة الاثنى عشر وكذلك الامر بالنسبة الى وزارة البرامكة فانّهم اصبحوا وزراء لخليفة المسلمين بسبب صحة خلافة هارون وكذلك جميع امراء جيوش المسلمين في عصره اصبحوا امراء لجيوش المسلمين بتعيين خليفة المسلمين هارون الرشيد وكذلك شأن ولاة الخليفة على البلاد فانّ امير صنعاء وامير مكة وامير المدينة والكوفة والشام والاسكندرية والري وخراسان وسائر البلاد الاسلامية في جميع الاقاليم وكذلك ائمة

الجمعة والجماعة في جميع البلاد الاسلامية من اقصى بلاد افريقيا الى ماوراء خراسان وبلاد الحجاز واليمن والشام والعراق الى غيرها من البلاد الاسلامية. كلّ اولئك اصبحوا في مناصبهم يعيشون معيشة المترفين بشرعية خلافة هارون الرشيد وشرعية خلافة هارون الرشيد متوقفة على عدم وجود امامة معينة منصوبة من قبل الله ومنصوصة عليها من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله ث العص وهو الامام موسى بن جعفر (ع) ولا في امامة سائر الائمة عليهم السلام قبله.

وهذا الامر كان جاريا وساريا في زمن يزيد ومعاوية وعثمان وغيرهم الى آخر خلفاء العثمانيين فان كلّ اولئك المنتفعين بخلافة الخلفاء في ملّ العصور انّما انتفعوا بمناصبهم ومعايشهم لعدم وجود نصّ على امامة أيّ امام غير الخلفاء ومع كلّ ذلك بقيت النصوص السابقة في امامة الائمة من اهل البيت (ع) منتشرة في مصادر الدراسات الاسلامية بمدرسة الخلفاء الى اليوم وذلك لانّ الله شاء ان يتم الحجة على الناس مدى العصور وما شاء الله كان.

* * *

بعد الانتهاء من دراسة رأى المدرستين في الصحابة والامامة نستعين الله وندرس في مايأتي رأي المدرستين في مصادر الشريعة الاسلامية وكيفية استفادة كل منهما منها، إن شاء الله تعالى.

الفهرست

الاهداء ٣

المقدّمة ٥

مخطّط بحوث الكتاب ٧

القسم الاول

في العقيدة اسلاميّة وأحكامها

منشأ الخلاف ١١

اللغة العربية والمصطلحات الاسلامية ١٣

اولاً: تعريف المصطلحات ١٣

أ) لغة العرب ١٣

ب) ألمصطلح الشرعي أوالمصطلح الاسلامي ١٤

ج) مصطلح المتشرّعة أو تسمية المسلمين ١٤

د) الحقيقة والمجاز ١٥

ثانياً: كيفيّة تأليف مجاميع اللغة العربيّة ١٦

البحث الاول: بحوث المدرستين في الصحبة والصحابة ١٧

الفصل الاول: تعريف الصحابي لدى المدرستين ١٩

تعريف الصحابي في مدرسة الخلفاء ٢١

تعريف الصحابي بمدرسة أهل البيت عليهم السّلام ٢٢

ضابطتهم لمعرفة الصحابي ومناقشتها ٢٢

مناقشة ضابطة معرفة الصحابي ٢٣

الفصل الثاني: عدالة الصحابة لدى المدرستين ٢٧

رأي مدرسة الخلفاء في عدالة الصحابة ٢٩
رأي مدرسة أهل البيت عليهم السّلام في عدالة الصحابة ٣١
ضابطة لمعرفة المؤمن والمنافق ٣٣
الفصل الثالث: خلاصة بحث الصحابة لدى المدرستين ٣٧
الصحابي وعدالته في مدرسة الخلفاء ٣٩
الصحابي في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ٣٩
البحث الثاني: بحوث المدرستين في الامامة ٤١
الفصل الاول: الواقع التاريخيّ للخلافة في صدر الاسلام ٤٣
أمر كتابة وصيّة رسول الله صلّى الله عليه وآله ٤٦
موقف الخليفة عمر في وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ٤٦
السقيفة و بيعة أبي بكر ٤٨
السقيفة برواية الخليفة عمر ٤٨
التذير ٥٣
البيعة العامّة ٥٤
بعد بيعة أبي بكر العامّة ٥٤
دفن رسول الله صلى الله عليه وآله ومن حضر دفنه ٥٥
بعد دفن الرسول صلّى الله عليه وآله ٥٦
التحصّن بدار فاطمة عليها السّلام ٥٨
من تخلّف عن بيعة الخليفة أبي بكر ٦٥
أ) فروة بن عمرو ٦٥
ب) خالد بن سعيد الاموي ٦٥
ج) سعد بن عبادة ٦٦
من روى أنّ سعداً لم يبايع ٦٨
استخلاف عمر و بيعته ٦٩
الشورى و بيعة عثمان ٦٩
بيعة الامام علي عليه السّلام ٧٤
الفصل الثاني: بحوث مدرسة الخلفاء في الامامة ٧٧
رأي مدرسة الخلافة وما استدلّوابه ٧٩
وجوب طاعة الامام و إن خالف الرسول صلى الله عليه وآله ٨٤
استدلال أتباع مدرسة الخلافة في القرون الأخيرة ٨٥

مصطلحات بحث الامامة والخلافة ٨٦
اولاً: الشورى ٨٦
ثانياً: البيعة ٨٧
أ) البيعة في لغة العرب ٨٧
ب) البيعة في الاسلام ٨٧
١) البيعة الاولى ٨٨
٢) البيعة الثانية الكبرى بالعقبة ٨٨
٣) بيعة الرضوان أو بيعة الشجرة ٨٩
ثالثاً: الخلافة والخليفة في لغة العرب ٩٢
رابعاً: أمير المؤمنين ٩٤
خامساً: الامام ٩٤
سادساً: الامر و اولوا الامر ٩٥
أ) في لغة العرب ٩٥
ب) في عرف المسلمين ٩٧
ج) في النصوص الاسلامية ٩٧
دراسة رأي مدرسة الخلفاء ٩٩
رأي مدرسة الخلافة وما استدلوابه ٩٩
مناقشة الاستدلالين ٩٩
أولا: مناقشة الاستدلال بالشورى ١٠١
الاستدلال بالشورى بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله ١٠١
اولاً: الاستدلال بآية «وأمرهم شورى» ١٠١
ثانياً: الاستدلال بآية «وشاورهم في الامر» ١٠٢
ثالثاً: الاستدلال بمشاورة الرسول مع أصحابه ١٠٢
مشاورتة صلى الله عليه وآله معهم في غزوة بدر ١٠٢
غزوة الخندق ١٠٦
ثانياً: مناقشة الاستدلال بالبيعة ١٠٨
ثالثاً: مناقشة الاستدلال بعمل الصحابة ١١٢
رابعاً: مناقشة الاستدلال بأنّ الخلافة تقام بالقهر والغلبة ١١٩
خلاصة البحث ١٢٣
الفصل الثالث: بحوث مدرسة أهل البيت عليهم السّلام في الامامة ١٢٥

عصمة أهل البيت عليهم السّلام ١٢٨
إهتمام الرّسول صلّى الله عليه وآله بأمر تعيين اولى الامر من بعده ١٣٤
باب ذكر من استخلف الرّسول صلى الله عليه وآله على المدينة في غزواته ١٣٨
النصوص الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في تعيين وليّ الامر من بعده ١٤٤
أ) وزير الرسول صلى الله عليه وآله و وليّ عهده وخليفته من بعده ١٤٤
ب) وليّ المسلمين بعد الرسول صلى الله عليه وآله ١٤٥
أولا: حديث الشكوى ١٤٥
شكوى ثانية ١٤٦
زمان الشكوى ١٤٧
ثانياً: نصوص اخرى لم يعيّن زمانها ١٤٧
ج: ماوردت في يوم الغدير ١٤٧
خبر يوم الغدير ١٥٠
تتويج الامام ١٥٢
المناشدة ١٥٤
الولاية واولوا الامر في القرآن الكريم ١٥٦
أ) ولاية علي في القرآن الكريم ١٥٦
ايراد على دلالة الآية ١٥٧
ب) أولوا الامر عليّ والائمّة من ولده عليهم السّلام ١٥٩
الائمّة عليّ و بنوه عليهم السّلام مبلّغون عن رسول الله صلى الله عليه وآله ١٦١
قصّة تبليغ آيات البراءة ١٦٢
علي من النبيّ بمنزلة هارون من موسى ١٦٣
المرادمن لفظ «متى» في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله ١٦٤
حامل علوم الرسول صلى الله عليه وآله ١٦٥
ماورد في حق سبطي رسول الله صلى الله عليه وآله ١٧٢
بشارات النبيّ صلى الله عليه وآله بظهور المهديّ عليه السلام في آخر الزمان ١٧٦
المهديّ عليه السلام يواطئ اسمه اسم النبيّ صلى الله عليه وآله ١٧٦
إنّ المهديّ عليه السلام من أهل بيت النبيّ صلّى الله عليه وآله ١٧٦
المهدي عليه السلام من ولد فاطمة سلام الله عليها ١٧٧
المهديّ عليه السلام من ولد الحسين عليه السّلام ١٧٨
نصوص على إمامة أئمّة أهل البيت عليهم السّلام ١٧٩

حديث الثقلين ١٧٩
أ) في حجّة الوداع ١٧٩
ب) في غدير خمّ ١٧٩
نصّ الرّسول صلّى الله عليه وآله على عددهم ١٨١
حديث عدد الائمّة ١٨١
خلاصة الاحاديث الآنفة ١٨٤
حيرتهم في تفسير الحديث ١٨٤
الفصل الرابع: خلاصة بحث الامامة لدى المدرستين ١٩١
الواقع التاريخي لاقامة الخلافة في صدر الاسلام ١٩٣
بداية الامر ١٩٣
موقف الخليفة عمر ١٩٣
سقيفة بني ساعدة و بيعة أبي بكر ١٩٤
بيعة عمر ١٩٧
الشورى و بيعة عثمان ١٩٧
بيعة الامام علي عليه السّلام ١٩٨
أقوال مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة ١٩٩
تعريف المصطلحات ٢٠١
أولا: الشورى ٢٠١
ثانياً: البيعة ٢٠١
ثالثاً و رابعاً: الخليفة وأمير المؤمنين ٢٠٢
خامساً: الامام ٢٠٣
سادساً: الامر واولوا الامر ٢٠٣
مناقشة مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة والامامة ٢٠٤
اوّلاً: الشورى ٢٠٤
ثانياً: البيعة ٢٠٥
ثالثاً: عمل الصّحابة ٢٠٦
الاستدلال بكلام الامام علي عليه السّلام ٢٠٦
وجوب طاعة الحاكم وعدم عزله بالفسق وإعلان المعصية ٢٠٦
الامامة لدى مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ٢٠٧
اتجاه السلطة الحاكمة زهاء ثلاثة عشر قرناً ٢٠٩

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0064966216

V.1

منشورات قسم الدراسات الاسلامية
توزيع : مؤسسة البعثة (چاپ بعثت)
ايران - طهران - شارع سپه
تلفون : ٨٢١١٥٦